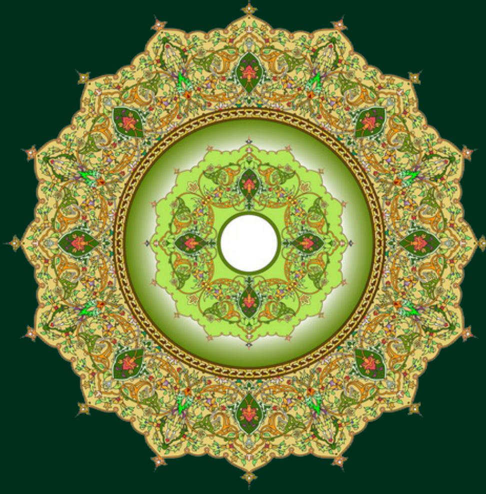


فوائد الشعراوي

فوائد تفسيرية وبيانية

إعداد

سايربن هليل المسباح

الطبعة الأولى ١٤٣٨ هـ

التصميم الداخلي للكتاب

ثروت سلطان

Tharwat Sultan

للتواصل :

00201019530152

TharwatSultan@yahoo.com


بسم الله الرحمن الرحيم



بسم الله الرحمن الرحيم

مُقَدِّمَة

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين، وبعد .

فهذه جملة من فوائد تفسير الشيخ محمد متولي الشعراوي رَحِمَهُ ٱللَّهُ، جمعتها من استماعي لتفسيره كاملاً، من سورة الفاتحة حتى سورة الممتحنة، وهي السور التي فسرها الشيخ ثم أدركه الأجل بعد ذلك، وكان هناك تفسير قديم للشيخ لبعض سور جزء عم، استمعت إليه كذلك. فدونت الفوائد وقيدتها، وبعد نهاية الاستماع قمت بمراجعة مواضع الفوائد التي جمعتها في التفسير المطبوع للشيخ،والقصد من ذلك هو التأكد من صحة فهمي لما سمعته من كلام الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ، ولتوثيق موضع الفائدة فيما لو أراد أحدٌ الرجوع إليها، فالرجوع إلى المطبوع أسهل بكثير من الرجوع للمسموع.

❁ **والذي دفعني لسماع تفسير الشيخ لا قراءة تفسيره أمور، منها :**

الاستفادة من هذه التقنية الحديثة، بحيث لا تمضي الأوقات هباءً دون استفادة منها، وقد مَنَّ الله تعالى علينا في هذا العصر، بجملة من النعم في مجال الاتصالات والتقنية الحديثة، ومن ذلك المواد المسجلة لأهل العلم في التفسير والحديث والفقه وغيرها، وقد يتهيأ للإنسان القدرة على السماع أكثر من القدرة على القراءة، لعدة أسباب، منها انشغاله بأمور دنياه، فلا يجد وقتاً لقراءة المطولات، ومنها أن طالب العلم يفضل دائماً البدء في قراءة أصول كتب التفسير، مثل تفسير ابن جرير

الطبري، وتفسير ابن الجوزي، وتفسير ابن كثير وتفسير القرطبي وغيرها، ولو خُير طالب العلم بين كتب التفسير السابقة، وبين كتب التفسير المعاصرة لاختار ما سبق، فهي أغزر علمـاً وأكثر تنوعـاً وأكثر شمولية، أما وقد من الله بهذه النعمة، فلا ينبغي لمن هو مهتم بهذا العلم، أن يفوت هذه الفرصة في الاستماع لهؤلاء العلماء، لكل ما قالوه أو على الأقل بعض ما قالوه.

سبق لي قديمـاً قراءة جزئين من تفسير الشيخ الشعراوي، ولكنني لما استمعت إليه، وجدته في التفسير الصوتي أكثر مما وجدته في التفسير المطبوع، ربما لأن المطبوع لم يفرغ كاملاً، وهذا يلحظه من قارن بين التفسيرين، كما هو في تفسير قوله تعالى ﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾[1] سورة الأنفال، في كلامه على معنى ﴿ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ﴾. وقد يكون السبب أن من الناس من يُفتح له في القول، أكثر مما يفتح له في الكتابة .

❁ وأحب أن أذكر هنا حكايتين ذكرهما الشيخ أثناء تفسيره :

■ الأولى :

ذكر الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ أنه لم يكن راغبـاً في دراسة العلوم الشرعية في الأزهر، بل إن والده رَحِمَهُ ٱللَّهُ هو الذي دفعه، وأجبره على هذا الأمر، وكان الشيخ في السنتين الأولتين حاول أن يثني والده عن هذا القرار، لكن الوالد مُصرٌّ على رأيه، فقرر الشيخ وهو في السنة الثالثة من الكلية، أن يجبر والده على الموافقة على ترك دراسة العلم الشرعي، فذهب إلى مكتبة شهيرة في القاهرة، واشترى جملة كبيرة من الكتب التي تخص طلاب الدراسات العليا، والشيخ يومها كان في السنة الثالثة، فأخبره صاحب

(١) سورة الأنفال، الآية ٦١.

المكتبة أن هذه الكتب لا تناسبه الآن، وليس في حاجةٍ لها، فأخبره أنه يعلم ما يفعل لحاجةٍ في نفسه، واتصل على والده وطلب منه الحضور من قريتهم للقاهرة، لكي يدفع ثمن هذه الكتب لعله إن رأى قيمتها المرتفعة أن يتركه لما يريد، فهو يعلم أن أباه لا طاقة له بمثل هذه الأسعار، فحضر الوالد راكبًا القطار إلى القاهرة تلبية لطلب ابنه، وذهب معه إلى المكتبة، وكانت المفاجأة أن الأب دفع الثمن بنفس رضية، واستأجر لها عربة تحملها إلى حيث يسكن الشيخ، ولم يكلمه في شيء، أو يظهر اعتراضًا أو ممانعة، ثم أراد الرجوع إلى بلده راكبًا القطار أيضًا، وبعد أن أخذ مقعده من القطار نادى على ابنه الشيخ وهمس في أذنه (يا بني لا تظن أن والدك مغفل). ثم ذهب إلى بلده، وترك ابنه في حيرة من أمره .

عاد الشيخ إلى سكنه وقد قرر في نفسه قراراً جريئًا قد يكون نقطة التحول في حياته، بدأ يلتهم هذه الكتب التهامًا قراءة وبحثًا ومراجعة، وأقبل على دراسته أكثر من قبل، وبنفس ليست هي نفسه الأولى، فلما جاء وقت الإجازة وعاد إلى بلدته، دعا والده قضاة ومشايخ البلد إلى بيته لرؤية ابنه الذي يدرس في الأزهر، وكان الأب يعمل موظفًا في المحكمة، فلما جلسوا عنده، أخبرهم والد الشيخ أنه اشترى لابنه في القاهرة جملة من الكتب العلمية وسمى بعضها، الأمر الذي أثار فضول القضاة والمشايخ، وسألوه عن ذلك فأخبرهم بصحة ما قاله والده، فصاروا يسألونه بعض الأسئلة عن هذه الكتب فأجابهم بما أدهشهم وأدهش أباه قبلهم، ثم سلك الشيخ في هذا المجال، مجال التفسير حتى توفاه الله عَزَّوَجَلَّ، وقد صار علمًا من أعلام التفسير.

■ **الحكاية الثانية:**

لما حضرت والد الشيخ الوفاة، وكان الشيخ بجانبه، قال له أبوه في أيامه الأخيرة (ما هذا يا أمين، كل هذه القصور التي أراها لك ولا تخبرني، أنا أبوك وأفرح لك) ثم قضى، والشيخ لا يرى شيئاً مما رآه والده، فلعله أن الأب يرى ثمرة عمله في ابنه، والأجر العظيم الذي ينتظره في الآخرة.

❁ **وهنا أود أن أورد بعض الملاحظات التي توصلت إليها أثناء استماعي لهذا التفسير :**

* **الشيخ في تفسيره لا يتعرض للأحكام الفقهية، ولا يتعرض للخلافات الفقهية في ذلك،** وإن حدث وهو أمر نادر جداً، وربما فعل هذا لكي لا يطول التفسير ويتشعب، ولم تكن الغاية هي أحكام الفقه، بل هي كما صرح مراراً أنها خواطر حول القرآن الكريم .

* **الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ يتعرض لتفسير آياتٍ ليست في السورة التي يفسرها،** وإذا وصل إلى موضعها لم يفسرها، وهنا سيجد القارئ اختلافًا في ترتيب العزو في الكتاب، فيجد فوائد تفسير سورة في مجلد واحد، ثم يجد فائدة أخرى في مجلد آخر، متقدم أو متأخر.

❁ **سيجد القارئ بعض الفوائد بلا إحالة إلى التفسير المطبوع، وهذا لسببين :**

١) **لم اهتدِ إلى موضعه في التفسير المطبوع.**

٢) **كما مرّ سابقًا أنه لم يفرغ في التفسير المطبوع .**

* سيجد القارئ قدرة وهبها الله للشيخ في إيصال المعلومة للمتلقي العامي، سواء كانت المعلومة لغوية أم بيانية، وهذا فضل الله يؤتيه من يشاء.

* يمتلك الشيخ حس فكاهة، وتعليقاتٍ ساخرة، يخرج بالناس بها من رتابة الدروس العلمية .

* **أثناء التفسير يجد المستمع أن الشيخ لا يملي إملاءً على مستمعيه، وكأنه في قاعة علمية،** بل هو كالنهر يتدفق تدفقًا، بلا تلعثم، أو تذكر، أو توقف، وكأنه يحكي حكاية لا يفسر تفسيراً، وهذا إن دل على شيء فهو يدل على تمكن عظيم في هذا العلم، وأظن أن من أراد أن يقدم درسًا علميًا لعامة الناس، فعليه أن يستفيد من هذه التجربة، فيفرق بين ما يقدم لعامة الناس، وما يقدم لطلبة العلم .

* **الشيخ رَحِمَهُ ٱللَّهُ انتقل بهذه الطريقة وهذا التفسير،** من حصر دروس التفسير في طلبة العلم فقط، إلى رحاب الأمة الواسع، فاستمع إلى تفسيره الملايين من هذه الأمة ولا يزالون .

* **كان واضحًا أن التفسير كان مشروع حياة للشيخ** رَحِمَهُ ٱللَّهُ، فهو يواصل تفسيره في أكثر من بلد، فهو يفسره في القاهرة، وفي الإسكندرية، وفي طنطا، وفي السعودية، وفي الإمارات العربية المتحدة .

* **أثناء التفسير يلحظ المستمع للشيخ** أنه يمتلك قدرة عجيبة على استحضار الآيات والاستشهاد بها وكأنها بين عينيه، وهذا أمر يذكر مثله عن الشيخ عبدالعزيز ابن باز رَحِمَهُ ٱللَّهُ .

* **الطبعة التي يشار إليها هي طبعة أخبار اليوم سنة ١٩٩١م**

الشكر كل الشكر للعاملين في المؤسسات الصوتية على هذه التقنية الحديثة، وتقريبها لنا، فاللهم ارحمهم، واغفر ذنبهم، ووسع عليهم، وسهل أمرهم، كما سهلوا علينا الوصول إلى العلم والخير.

أخيراً أسأل الله وأرجوه أن يتقبل مني هذا العمل، وأن ينفع به القارئين، وأن يرحم الشيخ محمد متولي الشعراوي، ويتجاوز عنه، ويرفع درجته، ويبارك في ذريته.

وصلى الله وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين .

ساير بن هليّل المسباح

حفرالباطن

١٤٣٨/٣/٢١ هجري

٢٠١٦/١٢/٢٠ ميلادي



بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

﴿ سُورَةُ الفَاتِحَةِ ﴾

﴿ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝١ ﴾ (سورة الفاتحة ١)

افتتح السور بالبسملة والطاعات تبدأ بالبسملة، والمعاصي لا تبدأ بالبسملة[١].

الفاتحة اشتملت على عقائد وتشريع :-

العقائد: ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ۝٣ مَٰلِكِ يَوْمِ ٱلدِّينِ ۝٤﴾.

التشريع: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ ۝٥ ٱهْدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝٦ صِرَٰطَ ٱلَّذِينَ أَنْعَمْتَ عَلَيْهِمْ غَيْرِ ٱلْمَغْضُوبِ عَلَيْهِمْ وَلَا ٱلضَّآلِّينَ ۝٧﴾.

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ۝٢﴾ (سورة الفاتحة ٢)

* ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى علمنا صفة الحمد، لأن الناس يتفاوتون في قدرتهم على الحمد وبلاغتهم فيه، فمنهم الشاعر والناثر، ومنهم البليغ، ومنهم عامة الناس الذين لا يحسنون صناعة الكلام وتجميله، فعلمنا سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى بهذه الصيغة ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾ كيف نحمده، وهذه التعليم نفسه يستحق منا حمداً عليه لله عَزَّوَجَلَّ.

بدأ برب ولم يقل إله، لأن الرب هو صاحب النعم، أما الإله فهو الخالق، فهو

(١) (في المطبوع ١/ ٤٨)

تعرف إلى خلقه بأنه المنعم عليهم[١].

﴿ إِيَّاكَ نَعۡبُدُ وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ﴾ (سورة الفاتحة ٥)

❋ ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾

قبلها تكلم عن غائب ﴿ٱلرَّحۡمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴾ وكان المفترض أن يأتي بغائب "إياه نعبد" لكن حتى تتصور الخالق أمامك، جاء بلفظ ﴿إِيَّاكَ ﴾ فهو أعظم في النفوس[٢].

﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾ نعبد ولم يقل أعبد، لإن ﴿ نَعۡبُدُ ﴾ تفيد العبادة الجماعية، جميعنا نعبدك، ولست وحدي أعبدك، فأنا من جملة العابدين، ولستُ العابدَ الوحيد لك[٣].

❋ ﴿إِيَّاكَ نَعۡبُدُ ﴾

نعبد تفيد أن هناك معركة قائمة بين مَنْ يعبد الله، ومن يعبد غيره[٤].

❋ ﴿وَإِيَّاكَ نَسۡتَعِينُ ٥ ﴾

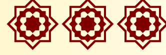
هذه هي المعركة[٥].

﴿ ٱهۡدِنَا ٱلصِّرَٰطَ ٱلۡمُسۡتَقِيمَ ٦ ﴾ (سورة الفاتحة ٦)

هو صراط مستقيم لا اعوجاج فيه ولا التواء، ولو حصل الاعوجاج والالتواء

(١) (في المطبوع ١/ ٥٥)
(٢) (في المطبوع ١/ ٧٧)
(٣) (في المطبوع ١/ ٧٨)
(٤) (في المطبوع ١/ ٨٣)
(٥) (في المطبوع ١/ ٨٣)

لما صار مستقيمـًا، بل وتأخر عن الطريق[١].



(١) (في المطبوع ١/ ٨٧)

﴿ سُورَةُ البَقَرَةِ ﴾

﴿الٓمٓ ۝١﴾ (سورة البقرة، الآية ١)

الحروف المقطعة دلالة على صدق النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فهو أمي ولا يعرف هذه الحروف، وجاء بالحروف المقطعة، والأمي لا يعرف الحروف أصلاً[(١)].

﴿ٱلَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِٱلْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ (سورة البقرة، الآية ٣).

هذه الصفات الثلاث الإيمان بالغيب، وإقامة الصلاة، والإنفاق. هي عمدة فضائل العبادات .

* فالإيمان بالغيبيات يتعلق بعمل القلب .
* وإقامة الصلاة تتعلق بأعمال الجسد .
* والنفقة تتعلق بالأخوة الإيمانية .

* ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾

تمنع الاستكبار في نفس المعطي والمنفق، لأن الرزق كان من عند الله تعالى له، فكما أنه لم يستنكف عن أخذ الرزق من الله، فلا يتكبر في إعطاء النفقة للغير، ومن أجل ذلك أي حماية المعطي والمتصدق من الكبر، وحماية الآخذ من الانكسار، جعلت الشريعة توزيع الزكاة بيد ولي الأمر، لأن الناس حين يأخذون من ولي الأمر لا يحسون بالغلبة ولا بالانكسار، كما لو أخذوه من أصحاب الأموال .

---

(١) (في المطبوع ١/ ١٠٥)

﴿يُنفِقُونَ﴾ (سورة البقرة، الآية ٣).

عبر سبحانه بالنفقة، ولم يعبر بالزكاة، لأن النفقة أعم، فهو ينفق على نفسه، وعلى أهله، وعلى أقاربه، وينفق الزكاة وغيرها .

﴿وَيُقِيمُونَ ٱلصَّلَوٰةَ﴾ (سورة البقرة، الآية ٣).

الصلاة هي مساواة بين الجميع في العبودية لله تعالى، والإمام الذي يتقدم لها فإمامته وطاعته هي بقدر التزامه بالصلاة، فإذا أخطأ كان تنبيهه إلى خطئه بقول "سبحان الله"، وهذه إشارة في التنبيه إلى أخطاء الحكام وولاة الأمر، إذا تجاوزوا أو خالفوا المنهج والطريق .

ومتى كانت الولايات العامة ولايات إيمانية بقدرها لا تتجاوز الإيمان، فإن الناس لا يأنفون من طاعة الأئمة والولاة، ولكن الشرّ يقع حين يتجاوز الأئمة الإطار الشرعي لهم، فيظلمون الناس وينبعث الفساد، في الخروج والانقلابات وغيرها، لأن الغير يطمع أن تكون له نفس حظوة الحاكم .

﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ (سورة البقرة، الآية ٣).

الزكاة ..

كأنها مضاربة بين الله تعالى وعبده، فهو الذي أعطاك رأس المال كله "الرزق" ثم يأخذ منك بعد ذلك ربع العشر، ولا يأخذ لنفسه بل لأهل الزكاة، وقوله ﴿وَمِمَّا رَزَقْنَٰهُمْ يُنفِقُونَ ۝٣﴾ يشمل قانون الحركة في الكون كله.

﴿أُوْلَٰٓئِكَ عَلَىٰ هُدًى مِّن رَّبِّهِمْۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْمُفْلِحُونَ ۝٥﴾ (سورة البقرة، الآية ٥).

التعبير بعلى في قوله ﴿عَلَىٰ هُدًى﴾ أي أنك تعلو بالهداية، والهداية تعلو بك

وتسمو، عكس الضلالة التي تحيط بك كما في قوله تعالى ﴿وَإِنَّآ أَوۡ إِيَّاكُمۡ لَعَلَىٰ هُدًى أَوۡ فِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٖ ٢٤﴾ (سبأ، الآية ٢٤). فالهداية تعلو بك وتوصلك إلى الله تعالى، والضلالة تحيط بك وتتحكم فيك[١].

﴿وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٥﴾ (سورة البقرة، الآية ٥).

عبر بالفلاح، ولم يعبر بالفائزين، لأن الفلاحة أمرٌ مشاهد للفلاحين الذين يرمون بذرهم في الأرض، فتعطيهم مائة حبة إلى سبعمائة ضعف، فهذا عطاء الأرض، وعطاء الله أكبر من عطائها، وهو شيء شاهدتموه في الأرض فكونوا على يقين من مشاهدته في الآخرة[٢].

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ سَوَآءٌ عَلَيۡهِمۡ ءَأَنذَرۡتَهُمۡ أَمۡ لَمۡ تُنذِرۡهُمۡ لَا يُؤۡمِنُونَ ٦﴾ (سورة البقرة، الآية ٦).

❊ ﴿ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ﴾

لفظ الكفر يدل على أن الإيمان أسبق، لأن الكفر معناه الستر، وهم لا يسترون إلا شيئاً موجوداً، وليس شيئاً معدوماً[٣].

الكفار تحداهم الله أن يؤمنوا، ولكنهم لغبائهم لم يستطيعوا الإيمان، وقد كانوا يستطيعون بإيمانهم أن يكذبوا هذه الآية، ويفوزوا بهذا التحدي،لكنهم لم يفعلوا، فكان دليلاً على صدق الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وصدق القرآن، والأمر تماماً ينطبق على أبي لهب الذي لم يؤمن، وقد كان يمكن أن يفعل، فيكذب الآية

(١) في المطبوع ١/ ١٣٢)
(٢) في المطبوع ١/ ١٣٦)
(٣) في المطبوع ١/ ١٣٧)

لكنه لم يفعلها ويؤمن .

﴿خَتَمَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٞۖ وَلَهُمْ عَذَابٌ عَظِيمٞ ۝٧﴾ (سورة البقرة، الآية ٧).

* ﴿خَتَمَ ٱللَّهُ﴾ .

الختم: هو الغلق، فلا يدخل عليه ماهو خارج منه، ولا يخرج منه ما هو داخل فيه، وقدم القلب على السمع والأبصار، لأن منافذ العلم للإنسان هذه الثلاثة، السمع والأبصار والأفئدة، كما في قوله تعالى ﴿وَٱللَّهُ أَخۡرَجَكُم مِّنۢ بُطُونِ أُمَّهَٰتِكُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ شَيۡـٔٗا وَجَعَلَ لَكُمُ ٱلسَّمۡعَ وَٱلۡأَبۡصَٰرَ وَٱلۡأَفۡـِٔدَةَ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ۝٧٨﴾ (سورة النحل، الآية ٧٨)[١].

فالعلم يبدأ بالسمع والبصر ثم الفؤاد، ولكن هنا قدم الختم على القلب إشعاراً أنه لن يؤمن ولن ينتفع بأي شيء يسمعه أو يبصره .

﴿وَعَلَىٰ سَمْعِهِمْۖ وَعَلَىٰٓ أَبْصَٰرِهِمْ غِشَٰوَةٞۖ﴾ (سورة البقرة، الآية ٧).

لماذا أفرد السمع وجمع البصر؟

في القرآن كله أفرد السمع وجمع البصر، والسبب أن السمع لا يمكن أن يفوت أحد، فالكل يسمع للقول من حوله، أما البصر فقد يرى البعض شيئًا، ويفوت على الآخرين رؤية هذا الشيء لأي سبب كان يمنعه، وأيضًا فإن الإنسان يستطيع أن يمنع عينيه من الرؤية بإغماضهما، ولكنه لا يستطيع أن يمنع أذنيه من السماع، لإنه لا يقدر على ذلك .

(١) (في المطبوع ١/ ١٤٢)

في القرآن كله قدم السمع على البصر إلا في آية واحدة ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُواْ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ (السجدة: ١٢)، فهذه الآية تتكلم عما هو في الآخرة، أما الآيات الأخرى فهي تتكلم عما هو في الدنيا التي يسمع فيها عن أمور غيبية لا يراها، أما في الآخرة فتتكشف الأمور كلها، ويرى الإنسان كل شيء أمامه مما كان يسمع عنه، فهو يرى في الآخرة أكثر مما يسمع .

﴿يُخَٰدِعُونَ ٱللَّهَ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَمَا يَخْدَعُونَ إِلَّآ أَنفُسَهُمْ وَمَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ (سورة البقرة، الآية ٩).

❊ ﴿وَمَا يَشْعُرُونَ﴾

الشعور أقل وسائل الإدراك، فإذا نفى عنهم الشعور، فقد نُفِي عنهم كل وسائل الإدراك، فلا طمع في أن يعلموا ولا أن يعقلوا .

أما إذا قال (لا يعلمون) فقد أثبت لهم شعوراً وعلماً مما يعقله غيرهم .

أما إذا قال (لا يعقلون) فإنهم يشعرون ويعلمون عن غيرهم، ولكنهم لا يدركون العلم بأنفسهم ولا يستطيعونه .

المؤمن يعيش سلاماً مع نفسه ومع مجتمعه ومع ربه تعالى.

والكافر يعيش سلاماً مع نفسه ومع مجتمعه .

والمنافق يعيش اضطراباً مع نفسه ومع مجتمعه ومع ربه تعالى[(١)].

﴿وَإِذَا لَقُواْ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ قَالُوٓاْ إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ

(١) (في المطبوع ١/ ١٤٦)

مُسْتَهْزِءُونَ ﴿١٤﴾ ﴾ (سورة البقرة، الآية ١٤).

كلما ذكر الله تعالى المنافقين في القرآن ذكر معهم اليهود ﴿وَإِذَا خَلَوْاْ إِلَىٰ شَيَٰطِينِهِمْ﴾ فهم المؤججون للمنافقين والموجهون لهم .

﴿ ٱللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَٰنِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (سورة البقرة، الآية ١٥).

المنافق له ظاهر وباطن، فظاهره الإسلام يعامل معاملة المسلمين، وباطنه الكفر .

وفي الآخرة يعامل بالظاهر والباطن، فعاملناك أيها المنافق في الدنيا بظاهرك، وفي الآخرة نعاملك بباطنك، فيكون مصيرك الدرك الأسفل من النار، فكما للمنافق ظاهر وباطن يعاملنا به، فلنا ظاهر وباطن نعامله به، ولم نعامل الكافر بالدرك الأسفل من النار، لإن المنافق قد استفاد في الدنيا من إعلانه الإيمان، وهو في الحقيقة كافر به[١].

﴿يَعْمَهُونَ﴾ (سورة البقرة، الآية ١٥).

العمه يقصد به أحد أمرين :

* العمه ومعناه فقدان البصيرة .
* العمى، والعمى يؤدي إلى التخبط وفقد البصيرة، فكلا الأمرين يؤديان إلى فقدان البصيرة[٢].

لماذا هدأ الوحي عن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أول البعثة؟

---

(١) (في المطبوع ١/ ١٦١)

(٢) (في المطبوع ١/ ١٦٢)

أول ما تلقى الوحي كان الأمر ثقيلاً عليه .

كان بحاجة لأن يهدأ وترتاح نفسه من العبء الثقيل الذي لم يتعوده، ثم بعد ذلك وخلال هذه الفترة اشتاقت نفسه لحلاوة الوحي التي ذاقها أول الأمر، فكانت فترة التوقف تهيئة لنفسه لتلقي الوحي بعد ذلك، فجاء هينـاً لينـاً عليه .

فائدة تربوية :

من يتكاسل عن الطاعة فإن ذلك بسبب أنه لا يقرن الطاعة بثوابها الجنة وما فيها من نعيم أي لا يستحضر هذا الثواب، ومن يسارع في المعصية ويفعلها فهو بسبب أنه لا يقرن المعصية بعقابها، فمن يفعل الزنا لا يستحضر النار ولهيبها وجحيمها، ولو استحضر ذلك أمام ناظريه لم يزني أو يسرق، فإذا قرن المطيع الطاعة بثوابها ما تكاسل عنها، ولو قرن العاصي المعصية بعقابها ما أقدم على فعلها.

شبهة للنصارى والجواب عنها .

الفتنة في عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ كانت بسبب فقدان عنصر الذكورة، وتوفر عنصر الأنوثة، والحقيقة أنه بهذا القياس تكون الفتنة بآدم أشد، فهو قد توفر فيه العنصران الذكورة والأنوثة، ومع ذلك لم يؤله أحد أو يدعي أنه ابن الله تعالى.

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٣).

* ﴿نَزَّلْنَا﴾.

الفرق بين ﴿نَزَّلْنَا﴾ و(أنزلنا).

كلمة ﴿نَزَّلْنَا﴾ تفيد أن القرآن نزل منجمـاً، فتأتي لتحدي الكفار،أما كلمة

(أنزلنا) فهي تأتي بمعنى إنزال القرآن جملة واحدة، ولم يقع به التحدي[١].

﴿وَٱدۡعُواْ شُهَدَآءَكُم﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٣).

الشهداء سواء كانوا المعينين لكم على قرآنكم الذي ستؤلفونه في مقابلة هذا القرآن، أم كان الشهداء بمعنى الحاكمين على قرآنكم الذي ستؤلفونه في مقابلة القرآن الذي هو من عند الله تعالى، وهذا مفرط الثقة بصدق هذا القرآن، حيث أوكل لهم مهمة الإتيان بالشهداء[٢].

﴿إِن كُنتُمۡ صَٰدِقِينَ ﴿٢٣﴾﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٣).

أي صادقين في ريبكم[٣].

﴿وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ جَنَّٰتٖ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُۖ كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا قَالُواْ هَٰذَا ٱلَّذِي رُزِقۡنَا مِن قَبۡلُۖ وَأُتُواْ بِهِۦ مُتَشَٰبِهٗاۖ وَلَهُمۡ فِيهَآ أَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞۖ وَهُمۡ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٥).

﴿كُلَّمَا رُزِقُواْ مِنۡهَا مِن ثَمَرَةٖ رِّزۡقٗا﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٥).

ذُكِرت أسماء الفاكهة في القرآن، لأن المؤمنين اعتادوا عليها في الدنيا، كما لو كان في بلد الرجل فاكهة معينة مثل "المانجو" فسافر إلى بلدٍ آخر فوجد فيها "المانجو" فإنه سيأكل منها، لأنه يعرفها ولا يأكل غيرها من فاكهة البلد لأنه لا يعرفها ولم يجربها من قبل، فذكر أسماء الفاكهة هو للإيلاف والاستئناس .

(١) (في المطبوع ١/ ١٩٤)
(٢) (في المطبوع ١/ ١٩٨)
(٣) (في المطبوع ١/ ١٩٩)

﴿جَنَّٰتٍ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٥).

من تحتها الأنهار، أي أنهارها منها، ليس لها منبع يتحكم بها فيمنعها .

فائدة علمية في ذكر شبهة وجوابها .

لماذا لم يذكر الله تعالى نعيمًا للمرأة من تعدد الأزواج كما ذكر نعيمًا للرجال بتعدد الزوجات؟

والجواب: إن الله أكرم المرأة من تعدد الرجال عليها في الجنة، فتكون متعة لمن أراد، فكما تأنف بعض النساء في الدنيا من تعدد الرجال عليها ولو بالمباح فكذلك الأمر في الآخرة .

﴿إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسۡتَحۡيِۦٓ أَن يَضۡرِبَ مَثَلٗا مَّا بَعُوضَةٗ فَمَا فَوۡقَهَاۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ فَيَعۡلَمُونَ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّ مِن رَّبِّهِمۡۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلٗاۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرٗا وَيَهۡدِي بِهِۦ كَثِيرٗاۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلۡفَٰسِقِينَ ٢٦﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٦).

﴿فَمَا فَوۡقَهَا﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٦).

تحتمل معنيين :

أي في الصغر الذي تنتقدونه، وليس المراد أكبر منها، فكما جعل الله الفيل كائنًا حيًا بكل أجهزته الحيوية، جعل البعوضة والذبابة كائنين حيين بنفس الأجهزة التي لدى الفيل، والإعجاز في البعوضة والذبابة أعظم منه في الفيل وغيره.

فوقها في الغرابة وليس في الحجم[1].

(١) (في المطبوع ١/ ٢١١)

﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٧).

* ﴿ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٧).

أول علامات الفسق هو نقض العهد، والعهد هنا هو عهد الفطرة في التفكير في النافع لهم .

﴿وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَٰٓئِكَةِ إِنِّى جَاعِلٌ فِى ٱلْأَرْضِ خَلِيفَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ ٱلدِّمَآءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ ۖ قَالَ إِنِّىٓ أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (سورة البقرة، الآية ٣٠).

* ﴿قَالَ رَبُّكَ﴾

جاء بلفظ ﴿رَبُّكَ﴾ ولم يقل (الله) لإن المقام مقام تربية وخلق ورزق .

* ﴿لِلْمَلَٰٓئِكَةِ﴾

المقصود بهم هم الملائكة الذين لهم علاقة بخلق آدم من الكتبة والحفظة والرقيب والعتيد وغيرهم، فهناك ملائكة لا يشملهم هذا الخطاب بدليل قوله تعالى لابليس ﴿أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ﴿٧٥﴾﴾ (سورة ص٧٥)، والعالون هم ملائكة الملأ الأعلى[1].

﴿وَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ ٱسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ ٱلْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٣٥﴾﴾ (سورة البقرة، الآية ٣٥).

* ﴿وَلَا تَقْرَبَا هَٰذِهِ ٱلشَّجَرَةَ﴾ (سورة البقرة، الآية ٣٥).

(١) (في المطبوع ١/ ٢٥٥)

نهاهما عن القربان والذي وقع منهما الأكل، والمراد بالنهي ألا يقتربا منها، لإن من اقترب أوشك على الوقوع، فالمطلوب هو البعد تماماً عن المحرمات، وعن محيط المحرمات[(١)].

❊ ﴿ وَقُلْنَا ﴾

الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يستخدم في خطاب الوحدانية ضمير المتكلم كقوله تعالى ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّهُۥٓ أَنَا ٱللَّهُ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ٩﴾ (النمل الآية ٩)، وفي مقام الأفعال والخلق يستخدم ضمير الجمع كقوله تعالى ﴿نَّحْنُ خَلَقْنَٰهُمْ وَشَدَدْنَآ أَسْرَهُمْ ۖ وَإِذَا شِئْنَا بَدَّلْنَآ أَمْثَٰلَهُمْ تَبْدِيلًا ٢٨﴾ (الإنسان، ٢٨)، وذلك لأن الخلق يحتاج إلى صفاتٍ كثيرة من العلم والحكمة والقوة وغيرها، بخلاف الوحدانية التي يصح فيها ضمير المتكلم الفرد[(٢)].

﴿فَأَزَلَّهُمَا ٱلشَّيْطَٰنُ عَنْهَا فَأَخْرَجَهُمَا مِمَّا كَانَا فِيهِ ۖ وَقُلْنَا ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ وَلَكُمْ فِى ٱلْأَرْضِ مُسْتَقَرٌّ وَمَتَٰعٌ إِلَىٰ حِينٍ ٣٦﴾ (سورة البقرة، الآية ٣٦).

❊ ﴿ٱهْبِطُوا۟ بَعْضُكُمْ لِبَعْضٍ عَدُوٌّ ۖ﴾

الله تَبَارَكَ وَتَعَالَى يخاطب هنا آدم وذريته، فالخطاب هنا جاء للجمع، والموجود وقت الخطاب آدم وحواء، فيكون المقصود بالخطاب هم آدم وذريته[(٣)].

إبليس كان يدخل الجنة تكريماً، ثم دخلها إغواءً، كما لو كان صديقك يدخل بيتك مكرماً، ثم طردته بعد ذلك، فيدخله متسللاً.

---

(١) (في المطبوع ١/ ٢٦٤)

(٢) (في المطبوع ١/ ٢٦١)

(٣) (في المطبوع ١/ ٢٧٧)

﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتِيَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتُ عَلَيۡكُمۡ وَأَوۡفُواْ بِعَهۡدِيٓ أُوفِ بِعَهۡدِكُمۡ وَإِيَّٰيَ فَٱرۡهَبُونِ ٤٠﴾ (سورة البقرة، الآية ٤٠).

* ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾

الله تعالى يخاطب اليهود ببني إسرائيل، والسر في ذك أن إسرائيل هو يعقوب عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وكأنه يذكرهم بوصية أبيهم من ﴿أَمۡ كُنتُمۡ شُهَدَآءَ إِذۡ حَضَرَ يَعۡقُوبَ ٱلۡمَوۡتُ إِذۡ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعۡبُدُونَ مِنۢ بَعۡدِيۖ قَالُواْ نَعۡبُدُ إِلَٰهَكَ وَإِلَٰهَ ءَابَآئِكَ إِبۡرَٰهِـۧمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ إِلَٰهٗا وَٰحِدٗا وَنَحۡنُ لَهُۥ مُسۡلِمُونَ ١٣٣﴾ (سورة البقرة، الآية ١٣٣)، فأنتم قد خالفتم وصية أبيكم من قبل، تماماً كما لو رأيت رجلاً فاسقاً وتذكره بأبيه الصالح[(١)].

﴿ٱلَّذِينَ يَظُنُّونَ أَنَّهُم مُّلَٰقُواْ رَبِّهِمۡ وَأَنَّهُمۡ إِلَيۡهِ رَٰجِعُونَ ٤٦﴾ (سورة البقرة، الآية ٤٦).

* ﴿يَظُنُّونَ﴾

عبر بالظن هنا وهو بمعنى اليقين، فهم بمجرد ظنهم عرفوا المنهج واتبعوه فكيف باليقين، وكأنه يقول التعبير بالظن أبلغ من التعبير باليقين[(٢)].

﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا يُؤۡخَذُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤٨﴾ (سورة البقرة، الآية ٤٨).

﴿وَٱتَّقُواْ يَوۡمٗا لَّا تَجۡزِي نَفۡسٌ عَن نَّفۡسٖ شَيۡـٔٗا وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ وَلَا تَنفَعُهَا شَفَٰعَةٞ وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ١٢٣﴾ (سورة البقرة، الآية ١٢٣).

* ﴿وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا شَفَٰعَةٞ﴾ ﴿وَلَا يُقۡبَلُ مِنۡهَا عَدۡلٞ﴾.

---

(١) (في المطبوع ١/ ٢٨٧)

(٢) (في المطبوع ١/ ٣١٠)

الآية الأولى تتكلم عن صاحب العمل لو شفع هو لغيره، فلن يقبل منه فليس هو أهل للشفاعة حتى يشفع، وحتى عمله ليس بنافعه أصلاً.

أما الآية الثانية فهي تتكلم عن صاحب العمل الذي يبحث عن الشفعاء، بعد أن أيس من عمله أن ينفعه فليس بالعمل الصالح الذي يقدمه، فلا هو بالذي نفعه عمله، ولا هو بالذي انتفع بشفاعة غيره[١].

﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٤٩﴾﴾ (سورة البقرة، الآية ٤٩).

❊ ﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم﴾

الفرق بين (نجى) و(أنجى) أن كلمة نجى تفيد أنه أنقذهم من عذاب واقع بهم، وكلمة (أنجى) تفيد أنه أبعد عنهم العذاب، فالأولى خلصهم من العذاب الذي هم فيه، والثانية أبعدهم عن محيط العذاب فلا يقربهم، وهذا من فضل الله عليهم مرتين[٢].

﴿يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ﴾ (سورة البقرة، الآية ٤٩).

السبب في سوم فرعون العذاب لبني إسرائيل، أنهم والوا قوم (الهكسوس) الذين كانوا في زمن يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، حينما تغلبوا على الفراعنة وأخرجوهم من مصر، فلما عاد الفراعنة إلى الحكم أنزلوا بالموالين للهكسوس ومنهم بنو إسرائيل سوء العذاب، ثم كانت الرؤيا التي بسببها بدأ فرعون بقتل أبناءهم، واستحياء نساءهم.[٣]

---

(١) (في المطبوع ١/ ٣١٦)
(٢) (في المطبوع ١/ ٣٢٥)
(٣) (في المطبوع ١/ ٣٢٧)

﴿يُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْۚ﴾ (سورة البقرة، الآية ٤٩).

في سورة الأعراف قال الله تعالى ﴿وَإِذْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ ۖ يُقَتِّلُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿١٤١﴾﴾ سورة الأعراف.

وفي سورة إبراهيم قال الله تعالى ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِ ٱذْكُرُوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ عَلَيْكُمْ إِذْ أَنجَىٰكُم مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوٓءَ ٱلْعَذَابِ وَيُذَبِّحُونَ أَبْنَآءَكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَآءَكُمْ ۚ وَفِى ذَٰلِكُم بَلَآءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ ﴿٦﴾﴾ سورة إبراهيم

جاء العطف بين سوم العذاب والقتل في سورة إبراهيم، ولم يأت في سورة البقرة وسورة آل عمران، والسبب أن الكلام في البقرة والأعراف هو من كلام الله تعالى، وفي سورة إبراهيم هو من كلام موسى، والله تعالى حين يذكر هذا فإنه يذكره في سياق النعم وليس في تفصيلها، فلذلك لم يعطف الواو، كما هو في كلام موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في سورة إبراهيم[1].

﴿وَإِذْ قُلْتُمْ يَٰمُوسَىٰ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَٰحِدٍ فَٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُخْرِجْ لَنَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ مِنۢ بَقْلِهَا وَقِثَّآئِهَا وَفُومِهَا وَعَدَسِهَا وَبَصَلِهَا ۖ قَالَ أَتَسْتَبْدِلُونَ ٱلَّذِى هُوَ أَدْنَىٰ بِٱلَّذِى هُوَ خَيْرٌ ۚ ٱهْبِطُوا۟ مِصْرًا فَإِنَّ لَكُم مَّا سَأَلْتُمْ ۗ وَضُرِبَتْ عَلَيْهِمُ ٱلذِّلَّةُ وَٱلْمَسْكَنَةُ وَبَآءُو بِغَضَبٍ مِّنَ ٱللَّهِ ۗ ذَٰلِكَ بِأَنَّهُمْ كَانُوا۟ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّۦنَ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ۗ ذَٰلِكَ بِمَا عَصَوا۟ وَّكَانُوا۟ يَعْتَدُونَ ﴿٦١﴾﴾ (سورة البقرة، الآية ٦١).

(١) (في المطبوع ١/ ٣٢٣)

❁ ﴿ لَن نَّصْبِرَ عَلَىٰ طَعَامٍ وَاحِدٍ ﴾

السبب في طلب بني إسرائيل تغيير المن والسلوى، هو ضعف إيمانهم بالغيب، فإنهم كانوا يخافون أن ينقطع عنهم المن والسلوى، فأرادوا أن يأكلوا من شيء، يعتقدون أنه لن ينقطع عنهم[١].

﴿ وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَا بَعْضُهُمْ إِلَىٰ بَعْضٍ قَالُوا أَتُحَدِّثُونَهُم بِمَا فَتَحَ اللَّهُ عَلَيْكُمْ لِيُحَاجُّوكُم بِهِ عِندَ رَبِّكُمْ ۚ أَفَلَا تَعْقِلُونَ ﴿٧٦﴾ ﴾ (سورة البقرة، الآية ٧٦).

❁ ﴿بِمَا فَتَحَ اللَّهُ﴾

سموه فتحاً، ولم يسموه علماً أو معرفة .

❁ ﴿لِيُحَاجُّوكُم﴾

خافوا من المحاجة، ولا يخاف منها إلا من هو على باطل .

❁ ﴿عِندَ رَبِّكُمْ﴾

اعترفوا بربوبية الله، ولم يقولوا عند ربهم .

وهذا كله من سوء حظهم، حيث اعترفوا بألسنتهم بما يدينهم، ونهاية الآية تدل على أنهم لا عقل لهم[٢].

﴿أَوَلَا يَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (سورة البقرة، الآية ٧٧).

❁ ﴿مَا يُسِرُّونَ وَمَا يُعْلِنُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾

---

(١) (في المطبوع ١/ ٣٦٣)

(٢) (في المطبوع ١/ ٤٠٨)

قدم الله السر على العلانية حتى لا يظنوا أن الله تعالى وهو غيب عنا، أنه لا يعلم إلا العلانية، فيخفى عليه إسرارهم، فقدم العلم بالسر على العلانية، ليعلموا أنه سبحانه محيط بكل شيء، ولا يخفى عليه شيء من سرهم وعلانيتهم[(١)].

﴿وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ لَا يَعۡلَمُونَ ٱلۡكِتَٰبَ إِلَّآ أَمَانِيَّ وَإِنۡ هُمۡ إِلَّا يَظُنُّونَ ٧٨﴾ (سورة البقرة، الآية ٧٨).

* ﴿وَمِنۡهُمۡ أُمِّيُّونَ﴾

هذا الوصف لهم يعطي عزاءً من الله تعالى لنبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، أن أكثر اليهود لا يعرفون الكتاب، ولا يعرفون نعته في الكتاب، ولو علموا لآمنوا به، ولكن العلم به محصور بأهل العلم منهم[(٢)].

﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ يَكۡتُبُونَ ٱلۡكِتَٰبَ بِأَيۡدِيهِمۡ ثُمَّ يَقُولُونَ هَٰذَا مِنۡ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتۡ أَيۡدِيهِمۡ وَوَيۡلٞ لَّهُم مِّمَّا يَكۡسِبُونَ ٧٩﴾ (سورة البقرة، الآية ٧٩).

* ﴿لِيَشۡتَرُواْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗا﴾

المفترض أنهم يبيعون، لكنهم يشترون ما عند الناس بعلمهم، وما لديهم من الآيات، وهم هنا قد عكسوا الوضع[(٣)].

* ﴿فَوَيۡلٞ لَّهُم﴾

كرر الويل ثلاث مرات، عند الكتابة، وعند الصفقة ويل لهم، وما يكسبونه

(١) (في المطبوع ١/ ٤١١)
(٢) (في المطبوع ١/ ٤١٤)
(٣) (في المطبوع ١/ ٤٢١)

من كتابتهم ويل لهم[١].

﴿وَقَالُواْ لَن تَمَسَّنَا ٱلنَّارُ إِلَّآ أَيَّامًا مَّعۡدُودَةًۚ قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا فَلَن يُخۡلِفَ ٱللَّهُ عَهۡدَهُۥٓۖ أَمۡ تَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٨٠﴾ (سورة البقرة، الآية ٨٠).

* ﴿قُلۡ أَتَّخَذۡتُمۡ عِندَ ٱللَّهِ عَهۡدًا﴾

لم يجزم بذلك أدباً مع الله تعالى، فقد يكون لهم عهد، وهو لا يعلم عنه شيئاً[٢].

﴿وَإِذۡ أَخَذۡنَا مِيثَٰقَ بَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ لَا تَعۡبُدُونَ إِلَّا ٱللَّهَ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَانٗا وَذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَٱلۡيَتَٰمَىٰ وَٱلۡمَسَٰكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ حُسۡنٗا وَأَقِيمُواْ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتُواْ ٱلزَّكَوٰةَ ثُمَّ تَوَلَّيۡتُمۡ إِلَّا قَلِيلٗا مِّنكُمۡ وَأَنتُم مُّعۡرِضُونَ ٨٣﴾ (سورة البقرة، الآية ٨٣).

* ﴿وَقُولُواْ لِلنَّاسِ﴾

من لم يكن لديه أبوين يحسن إليهما، ولا يستطيع الإحسان لذوي القربى والمساكين، فلا أقل من أن يقول للناس حسناً .

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا مُوسَى ٱلۡكِتَٰبَ وَقَفَّيۡنَا مِنۢ بَعۡدِهِۦ بِٱلرُّسُلِۖ وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ وَأَيَّدۡنَٰهُ بِرُوحِ ٱلۡقُدُسِۗ أَفَكُلَّمَا جَآءَكُمۡ رَسُولُۢ بِمَا لَا تَهۡوَىٰٓ أَنفُسُكُمُ ٱسۡتَكۡبَرۡتُمۡ فَفَرِيقٗا كَذَّبۡتُمۡ وَفَرِيقٗا تَقۡتُلُونَ ٨٧﴾ (سورة البقرة، الآية ٨٧).

* ﴿وَءَاتَيۡنَا عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ٱلۡبَيِّنَٰتِ﴾

---

(١) (في المطبوع ١/ ٤٢١)
(٢) (في المطبوع ١/ ٤٢٤)

لما طغت الماديات على بني إسرائيل، كان لا بد من نبي تكون كل شئونه غيبية، فجاء عيسى الذي كانت ولادته بشيء غيبي، ورفعه بشيء غيبي، لا دخل للمادة فيها، فنقلهم بهذه الأشياء الغيبية، من الماديات إلى الروحانيات[١].

❊ ﴿وَأَيَّدْنَٰهُ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ﴾

كل الأنبياء مؤيدون بروح القدس، لكن عيسى عَلَيْهِ السَّلَامُ في كل أفعاله مؤيد بروح القدس، ولم يفارقه جبريل أبداً[٢].

﴿وَلَمَّا جَآءَهُمْ كِتَٰبٌ مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُصَدِّقٌ لِّمَا مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَلَمَّا جَآءَهُم مَّا عَرَفُوا۟ كَفَرُوا۟ بِهِۦ ۚ فَلَعْنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٨٩﴾﴾

(سورة البقرة، الآية ٨٩).

❊ ﴿مَعَهُمْ وَكَانُوا۟ مِن قَبْلُ يَسْتَفْتِحُونَ عَلَى ٱلَّذِينَ﴾

من أسباب إيمان أهل المدينة بالنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعد أن كذب به أهل مكة وأهل الطائف، ما كانوا يسمعونه من اليهود عن النبي الجديد، فآمنوا به وذهبوا إلى مكة يقابلونه، ثم نشروا دعوته في المدينة قبل قدومه، والله عَزَّ وَجَلَّ استخدم عناد أهل الكتاب في نشر دعوته وإيمان الناس به[٣].

❊ فائدة تربوية.

العقوبات العاجلة في الدنيا، تكون إنذاراً بالعدل، حتى للذين لا يؤمنون بالآخرة، فيعرفوا أن هناك موازين للعدل في الدنيا[٤].

(١) في المطبوع ١/ ٤٤٥
(٢) في المطبوع ١/ ٤٤٦
(٣) في المطبوع ١/ ٤٥٥
(٤) في المطبوع ١/ ٤٥٨

﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ ءَامِنُوا۟ بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُوا۟ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرُونَ بِمَا وَرَآءَهُۥ وَهُوَ ٱلْحَقُّ مُصَدِّقًا لِّمَا مَعَهُمْ ۗ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴿٩١﴾﴾ (سورة البقرة، الآية ٩١).

❊ ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنۢبِيَآءَ ٱللَّهِ مِن قَبْلُ﴾

قوله تعالى ﴿مِن قَبْلُ﴾ فيه إخبار عن عجزهم عن قتل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، لإن هذا الأمر قد انتهى، وفيه معجزة له صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بعجزهم عن قتله وحفظ الله له[١].

﴿أَلَمْ تَعْلَمْ أَنَّ ٱللَّهَ لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۗ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ ٱللَّهِ مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿١٠٧﴾﴾ (سورة البقرة، الآية ١٠٧).

❊ ﴿مِن وَلِيٍّ وَلَا نَصِيرٍ﴾

قد يكون وليـًا، لكنه لا يملك النصرة .

وقد يملك النصرة، لكنه ليس بولي .

والله تعالى قد جمع الولاية والنصرة، وهذا هو الأكمل[٢].

﴿وَدَّ كَثِيرٌ مِّنْ أَهْلِ ٱلْكِتَٰبِ لَوْ يَرُدُّونَكُم مِّنۢ بَعْدِ إِيمَٰنِكُمْ كُفَّارًا حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم مِّنۢ بَعْدِ مَا تَبَيَّنَ لَهُمُ ٱلْحَقُّ ۖ فَٱعْفُوا۟ وَٱصْفَحُوا۟ حَتَّىٰ يَأْتِىَ ٱللَّهُ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٠٩﴾﴾ (سورة البقرة، الآية ١٠٩).

❊ ﴿حَسَدًا مِّنْ عِندِ أَنفُسِهِم﴾

حسدهم هو اثبات أن المؤمنين في نعمة الإيمان، فالحسد لا يكون إلا لزوال

(١) (في المطبوع ١/ ٤٣٦)
(٢) (في المطبوع ١/ ٥١٩)

نعمة موجودة عند الغير[١].

﴿وَإِذْ جَعَلْنَا ٱلْبَيْتَ مَثَابَةً لِّلنَّاسِ وَأَمْنًا وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى ۖ وَعَهِدْنَآ إِلَىٰٓ إِبْرَٰهِـۧمَ وَإِسْمَـٰعِيلَ أَن طَهِّرَا بَيْتِىَ لِلطَّآئِفِينَ وَٱلْعَـٰكِفِينَ وَٱلرُّكَّعِ ٱلسُّجُودِ ﴿١٢٥﴾﴾

(سورة البقرة، الآية ١٢٥).

❊ ﴿وَٱتَّخِذُوا۟ مِن مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ مُصَلًّى﴾

الإشارة كانت من عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في إتخاذ المقام مصلى، وقد حصل لعمر موافقات للقرآن في كثير من الأمور التي وقعت كالحجاب وغيره، والسر في كون الموافقات تأتي من عمر ولم تأت من النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وهو أكمل وأفضل، ذلك أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ نبي مؤيد بالوحي، أما عمر فهو بشر لا ينزل عليه الوحي، والحكمة من هذا، أن الإنسان إذا صفت فطرته، وخلص عقله، اهتدى إلى حكم الله تعالى، ووافقه ولو لم يكن نبياً .

❊ ﴿مَّقَامِ إِبْرَٰهِـۧمَ﴾

الراجح أن الآثار الموجودة في المقام هي آثار إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، والسبب والله أعلم أن هذا القالب من صنع إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لكي يثبت أقدامه أثناء رفع الحجارة، حتى لا تميل به فتسقط[٢].

﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ مِنَ ٱلْبَيْتِ وَإِسْمَـٰعِيلُ رَبَّنَا تَقَبَّلْ مِنَّآ ۖ إِنَّكَ أَنتَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿١٢٧﴾﴾ (سورة البقرة، الآية ١٢٧).

❊ ﴿وَإِذْ يَرْفَعُ إِبْرَٰهِـۧمُ ٱلْقَوَاعِدَ﴾

---

(١) (في المطبوع ١/ ٥٢٤)
(٢) (في المطبوع ١/ ٥٨٠)

استخدم الفعل المضارع ﴿يَرْفَعُ﴾ مع أن البناء تم وانقضى، والحكمة في ذلك حتى يستشعر المرء رؤية إبراهيم وعمله في بناء البيت كأنه الآن[١].

﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ وَمَنْ أَحْسَنُ مِنَ ٱللَّهِ صِبْغَةً وَنَحْنُ لَهُۥ عَٰبِدُونَ ١٣٨﴾ (سورة البقرة، الآية ١٣٨).

* ﴿صِبْغَةَ ٱللَّهِ﴾

استخدم الله تعالى كلمة ﴿صِبْغَةَ﴾ ولم يستخدم كلمة أخرى مثل لون أو طلاء، والسبب أن الصبغ ينفذ إلى المصبوغ، ويتخلله ويصبح جزءاً منه، أما الطلاء والألوان الصناعية فإنها لا تنفذ إلى المصبوغ، ولا تتجاوز ظاهره، بعكس كلمة (الصبغ) فهي تنفذ إلى داخله[٢].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِصَاصُ فِى ٱلْقَتْلَى ٱلْحُرُّ بِٱلْحُرِّ وَٱلْعَبْدُ بِٱلْعَبْدِ وَٱلْأُنثَىٰ بِٱلْأُنثَىٰ فَمَنْ عُفِىَ لَهُۥ مِنْ أَخِيهِ شَىْءٌ فَٱتِّبَاعٌۢ بِٱلْمَعْرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيْهِ بِإِحْسَٰنٍ ذَٰلِكَ تَخْفِيفٌ مِّن رَّبِّكُمْ وَرَحْمَةٌ فَمَنِ ٱعْتَدَىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٌ ١٧٨﴾ (سورة البقرة، الآية ١٧٨).

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾

الفرق بين ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾ و(كتب لنا)

كتب لنا: فيه منفعة لكم.

﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ﴾: فيها مشقة[٣].

(١) (في المطبوع ١/ ٥٨٥)
(٢) (في المطبوع ١/ ٦١٢)
(٣) (في المطبوع ٢/ ٧٤٤)

﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞۚ فَمَن فَرَضَ فِيهِنَّ ٱلۡحَجَّ فَلَا رَفَثَ وَلَا فُسُوقَ وَلَا جِدَالَ فِي ٱلۡحَجِّۗ وَمَا تَفۡعَلُواْ مِنۡ خَيۡرٖ يَعۡلَمۡهُ ٱللَّهُۗ وَتَزَوَّدُواْ فَإِنَّ خَيۡرَ ٱلزَّادِ ٱلتَّقۡوَىٰۖ وَٱتَّقُونِ يَٰٓأُوْلِي ٱلۡأَلۡبَٰبِ ١٩٧﴾ (سورة البقرة، الآية ١٩٧).

* ﴿ٱلۡحَجُّ أَشۡهُرٞ مَّعۡلُومَٰتٞ﴾

في آيات الصيام قال الله تعالى ﴿شَهۡرُ رَمَضَانَ ٱلَّذِيٓ أُنزِلَ فِيهِ ٱلۡقُرۡءَانُ﴾ (البقرة، الآية ١٨٥). سمى الله شهر رمضان، ولم يسم أشهر الحج، والسبب أن الحج كانت تعرفه العرب، فلا حاجة لتسمية شهوره، أما الصيام فهي عبادة جديدة، لم تعرفها العرب من قبل، فسمي لأجل ذلك شهر رمضان(١).

﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ أَن تَدۡخُلُواْ ٱلۡجَنَّةَ وَلَمَّا يَأۡتِكُم مَّثَلُ ٱلَّذِينَ خَلَوۡاْ مِن قَبۡلِكُمۖ مَّسَّتۡهُمُ ٱلۡبَأۡسَآءُ وَٱلضَّرَّآءُ وَزُلۡزِلُواْ حَتَّىٰ يَقُولَ ٱلرَّسُولُ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مَعَهُۥ مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤﴾ (سورة البقرة، الآية ٢١٤).

* ﴿أَمۡ حَسِبۡتُمۡ﴾

وأنتم وإن كنتم أمة مميزة، فهذا لا يعني أنكم تسلمون من الإبتلاء والامتحان، بل قد يكون ابتلاؤكم أشد وأعظم من غيركم(٢).

* ﴿وَزُلۡزِلُواْ﴾

معناه أنهم فتنوا من أكثر من جهة، وليس من جهة واحدة، وهو أبلغ في التعبير(٣).

* ﴿مَتَىٰ نَصۡرُ ٱللَّهِۗ أَلَآ إِنَّ نَصۡرَ ٱللَّهِ قَرِيبٞ ٢١٤﴾

---

(١) (في المطبوع ١/ ٨٤٣)
(٢) (في المطبوع ٢/ ٩١٤)
(٣) (في المطبوع ٢/ ٩١٥)

فيها استبطاءٌ، وفيها بشرى بالنصر القريب(١).

﴿ ٱلطَّلَٰقُ مَرَّتَانِۖ فَإِمۡسَاكُۢ بِمَعۡرُوفٍ أَوۡ تَسۡرِيحُۢ بِإِحۡسَٰنٖۗ وَلَا يَحِلُّ لَكُمۡ أَن تَأۡخُذُواْ مِمَّآ ءَاتَيۡتُمُوهُنَّ شَيۡـًٔا إِلَّآ أَن يَخَافَآ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِۖ فَإِنۡ خِفۡتُمۡ أَلَّا يُقِيمَا حُدُودَ ٱللَّهِ فَلَا جُنَاحَ عَلَيۡهِمَا فِيمَا ٱفۡتَدَتۡ بِهِۦۗ تِلۡكَ حُدُودُ ٱللَّهِ فَلَا تَعۡتَدُوهَاۚ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ ٱللَّهِ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ٢٢٩ ﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٢٩).

* ﴿فَلَا تَعۡتَدُوهَا﴾

هنا قال ﴿فَلَا تَعۡتَدُوهَا﴾ وفي الصيام قال ﴿فَلَا تَقۡرَبُوهَا﴾، والفرق.

* بعد النواهي يأتي ﴿فَلَا تَقۡرَبُوهَا﴾
* وبعد الأوامر يأتي ﴿فَلَا تَعۡتَدُوهَا﴾، والمنع حدٌّ، والمقصود حدكم هنا لا تتجاوزه، أما في النواهي، فالنفس تلح بفعل المحرمات فالأفضل ألا تقترب منها حتى لا تقع فيها(٢).

﴿حَٰفِظُواْ عَلَى ٱلصَّلَوَٰتِ وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ وَقُومُواْ لِلَّهِ قَٰنِتِينَ ٢٣٨﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٣٨).

* ﴿وَٱلصَّلَوٰةِ ٱلۡوُسۡطَىٰ﴾

أبهم الصلاة الوسطى فكأن المراد الاهتمام بكل الصلوات(٣).

﴿ ۞ أَلَمۡ تَرَ إِلَى ٱلَّذِينَ خَرَجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَهُمۡ أُلُوفٌ حَذَرَ ٱلۡمَوۡتِ فَقَالَ

---

(١) (في المطبوع ٢/ ٩١٦)
(٢) (في المطبوع ٢/ ٩٩٣)
(٣) (في المطبوع ٢/ ١٠٢٤)

لَهُمُ ٱللَّهُ مُوتُواْ ثُمَّ أَحۡيَٰهُمۡۚ إِنَّ ٱللَّهَ لَذُو فَضۡلٍ عَلَى ٱلنَّاسِ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَشۡكُرُونَ ﴿٢٤٣﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٤٣).

* ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾

قال ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ وهو لم يشاهد ولم ير شيئًا، وكان السياق أن يأتي (ألم تسمع) أو (ألم تعلم). لكنه قال ﴿أَلَمۡ تَرَ﴾ فالمقصود أنه إذا أخبرتك عن شيء سابق لوجودك، أو أخبرتك عن شيء سيقع بعد وجودك، فاعلم أنه صدق كأنك تراه، لأن الذي أخبرك به هو الله تعالى، الذي هو أصدق من كل الحواس[(١)].

* ﴿وَهُمۡ أُلُوفٌ﴾

وصف العدد أراد به أنهم غثاء كغثاء السيل ليس فيهم رجل رشيد، ينصحهم ويخبرهم أن الهروب لا يمنع الموت[(٢)].

﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗاۚ قَالُوٓاْ أَنَّىٰ يَكُونُ لَهُ ٱلۡمُلۡكُ عَلَيۡنَا وَنَحۡنُ أَحَقُّ بِٱلۡمُلۡكِ مِنۡهُ وَلَمۡ يُؤۡتَ سَعَةٗ مِّنَ ٱلۡمَالِۚ قَالَ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰهُ عَلَيۡكُمۡ وَزَادَهُۥ بَسۡطَةٗ فِي ٱلۡعِلۡمِ وَٱلۡجِسۡمِۖ وَٱللَّهُ يُؤۡتِي مُلۡكَهُۥ مَن يَشَآءُۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٞ ﴿٢٤٧﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٤٧).

* ﴿وَقَالَ لَهُمۡ نَبِيُّهُمۡ إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ طَالُوتَ مَلِكٗا﴾

هذا من أدب النبي مع ربه تعالى، فإنهم قالوا ﴿ٱبۡعَثۡ لَنَا مَلِكٗا﴾ فلم يقل النبي (بعثت لكم) وإنما قال ﴿إِنَّ ٱللَّهَ قَدۡ بَعَثَ لَكُمۡ﴾[(٣)].

(١) (في المطبوع ٢/ ١٠٣٤)
(٢) (في المطبوع ٢/ ١٠٣٥)
(٣) (في المطبوع ٢/ ١٠٤٦)

﴿لَا يُكَلِّفُ ٱللَّهُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَاۚ لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْۗ رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تَحْمِلْ عَلَيْنَآ إِصْرًا كَمَا حَمَلْتَهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِنَاۚ رَبَّنَا وَلَا تُحَمِّلْنَا مَا لَا طَاقَةَ لَنَا بِهِۦۖ وَٱعْفُ عَنَّا وَٱغْفِرْ لَنَا وَٱرْحَمْنَآۚ أَنتَ مَوْلَىٰنَا فَٱنصُرْنَا عَلَى ٱلْقَوْمِ ٱلْكَٰفِرِينَ ﴿٢٨٦﴾﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٨٦).

❊ ﴿لَهَا مَا كَسَبَتْ وَعَلَيْهَا مَا ٱكْتَسَبَتْ﴾

سبب الاختلاف بين الكلمتين:

❊ **كسب**: هو ما تأخذه بطريق سهل مأمون وهو الحسنة.

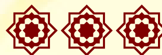
❊ **اكتسب**: ما تفعله وفيه مشقة وتعب وحذر.

والحسنة سهل اكتسابها وبلا حذر، والمعصية صعب فعلها، ومع الصعوبة حذر ومراقبة.

ومثال يوضح ذلك: نظرك إلى نساءك لا إثم فيه، ولا حرج ولا خوف، أما النظر إلى نساء الغير، ففيه حذر شديد، ومراقبة وتلصص.

وأما قوله تعالى ﴿بَلَىٰ مَن كَسَبَ سَيِّئَةً وَأَحَٰطَتْ بِهِۦ خَطِيٓـَٔتُهُۥ فَأُوْلَٰٓئِكَ أَصْحَٰبُ ٱلنَّارِۖ هُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٨١﴾﴾ (سورة البقرة، الآية ٨٢).

فهذا قد وصل إلى مرحلة من اكتساب السيئات، حتى صارت سهلة عليه، وجبلة له، يفعلها بلا خوف أو حذر[1].



(١) (في المطبوع ٢/ ١٢٤٤)

﴿ سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ ﴾

المناسبة بينها وبين سورة البقرة .

سورة البقرة استهلت بذكر آدم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وهو رجل بلا أم وأب، وسورة آل عمران استهلت بذكر عيسى بن مريم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وهو رجل من أم بلا أب[(١)].

﴿ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ٱلۡكِتَٰبَ بِٱلۡحَقِّ مُصَدِّقٗا لِّمَا بَيۡنَ يَدَيۡهِ وَأَنزَلَ ٱلتَّوۡرَىٰةَ وَٱلۡإِنجِيلَ ٣ ﴾

(سورة آل عمران، الآية ٣).

* ﴿ نَزَّلَ عَلَيۡكَ ﴾

الفرق بين (نزل) و(أنزل)

أنزل: تعني إنزال الشيء جملة واحدة، وهو ما وقع في الكتب السابقة، فإنها أنزلت مرة واحدة، وهو ما وقع للقرآن ليلة نزوله أول مرة، أنزل إلى السماء الدنيا، من اللوح المحفوظ، كما قال تعالى ﴿إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةِ ٱلۡقَدۡرِ ١﴾ سورة القدر، ومن ثم نزل منجماً حسب الحوادث[(٢)].

﴿ زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلۡبَنِينَ وَٱلۡقَنَٰطِيرِ ٱلۡمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلۡفِضَّةِ وَٱلۡخَيۡلِ ٱلۡمُسَوَّمَةِ وَٱلۡأَنۡعَٰمِ وَٱلۡحَرۡثِۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسۡنُ ٱلۡمَـَٔابِ ١٤ قُلۡ أَؤُنَبِّئُكُم بِخَيۡرٖ مِّن ذَٰلِكُمۡۚ لِلَّذِينَ ٱتَّقَوۡاْ عِندَ رَبِّهِمۡ جَنَّٰتٞ تَجۡرِي مِن تَحۡتِهَا ٱلۡأَنۡهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَأَزۡوَٰجٞ مُّطَهَّرَةٞ وَرِضۡوَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ بَصِيرُۢ بِٱلۡعِبَادِ ١٥ ﴾ (سورة آل عمران، الآيتين ١٤-١٥).

---

(١) (في المطبوع ٢/ ١٢٥٥)

(٢) (في المطبوع ٢/ ١٢٦٤)

* ﴿مِنَ ٱلنِّسَآءِ﴾ ﴿وَٱلْحَرْثِ﴾

في الآية السابقة ذكر الله تعالى من نعيم الدنيا، النساء والبنين والذهب والفضة والخيل والأنعام والحرث، وفي هذه الآية ذكر فقط الحرث والنسل، ولم يذكر البقية، والسبب أن البقية إنما يطلبها المرء بحثًا عن الرزق، فهو يركب الخيل، ويتزوج النساء، ويتاجر ويبيع، كله من أجل الرزق .

أما في الجنة فرزقه مكفول، وهو النساء والطعام(١).

* ﴿وَٱلْبَنِينَ﴾

ذكر البنين ولم يذكر البنات، وذلك لأن البنين هم المطلوب الأول للناس حتى للذين يهتمون بحقوق المرأة فيفضلون الابن على البنت(٢).

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يَكْفُرُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ بِغَيْرِ حَقٍّ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ فَبَشِّرْهُم بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ﴿٢١﴾﴾

(سورة آل عمران، الآية ٢١).

* ﴿وَيَقْتُلُونَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ﴾

في كل آيات القتل ذكر النبيين ولم يذكر الرسل، وذلك لأن الله لم يكن ليصطفي رسولاً ويبلغه بالوحي والشرع الجديد، ثم يسلط عليه الناس، فحتى تكتمل رسالته، لا يسلط عليه أحداً .

أما الأنبياء فإنهم يقتلون، لإنهم يمثلون القدوات الحسنة، ولم يأتوا بشرع جديد، فقدوتهم الحسنة، تزعج المنافقين، فيتسلطون عليهم(٣).

---

(١) (في المطبوع ٣/ ١٣٢٥)
(٢) (في المطبوع ٣/ ١٣١٢)
(٣) (في المطبوع ٣/ ١٣٧٢)

* ﴿ وَيَقْتُلُونَ ٱلَّذِينَ يَأْمُرُونَ بِٱلْقِسْطِ مِنَ ٱلنَّاسِ ﴾

أي عالم من علماء الإسلام ليس له أعداء، فقد نقص حظه من ميراث الأنبياء، ذلك لإن الأنبياء كان لهم أعداء، ومن كان له أعداء من العلماء، فقد نال نصيباً عظيماً من ميراث النبوة .

﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾ (سورة آل عمران، الآية ٣٧).

* ﴿قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ﴾

﴿أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا﴾ هذا أصل قانون المحاسبة، فعلى المرء إذا رأى شيئاً في يد أبنائه، أو من يعول أن يسألهم، من أين لهم هذا، وهم لا يملكون ثمنه[1].

* ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ﴿٣٧﴾ ﴾

قول مريم عَلَيْهَاٱلسَّلَامُ هذا القول، هو تحقيق للأمر العظيم القادم،وهو مجيء عيسى من غير أب، فقد رأت الرزق بلا جهدٍ يصل إليها، حتى تتعود على ما هو أعظم[2].

﴿ إِذْ قَالَتِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرْيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ يُبَشِّرُكِ بِكَلِمَةٍ مِّنْهُ ٱسْمُهُ ٱلْمَسِيحُ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ وَمِنَ ٱلْمُقَرَّبِينَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (سورة آل عمران، الآية ٤٥).

* ﴿وَجِيهًا فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ ﴾

---

(١) (في المطبوع ٣/ ١٤٤١)
(٢) (في المطبوع ٣/ ١٤٥٣)

لماذا قال ذلك لعيسى والأنبياء كلهم وجهاء؟.

قيل: لإنه سيسأل يوم القيامة أمام الناس كما في قوله تعالى ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ﴿١١٦﴾﴾ سورة المائدة

فيأتي جوابه هذا بما يظهر وجاهته، ويقرع به الذين كفروا[١].

﴿وَيُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا وَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٤٦﴾﴾ (سورة آل عمران، الآية ٤٦).

* ﴿فِي ٱلۡمَهۡدِ وَكَهۡلٗا﴾

قوله ﴿وَكَهۡلٗا﴾ أفادت نفي الألوهية عنه، لإن الكهولة معناه أنه يصيبه التغير والانتقال، من حال المهد إلى حال الكهولة، وهذا ينافي كونه إلهـًا، كما يزعم ذلك بعض من أتبعه، لإن الإله لا يصح عليه التغير[٢].

﴿إِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ فَوۡقَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓاْ إِلَىٰ يَوۡمِ ٱلۡقِيَٰمَةِۖ ثُمَّ إِلَيَّ مَرۡجِعُكُمۡ فَأَحۡكُمُ بَيۡنَكُمۡ فِيمَا كُنتُمۡ فِيهِ تَخۡتَلِفُونَ ﴿٥٥﴾﴾ (سورة آل عمران، الآية ٥٥).

* ﴿وَرَافِعُكَ إِلَيَّ﴾

من آمن ببداية المسيح المعجزة، والتي جاءت على غير النواميس البشرية، فعليه أن يؤمن برفع المسيح، وأنها أيضـًا على غير النواميس البشرية[٣].

---

(١) (في المطبوع ٣/ ١٤٦٥)
(٢) (في المطبوع ٣/ ١٤٦٨)
(٣) (في المطبوع ٣/ ١٥٠٥)

❊ ﴿وَجَاعِلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوكَ﴾

اتبعوك تحتمل معنيين:

❊ جاءو بعدك في الفترة الزمنية.

❊ اتبعوا المنهج الذي جئت به من توحيد الله تعالى .

والمعنيان كلاهما يشمل أمة محمد صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1] .

❊ الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى يرسل الرسل إذا عم الفساد في الأرض، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو آخر الرسل، لإنه تعالى قد ضمن خيرية هذه الأمة وأنها تظل قائمة تأمر بالمعروف وتنهى عن المنكر، فيكملون رسالة الأنبياء ويقاومون الشرك والإلحاد[2] .

❊ في الإنجيل لا يرد كلام المسيح عَلَيْهِ السَّلَامُ أنه تكلم في المهد لإنه قال ﴿إِنِّي عَبۡدُ ٱللَّهِ﴾ (سورة مريم، الآية ٣٠) وهذه الجملة تنسف المعتقد النصراني كاملاً .

﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ تَعَالَوۡاْ إِلَىٰ كَلِمَةٖ سَوَآءِۭ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكُمۡ أَلَّا نَعۡبُدَ إِلَّا ٱللَّهَ وَلَا نُشۡرِكَ بِهِۦ شَيۡـٔٗا وَلَا يَتَّخِذَ بَعۡضُنَا بَعۡضًا أَرۡبَابٗا مِّن دُونِ ٱللَّهِۚ فَإِن تَوَلَّوۡاْ فَقُولُواْ ٱشۡهَدُواْ بِأَنَّا مُسۡلِمُونَ ٦٤﴾ (سورة آل عمران، الآية ٦٤).

❊ ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾

نقلها كما جاءت تدل على امتثال النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ للوحي ونقله كما جاء .

❊ ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾

نجد في القرآن مواضع ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ ومواضع ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾ بدون الأمر ﴿قُلۡ﴾ فما الفرق بينهما؟

---

(١) (في المطبوع ٣/ ١٥٠٦)

(٢) (في المطبوع ٣/ ١٥٢٧)

الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ يتلطف أحيانـًا مع عباده، فيجعلهم أهلاً لمخاطبته مباشرة، فيقول ﴿يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، وإذا خاطبهم بـ ﴿قُلۡ يَٰٓأَهۡلَ ٱلۡكِتَٰبِ﴾، فمعناه أنهم لم يبلغوا السمو الذي يخاطبهم به مباشرة.

ويوضح ذلك، لو وقع جدال بينك وبين شخص، وطال الجدال بينكما، وهناك شخص ثالث موجود، وتريد إسكات المجادل، فتقول للشخص الثالث "قل لهذا فليسكت" فتترفع عن مخاطبته مباشرة .

﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَاۖ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ لَا يَضُرُّكُمۡ كَيۡدُهُمۡ شَيۡـًٔاۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعۡمَلُونَ مُحِيطٞ ١٢٠﴾ (سورة آل عمران، الآية ١٢٠).

* ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ حَسَنَةٞ تَسُؤۡهُمۡ وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ يَفۡرَحُواْ بِهَا﴾.

قال ﴿إِن تَمۡسَسۡكُمۡ﴾ ثم قال ﴿وَإِن تُصِبۡكُمۡ سَيِّئَةٞ﴾ والقياس أن يقول (وإن تمسسكم سيئة).

لكن هناك فرق بين المس والإصابة.

* **فالمس** علاقة فقط بين المس والممسوس الذي مسته الحسنة، فلا تتعداه إلى غيره، ولا تكون كذلك عظيمة .

* **أما المصيبة** فهي علاقة بين الإصابة والمصاب وزيادة، ولذلك فإن المصيبة إذا أصابت قومـًا، فإنها ترقق قلوب الناس عليهم، حتى أعداؤهم ترق قلوبهم عليهم .

ولكن هؤلاء، حتى المصيبة العظيمة التي تصيبكم، لا تلين قلوبهم، بل هم يظهرون فرحتهم بالمصيبة التي أصابتكم، وإن مسكم خير وإن كان هينـًا فإنه

يسؤهم، وهذا من فساد قلوبهم وسوء طويتهم[١].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَأْكُلُواْ ٱلرِّبَوٰٓاْ أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً ۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿١٣٠﴾ ﴾ (سورة آل عمران، الآية ١٣٠).

* ﴿أَضْعَٰفًا مُّضَٰعَفَةً﴾

ليس معناها إباحة الربا بغير مضاعفة، وإنما هي وصف لواقع الحال الذي كانوا عليه[٢].

سبب مجيء آيات الربا في وسط الآيات التي تتكلم عن معركة أحد، أن الربا هو الطمع بالزيادة في المال، والغنائم هي طمع في الزيادة، فكما أن الربا سبب لخسارة المجتمع، فكذلك الطمع في الغنائم، سبب للهزيمة في المعارك[٣].

﴿إِن يَمْسَسْكُمْ قَرْحٌ فَقَدْ مَسَّ ٱلْقَوْمَ قَرْحٌ مِّثْلُهُۥ ۚ وَتِلْكَ ٱلْأَيَّامُ نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ وَلِيَعْلَمَ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَيَتَّخِذَ مِنكُمْ شُهَدَآءَ ۗ وَٱللَّهُ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٤٠﴾ ﴾ (سورة آل عمران، الآية ١٤٠).

* ﴿نُدَاوِلُهَا بَيْنَ ٱلنَّاسِ﴾

قال الناس ولم يقل المؤمنين والكافرين، مع أن المعركة بين المؤمنين والكافرين، والسبب في هذا الاختيار ﴿ٱلنَّاسِ﴾ أنكم أيها المؤمنون إذا تخليتم عن الإيمان، فإنكم صرتم مثل بقية الناس، لا فضل لكم عليهم، فيصيبكم مثل ما يصيب الناس، والله وعدكم بالنصر إن كنتم مؤمنين، وهذا يفسر سبب تغلب

(١) (في المطبوع ٣/ ١٧٢١)
(٢) (في المطبوع ٣/ ١٧٤٩)
(٣) (في المطبوع ٣/ ١٧٤٥)

خالد بن الوليد في معركة أحد، لأن الرماة لما عصوا أمر الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم، أديل عليهم كما يدال على غيرهم من الناس[١].

﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ قَدۡ خَلَتۡ مِن قَبۡلِهِ ٱلرُّسُلُۚ أَفَإِيْن مَّاتَ أَوۡ قُتِلَ ٱنقَلَبۡتُمۡ عَلَىٰٓ أَعۡقَٰبِكُمۡۚ وَمَن يَنقَلِبۡ عَلَىٰ عَقِبَيۡهِ فَلَن يَضُرَّ ٱللَّهَ شَيۡـٔٗاۗ وَسَيَجۡزِي ٱللَّهُ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ (سورة آل عمران، الآية ١٤٤).

* ﴿وَمَا مُحَمَّدٌ إِلَّا رَسُولٌ﴾

النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ذكر اسمه محمداً أربع مرات في القرآن، وأحمد ذكر مرة واحدة .

والفرق بين الإثنين:

أن ﴿مُحَمَّدٌ﴾ هو الذي وقع عليه الحمد من غيره، كما تقول المكرم، وقع له التكريم من غيره، وسمي محمداً ولم يسم محموداً، لإن (محمود) يقع الحمد عليه مرة واحدة، ولكن ﴿مُحَمَّدٌ﴾ يقع الحمد عليه كثيراً، فمحمد هو صيغة المبالغة من محمود .

(أحمد) وهو الذي وقع منه الحمد لغيره، وأصلها حامد، وحامد حمد مرة واحدة، وأحمد حمد غيره كثيراً .

والسبب في ذلك أن اسم ﴿مُحَمَّدٌ﴾ يعني الاصطفاء، و(أحمد) يعني المجاهدة.

فهو قد اصطفاه الله تعالى، وهو قد جاهد لله تعالى .

فجمع الله له الدلالة والاصطفاء[٢].

(١) (في المطبوع ٣/ ١٧٨٠)

(٢) (في المطبوع ٣/ ١٧٨٧)

﴿لَقَدۡ مَنَّ ٱللَّهُ عَلَى ٱلۡمُؤۡمِنِينَ إِذۡ بَعَثَ فِيهِمۡ رَسُولٗا مِّنۡ أَنفُسِهِمۡ يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ وَيُزَكِّيهِمۡ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلۡكِتَٰبَ وَٱلۡحِكۡمَةَ وَإِن كَانُواْ مِن قَبۡلُ لَفِي ضَلَٰلٖ مُّبِينٍ ١٦٤﴾ (سورة آل عمران، الآية ١٦٤).

* ﴿يَتۡلُواْ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتِهِۦ﴾

الآية: هي النهاية في الكمال، فيقال آية في الجمال، آية في الذكاء .

والآيات نوعان :

* **آيات مقروءة** وهي القرآن الكريم .
* **آيات منظورة** وهي هذا الكون بكل ما فيه .

وأنزل الله تعالى كتابه، وأمر بقراءة وفهم آياته المقروءة، لتفهم بها الآيات المنظورة، فبقراءة القرآن يفهم الكون، ويعرف المراد من خلقه، وخلق ما فيه، ومن فيه[١].

﴿لَّقَدۡ سَمِعَ ٱللَّهُ قَوۡلَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ إِنَّ ٱللَّهَ فَقِيرٞ وَنَحۡنُ أَغۡنِيَآءُۘ سَنَكۡتُبُ مَا قَالُواْ وَقَتۡلَهُمُ ٱلۡأَنۢبِيَآءَ بِغَيۡرِ حَقّٖ وَنَقُولُ ذُوقُواْ عَذَابَ ٱلۡحَرِيقِ ١٨١﴾ (سورة آل عمران، الآية ١٨١).

مناسبة هذه الآية لما قبلها من آيات معركة أحد .

بعد أن عرض الله تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ أحداث ما وقع في معركة أحد، ومن أهم نتائجها أن عرف المؤمنون أعداءهم، وماذا فعلوا بنبييهم عَلَيۡهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، نبههم عَزَّوَجَلَّ إلى عدوهم الأهم وهم اليهود، وأخبرهم ماذا قالوا عن الله سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، وماذا فعلوا بأنبيائه عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ[٢].

---

(١) (في المطبوع ٣/ ١٨٥٤)
(٢) (في المطبوع ٣/ ١٩١٥)

﴿لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ وَلَتَسۡمَعُنَّ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلۡكِتَٰبَ مِن قَبۡلِكُمۡ وَمِنَ ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُوٓاْ أَذٗى كَثِيرٗاۚ وَإِن تَصۡبِرُواْ وَتَتَّقُواْ فَإِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ١٨٦﴾ (سورة آل عمران، الآية ١٨٦).

* ﴿لَتُبۡلَوُنَّ فِيٓ أَمۡوَٰلِكُمۡ وَأَنفُسِكُمۡ﴾

قدم البلاء في المال على البلاء في النفس، والسبب:

أن البلاء في المال عام وشامل يقع للجميع، أما البلاء في النفس وهو القتل، فهو لا يقع إلا للقليل[1].

﴿رَّبَّنَآ إِنَّنَا سَمِعۡنَا مُنَادِيٗا يُنَادِي لِلۡإِيمَٰنِ أَنۡ ءَامِنُواْ بِرَبِّكُمۡ فَـَٔامَنَّاۚ رَبَّنَا فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا وَتَوَفَّنَا مَعَ ٱلۡأَبۡرَارِ ١٩٣﴾ (سورة آل عمران، الآية ١٩٣).

* ﴿فَٱغۡفِرۡ لَنَا ذُنُوبَنَا وَكَفِّرۡ عَنَّا سَيِّـَٔاتِنَا﴾

ذكر هنا مغفرة الذنوب وتكفير السيئات، والفرق بينهما:

* أن مغفرة الذنوب تكون على معصية الرب سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، أي ما كان حقـًا لله عَزَّوَجَلَّ.
* أما تكفير السيئات فهو ما يكون في حق العباد[2].

﴿فَٱسۡتَجَابَ لَهُمۡ رَبُّهُمۡ أَنِّي لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَٰمِلٖ مِّنكُم مِّن ذَكَرٍ أَوۡ أُنثَىٰۖ بَعۡضُكُم مِّنۢ بَعۡضٖۖ فَٱلَّذِينَ هَاجَرُواْ وَأُخۡرِجُواْ مِن دِيَٰرِهِمۡ وَأُوذُواْ فِي سَبِيلِي وَقَٰتَلُواْ

(١) (في المطبوع ٣/ ١٩٢٠)

(٢) (في المطبوع ٤/ ١٩٦٤)

وَقُتِلُوا۟ لَأُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ وَلَأُدْخِلَنَّهُمْ جَنَّـٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَـٰرُ
ثَوَابًا مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ ۗ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلثَّوَابِ ﴿١٩٥﴾ (سورة آل عمران، الآية ١٩٥).

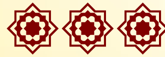
* ﴿فَٱسْتَجَابَ لَهُمْ رَبُّهُمْ أَنِّى لَآ أُضِيعُ عَمَلَ عَـٰمِلٍ مِّنكُم﴾

هم سألوه عدة أمور، فأجابهم أنه لا يضيع أعمالهم فأرشدهم إلى العمل، وأن العمل هو مفتاح إجابة الدعاء[١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟ وَرَابِطُوا۟ وَٱتَّقُوا۟ ٱللَّهَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ ﴿٢٠٠﴾﴾ (سورة آل عمران، الآية ٢٠٠).

* ﴿ٱصْبِرُوا۟ وَصَابِرُوا۟﴾

أمرهم بالمصابرة وألا يكتفوا بالصبر فقط، لأن عدوهم قد يصبر مثلهم فيساويهم في الصبر، فالمطلوب منهم الصبر والزيادة في الصبر[٢].



(١) (في المطبوع ٤/ ١٩٦٦)
(٢) (في المطبوع ٤/ ١٩٧٤)

سُورَةُ النِّسَاءِ

﴿ يُوصِيكُمُ ٱللَّهُ فِيٓ أَوۡلَٰدِكُمۡۖ لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِۚ فَإِن كُنَّ نِسَآءٗ فَوۡقَ ٱثۡنَتَيۡنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَۖ وَإِن كَانَتۡ وَٰحِدَةٗ فَلَهَا ٱلنِّصۡفُۚ وَلِأَبَوَيۡهِ لِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُۥ وَلَدٞۚ فَإِن لَّمۡ يَكُن لَّهُۥ وَلَدٞ وَوَرِثَهُۥٓ أَبَوَاهُ فَلِأُمِّهِ ٱلثُّلُثُۚ فَإِن كَانَ لَهُۥٓ إِخۡوَةٞ فَلِأُمِّهِ ٱلسُّدُسُۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِي بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍۗ ءَابَآؤُكُمۡ وَأَبۡنَآؤُكُمۡ لَا تَدۡرُونَ أَيُّهُمۡ أَقۡرَبُ لَكُمۡ نَفۡعٗاۚ فَرِيضَةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمٗا ١١ ﴾

(سورة النساء، الآية ١١)

* ﴿لِلذَّكَرِ مِثۡلُ حَظِّ ٱلۡأُنثَيَيۡنِ﴾

اختار هذه العبارة دون غيرها من مثل (للأنثى نصف حظ الذكر) والمقصود من ذلك، ليبين أن الأنثى هي المقياس في الميراث، جبراً لضعفها واهتماماً بأمرها[١].

﴿ وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّهُنَّ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَهُنَّ وَلَدٞ فَلَكُمُ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡنَۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۚ وَلَهُنَّ ٱلرُّبُعُ مِمَّا تَرَكۡتُمۡ إِن لَّمۡ يَكُن لَّكُمۡ وَلَدٞۚ فَإِن كَانَ لَكُمۡ وَلَدٞ فَلَهُنَّ ٱلثُّمُنُ مِمَّا تَرَكۡتُمۚ مِّنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ تُوصُونَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖۗ وَإِن كَانَ رَجُلٞ يُورَثُ كَلَٰلَةً أَوِ ٱمۡرَأَةٞ وَلَهُۥٓ أَخٌ أَوۡ أُخۡتٞ فَلِكُلِّ وَٰحِدٖ مِّنۡهُمَا ٱلسُّدُسُۚ فَإِن كَانُوٓاْ أَكۡثَرَ مِن ذَٰلِكَ فَهُمۡ شُرَكَآءُ فِي ٱلثُّلُثِۚ مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصَىٰ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٍ غَيۡرَ مُضَآرّٖۚ وَصِيَّةٗ مِّنَ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَلِيمٞ ١٢ ﴾ (سورة النساء، الآية ١٢)

* ﴿ وَلَكُمۡ نِصۡفُ مَا تَرَكَ أَزۡوَٰجُكُمۡ ﴾

(١) (في المطبوع ٤/ ٢٠٢٥)

❁ لماذا فرق الله بين الزوج والزوجة في الميراث ولم يساو بينهما؟

* **والجواب:** أن الرجل يحتاج بعد وفاة زوجته إلى امرأة يتزوجها، فيحتاج مالاً ينفقه على زواجه وتكاليفه.

* والمرأة بعد وفاة زوجها قد تتزوج من بعده، فما يأتيها من مهر ونفقة يكون فيه ما يعوض النقص من ميراثها[1].

* ﴿مِنۢ بَعۡدِ وَصِيَّةٖ يُوصِينَ بِهَآ أَوۡ دَيۡنٖ﴾

قدم الوصية على الدين، لأن الوصية لا أحد يطالب بها، بخلاف الدين، فله من يطالب به[2].

﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ ٱلۡفَٰحِشَةَ مِن نِّسَآئِكُمۡ فَٱسۡتَشۡهِدُواْ عَلَيۡهِنَّ أَرۡبَعَةٗ مِّنكُمۡۖ فَإِن شَهِدُواْ فَأَمۡسِكُوهُنَّ فِي ٱلۡبُيُوتِ حَتَّىٰ يَتَوَفَّىٰهُنَّ ٱلۡمَوۡتُ أَوۡ يَجۡعَلَ ٱللَّهُ لَهُنَّ سَبِيلٗا ﴿١٥﴾﴾ (سورة النساء، الآية ١٥).

* ﴿وَٱلَّٰتِي يَأۡتِينَ﴾

اسم الإشارة ﴿وَٱلَّٰتِي﴾ خاص بالنساء، فتكون الآية خاصة بالنساء، وفاحشة النساء فيما بينهن هي السحاق، بدليل قوله تعالى بعدها ﴿وَٱلَّذَانِ يَأۡتِيَٰنِهَا﴾ واللذان اسم إشارة للمذكر، فتكون خاصة بفاحشة الرجال بينهم، وهي اللواط[3].

﴿إِنَّمَا ٱلتَّوۡبَةُ عَلَى ٱللَّهِ لِلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٖ ثُمَّ يَتُوبُونَ مِن قَرِيبٖ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَيۡهِمۡۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلِيمًا حَكِيمٗا ﴿١٧﴾﴾ (سورة النساء، الآية ١٧).

---

(١) (في المطبوع ٤/ ٢٠٣٠)
(٢) (في المطبوع ٤/ ٢٠٣٣)
(٣) (في المطبوع ٤/ ٢٠٥٦)

* ﴿يَعْمَلُونَ ٱلسُّوٓءَ بِجَهَٰلَةٍ﴾

معنى السوء بجهالة: أي لا يوجد لها تخطيط، ولا إصرار عليها، ولا يحكيها لأحد مفتخراً بها، بل هو يتوب منها، ولذلك قال تعالى عن الآخر ﴿حَتَّىٰٓ إِذَا حَضَرَ أَحَدَهُمُ ٱلْمَوْتُ﴾ فهذا هو الإصرار على المعصية حتى بلغه الموت[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ لَا تَأْكُلُوٓا۟ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ إِلَّآ أَن تَكُونَ تِجَٰرَةً عَن تَرَاضٍ مِّنكُمْ ۚ وَلَا تَقْتُلُوٓا۟ أَنفُسَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِكُمْ رَحِيمًا ﴿٢٩﴾ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ عُدْوَٰنًا وَظُلْمًا فَسَوْفَ نُصْلِيهِ نَارًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾﴾ (سورة النساء، الآيتين: ٢٩-٣٠)

* ﴿وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ﴾

يحتمل أن يعود اسم الإشارة إلى الفعل القريب، الذي هو قتل النفس (الانتحار)، ويحتمل أن يعود إلى كل النواهي من بداية السورة من قوله تعالى ﴿وَلَا تَنكِحُوا۟ مَا نَكَحَ ءَابَآؤُكُم مِّنَ ٱلنِّسَآءِ إِلَّا مَا قَدْ سَلَفَ ۚ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَمَقْتًا وَسَآءَ سَبِيلًا ﴿٢٢﴾﴾ (سورة النساء، الآية ٢٢)[2].

﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ سَنُدْخِلُهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۖ لَّهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَنُدْخِلُهُمْ ظِلًّا ظَلِيلًا ﴿٥٧﴾﴾ (سورة النساء، الآية ٥٧)

* ﴿سَنُدْخِلُهُمْ﴾

لم يقل هنا (سوف يدخلهم) بل قال ﴿سَنُدْخِلُهُمْ﴾، ومع الكافرين قال (سوف

(١) (في المطبوع ٤/ ٢٠٦٩)
(٢) (في المطبوع ٤/ ٢١٥٠)

ليمهلهم ليتوبوا[١].

* ﴿ مُّطَهَّرَةٌ ﴾

القياس أن يقول "وأزواج مطهرات" ولكنه عدل إلى الإفراد ليُفهم أن كل واحدة منهن مطهرة لا ينقصها شيء، أو تسيء إلى زوجها بشيء .

فإنه لو قال "أزواج مطهرات" فإنه يفيد أنهن مطهرات بمجموعهن، وقد يتفاوتن فيما بينهن في الطهر[٢].

﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ فِي ٱلنِّسَآءِ قُلِ ٱللَّهُ يُفْتِيكُمْ فِيهِنَّ وَمَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ فِي ٱلْكِتَٰبِ فِي يَتَٰمَى ٱلنِّسَآءِ ٱلَّٰتِي لَا تُؤْتُونَهُنَّ مَا كُتِبَ لَهُنَّ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ وَٱلْمُسْتَضْعَفِينَ مِنَ ٱلْوِلْدَٰنِ وَأَن تَقُومُوا۟ لِلْيَتَٰمَىٰ بِٱلْقِسْطِ ۚ وَمَا تَفْعَلُوا۟ مِنْ خَيْرٍ فَإِنَّ ٱللَّهَ كَانَ بِهِۦ عَلِيمًا ﴿١٢٧﴾ ﴾ (سورة النساء، الآية ١٢٧)

* ﴿ وَيَسْتَفْتُونَكَ ﴾

الفرق بين (يسألونك) و(يستفتونك) أن :

* **يسألونك**: هي في سؤال ما يجب على كل واحد منهم، ﴿ يَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْخَمْرِ وَٱلْمَيْسِرِ ﴾ ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْمَحِيضِ ﴾.
* **يستفتونك**: فهي تكون في أشياء خاصة، تخص بعضهم دون بعض[٣].

* ﴿ وَتَرْغَبُونَ أَن تَنكِحُوهُنَّ ﴾

قال ﴿أَن﴾ ولم يقل (في أن) ولم يقل (عن أن تنكحوهن) لإن الرغبة إما أن

(١) (في المطبوع ٤/ ٢٣٣٨)
(٢) (في المطبوع ٤/ ٢٣٤٢)
(٣) (في المطبوع ٥/ ٢٦٧٤)

تكون فيهن أو عنهن، فجاء بأن التي تحتمل المعنيين[١].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗاۚ وَأَعۡتَدۡنَا لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٗا مُّهِينٗا ١٥١﴾ (سورة النساء، الآية ١٥١)

* ﴿ٱلۡكَٰفِرُونَ حَقّٗا﴾

لماذا وصفهم بقوله ﴿حَقّٗا﴾؟

ذلك لأنهم أكفر من غيرهم، فقد بعث إليهم الرسل، وأنزلت عليهم الكتب، بخلاف غيرهم من الكفار، الذين لم يأتهم رسول، ولم ينزل عليهم كتاب[٢].

* ﴿عَذَابٗا مُّهِينٗا﴾

لا يذكر الله عَزَّوَجَلَّ الكفر والكافرين، إلا ويذكر جزاءه في نفس الآية، ولا يحيلها إلى آية أخرى[٣].

﴿وَقَوۡلِهِمۡ إِنَّا قَتَلۡنَا ٱلۡمَسِيحَ عِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ رَسُولَ ٱللَّهِ وَمَا قَتَلُوهُ وَمَا صَلَبُوهُ وَلَٰكِن شُبِّهَ لَهُمۡۚ وَإِنَّ ٱلَّذِينَ ٱخۡتَلَفُواْ فِيهِ لَفِي شَكّٖ مِّنۡهُۚ مَا لَهُم بِهِۦ مِنۡ عِلۡمٍ إِلَّا ٱتِّبَاعَ ٱلظَّنِّۚ وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا ١٥٧﴾ (سورة النساء، الآية ١٥٧)

* ﴿وَمَا قَتَلُوهُ يَقِينَۢا﴾

ذكر الله تعالى اليقين هنا، واليقين ثلاث درجات.

* علم اليقين وهو العلم بالشيء

---

(١) (في المطبوع ٥/ ٢٦٧٧)
(٢) (في المطبوع ٤/ ٢٧٧٢)
(٣) (في المطبوع ٥/ ٢٧٧٢)

* عين اليقين وهو مشاهدة الشيء

* حق اليقين وهو معايشة الشيء .

الأولى والثانية ذكرها الله في التكاثر ﴿كَلَّا لَوۡ تَعۡلَمُونَ عِلۡمَ ٱلۡيَقِينِ ٥﴾ سورة التكاثر، ﴿ثُمَّ لَتَرَوُنَّهَا عَيۡنَ ٱلۡيَقِينِ ٧﴾ سورة التكاثر.

ولم يذكر حق اليقين، لإنها تكون للمعايشة، حين يدخلها الكفار، ويعيشون فيها .

وذكر حق اليقين عند احتضار الكافرين ﴿وَتَصۡلِيَةُ جَحِيمٍ ٩٤ إِنَّ هَٰذَا لَهُوَ حَقُّ ٱلۡيَقِينِ ٩٥﴾ سورة الواقعة، وهذه ساعة يعايشون النار فيها[1].

﴿وَإِن مِّنۡ أَهۡلِ ٱلۡكِتَٰبِ إِلَّا لَيُؤۡمِنَنَّ بِهِۦ قَبۡلَ مَوۡتِهِۦۖ وَيَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَكُونُ عَلَيۡهِمۡ شَهِيدٗا ١٥٩﴾ (سورة النساء، الآية ١٥٩)

* ﴿قَبۡلَ مَوۡتِهِۦ﴾

الضمير في ﴿مَوۡتِهِۦ﴾ يحتمل أن يعود إلى ثلاثة :

* عيسى بن مريم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، أي يؤمن به أهل الكتاب قبل موت عيسى .

* آحاد أهل الكتاب المعاصرين له، فيؤمنوا بعيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ .

* عامة أهل الكتاب فيؤمنون به ساعة احتضارهم، لأن ساعة الاحتضار تظهر فيها الحقائق الخفية، والأموات عند احتضارهم، يظهرون خفاياهم من ديون وحقوق وغيرها، ومن هذه الأمور الخفية أمر الإيمان ﴿لَّقَدۡ كُنتَ فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا فَكَشَفۡنَا عَنكَ غِطَآءَكَ فَبَصَرُكَ ٱلۡيَوۡمَ حَدِيدٞ ٢٢﴾ (سورة ق،

---

(١) (في المطبوع ٥/ ٢٨٠٠)

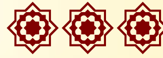
الآية ٢٢) ويحتمل أن يعود الضمير على النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[١].

﴿إِنَّآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَيۡكَ كَمَآ أَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰ نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦۚ وَأَوۡحَيۡنَآ إِلَىٰٓ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡمَٰعِيلَ وَإِسۡحَٰقَ وَيَعۡقُوبَ وَٱلۡأَسۡبَاطِ وَعِيسَىٰ وَأَيُّوبَ وَيُونُسَ وَهَٰرُونَ وَسُلَيۡمَٰنَۚ وَءَاتَيۡنَا دَاوُۥدَ زَبُورٗا ١٦٣﴾ (سورة النساء، الآية ١٦٣)

* ﴿نُوحٖ وَٱلنَّبِيِّـۧنَ مِنۢ بَعۡدِهِۦ﴾

لماذا ذكر الله تعالى نبيه نوحاً عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **، ولم يذكر آدم** عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ **، وقد كان نبياً يوحى إليه؟**

* **والجواب:** أن آدم نبي والأمة طارئة عليه، فهو قبل الأمة، أما نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ فهو نبي طارئ على الأمة، فالأمة قبله، وكذلك بقية الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، هم طارئون على الأمم[٢].



(١) (في المطبوع ٥/ ٢٨٠٨)
(٢) (في المطبوع ٥/ ٢٨٢٨)

سُورَةُ المَائِدَةِ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ أَوۡفُواْ بِٱلۡعُقُودِۚ أُحِلَّتۡ لَكُم بَهِيمَةُ ٱلۡأَنۡعَٰمِ إِلَّا مَا يُتۡلَىٰ عَلَيۡكُمۡ غَيۡرَ مُحِلِّي ٱلصَّيۡدِ وَأَنتُمۡ حُرُمٌۗ إِنَّ ٱللَّهَ يَحۡكُمُ مَا يُرِيدُ ١﴾ (سورة المائدة، الآية ١)

المناسبة بينها وبين سورة النساء .

* **سورة النساء** كانت مليئة بالعقود، عقود الصداق والزواج وغيرها.
* **سورة المائدة** ابتدأت بالوفاء بالعقود، فكان مناسباً أن تأتي بعدها[١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا قُمۡتُمۡ إِلَى ٱلصَّلَوٰةِ فَٱغۡسِلُواْ وُجُوهَكُمۡ وَأَيۡدِيَكُمۡ إِلَى ٱلۡمَرَافِقِ وَٱمۡسَحُواْ بِرُءُوسِكُمۡ وَأَرۡجُلَكُمۡ إِلَى ٱلۡكَعۡبَيۡنِۚ وَإِن كُنتُمۡ جُنُبٗا فَٱطَّهَّرُواْۚ وَإِن كُنتُم مَّرۡضَىٰٓ أَوۡ عَلَىٰ سَفَرٍ أَوۡ جَآءَ أَحَدٞ مِّنكُم مِّنَ ٱلۡغَآئِطِ أَوۡ لَٰمَسۡتُمُ ٱلنِّسَآءَ فَلَمۡ تَجِدُواْ مَآءٗ فَتَيَمَّمُواْ صَعِيدٗا طَيِّبٗا فَٱمۡسَحُواْ بِوُجُوهِكُمۡ وَأَيۡدِيكُم مِّنۡهُۚ مَا يُرِيدُ ٱللَّهُ لِيَجۡعَلَ عَلَيۡكُم مِّنۡ حَرَجٖ وَلَٰكِن يُرِيدُ لِيُطَهِّرَكُمۡ وَلِيُتِمَّ نِعۡمَتَهُۥ عَلَيۡكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَشۡكُرُونَ ٦﴾ (سورة المائدة، الآية ٦)

مناسبة الآية لما قبلها .

ذكر الله تعالى في هذه الآية صفة الطهارة من الحدث الأصغر والحدث الأكبر، والمناسبة لورود هذه الآية في هذا الموضع، إن الله تعالى قد ذكر قبلها في آيتين سابقتين سبب الطهارة وهو تناول الطعام الذي يؤدي إلى الحدث الأصغر في قوله تعالى ﴿يَسۡـَٔلُونَكَ مَاذَآ أُحِلَّ لَهُمۡۖ قُلۡ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَمَا عَلَّمۡتُم مِّنَ ٱلۡجَوَارِحِ

---

(١) (في المطبوع ٥/ ٢٨٨٧)

مُكَلِّبِينَ تُعَلِّمُونَهُنَّ مِمَّا عَلَّمَكُمُ ٱللَّهُ فَكُلُواْ مِمَّآ أَمْسَكْنَ عَلَيْكُمْ وَٱذْكُرُواْ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهِ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَ إِنَّ ٱللَّهَ سَرِيعُ ٱلْحِسَابِ ﴿٤﴾ (سورة المائدة، الآية ٤).

وذكر سبب الحدث الكبر في قوله تعالى ﴿ٱلْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ ٱلطَّيِّبَٰتُ وَطَعَامُ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلْمُؤْمِنَٰتِ وَٱلْمُحْصَنَٰتُ مِنَ ٱلَّذِينَ أُوتُواْ ٱلْكِتَٰبَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَآ ءَاتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَٰفِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِىٓ أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِٱلْإِيمَٰنِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُۥ وَهُوَ فِى ٱلْءَاخِرَةِ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٥﴾ (سورة المائدة، الآية ٥)، والمقصود هو الوطء، فجاءت آية الوضوء في المكان المناسب لها، مع أن المتبادر للذهن أول مرة، ما الذي جاء بآية الوضوء في وسط سورة المائدة، التي جل مواضيعها عن العقود وعن أهل الكتاب[1].

﴿يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ قَدْ جَآءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ عَلَىٰ فَتْرَةٍ مِّنَ ٱلرُّسُلِ أَن تَقُولُواْ مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ وَلَا نَذِيرٍ فَقَدْ جَآءَكُم بَشِيرٌ وَنَذِيرٌ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٩﴾

(سورة المائدة، الآية ١٩)

* ﴿مَا جَآءَنَا مِنۢ بَشِيرٍ﴾

﴿مِنۢ﴾ هنا ليست زائدة، بل هي لنفي أصل البشارة، أي لم يأتنا بشير أبداً، ولو كان أدنى بشارة، كقولك (ماعندي من مال) فهي تفيد أنك لا تملك أي شيء، بخلاف قولك (ما عندي مال) فإن هذا لا يمنع امتلاكك للمال الحقير أو القليل، فيكون لديك بضعة ريالات أو هلالات .

﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ (سورة المائدة، الآية ٣٠)

(١) (في المطبوع ٥/ ٢٩٥٩)

* ﴿فَطَوَّعَتۡ لَهُۥ نَفۡسُهُۥ﴾

تدل على وجود معارك نفسية كبيرة وقعت في نفس القاتل، بين القتل وعدمه، حتى طوعت وزينت له نفسه القتل[١].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ لَا يَحۡزُنكَ ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ مِنَ ٱلَّذِينَ قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِأَفۡوَٰهِهِمۡ وَلَمۡ تُؤۡمِن قُلُوبُهُمۡۛ وَمِنَ ٱلَّذِينَ هَادُواْۛ سَمَّٰعُونَ لِلۡكَذِبِ سَمَّٰعُونَ لِقَوۡمٍ ءَاخَرِينَ لَمۡ يَأۡتُوكَۖ يُحَرِّفُونَ ٱلۡكَلِمَ مِنۢ بَعۡدِ مَوَاضِعِهِۦۖ يَقُولُونَ إِنۡ أُوتِيتُمۡ هَٰذَا فَخُذُوهُ وَإِن لَّمۡ تُؤۡتَوۡهُ فَٱحۡذَرُواْۚ وَمَن يُرِدِ ٱللَّهُ فِتۡنَتَهُۥ فَلَن تَمۡلِكَ لَهُۥ مِنَ ٱللَّهِ شَيۡـًٔاۚ أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَمۡ يُرِدِ ٱللَّهُ أَن يُطَهِّرَ قُلُوبَهُمۡۚ لَهُمۡ فِي ٱلدُّنۡيَا خِزۡيٞۖ وَلَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ عَذَابٌ عَظِيمٞ ٤١﴾ (سورة المائدة، الآية ٤١)

* ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾

خاطب الله أنبياءه بأسمائهم يا إبراهيم، يا موسى، يا عيسى، يا نوح، ولكنه لم يخاطب النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ باسمه وإنما خاطبه بصفته الرسالية، ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلرَّسُولُ﴾ (يا أيها النبي) وفي هذا تكريم له ودلالة على أنه خاتم الرسل وفيه اجتمعت كل مسائل الرسالة[٢].

* ﴿ٱلَّذِينَ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾

قال هنا ﴿فِي ٱلۡكُفۡرِ﴾ ومثلها في سورة المائدة ﴿مِّنۡهُمۡ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡإِثۡمِ وَٱلۡعُدۡوَٰنِ﴾ (سورة المائدة، الآية ٦٢) وفي آية أخرى قال ﴿وَسَارِعُوٓاْ إِلَىٰ مَغۡفِرَةٖ مِّن رَّبِّكُمۡ﴾ سورة آل عمران) والفرق أن ﴿فِي﴾ تقتضي أنهم يدورون في دائرة

---

(١) (في المطبوع ٥/ ٣٠٧٨)
(٢) (في المطبوع ٥/ ٣١٤٣)

الكفر، ولم يأتوا إليه من الإيمان، كما تفيد ﴿إِلَىٰ﴾ التي تفيد قدومهم من الكفر إلى الإيمان[١].

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ فَسَوْفَ يَأْتِى ٱللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ أَذِلَّةٍ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى ٱلْكَـٰفِرِينَ يُجَـٰهِدُونَ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ وَلَا يَخَافُونَ لَوْمَةَ لَآئِمٍ ۚ ذَٰلِكَ فَضْلُ ٱللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَآءُ ۚ وَٱللَّهُ وَٰسِعٌ عَلِيمٌ ﴿٥٤﴾﴾ (سورة المائدة، الآية ٥٤)

* ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾

جاء في آية البقرة ﴿وَمَن يَرْتَدِدْ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾، وهي بلغة قريش، وآية المائدة جاءت ﴿مَن يَرْتَدَّ﴾ وهذا بلغة تميم، والحكمة في ذلك، أن القرآن ما جاء ليحقق سيادة قريش، وإنما هو للناس كافة، ففيه لغة قريش ولغة غيرها من العرب[٢].

* ﴿مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِۦ﴾

إشارة إلى وقوع هزات عقدية، فيأخذ المؤمنون حذرهم، واستعدادهم لذلك[٣].

* ﴿يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُۥٓ﴾

هذه بشارة في الآية أنه مع وقوع الارتداد، فسوف يأتي الله بقوم يحبهم ويحبونه[٤].

(١) (في المطبوع ٥/ ٣١٣٦)
(٢) (في المطبوع ٥/ ٣٢٠٦)
(٣) (في المطبوع٥/ ٣٢١٢)
(٤) (في المطبوع ٥/ ٣٢٠٧)

* ﴿ فَسَوْفَ ﴾

* كلمة سوف تدل على امتداد فعل الردة وزمانها، فقد حدثت في عهد النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وفي عهد أبي بكر الصديق رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في حروب الردة، وفي عهد عمر رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ في حادثة ردة جبلة بن الأيهم[(١)].

* وفي الآية ذم للهوى، فإنه لم تأت كلمة الهوى في القرآن إلا في معنى مذموم .

﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ بِٱللَّغْوِ فِيٓ أَيْمَٰنِكُمْ وَلَٰكِن يُؤَاخِذُكُم بِمَا عَقَّدتُّمُ ٱلْأَيْمَٰنَ فَكَفَّٰرَتُهُۥٓ إِطْعَامُ عَشَرَةِ مَسَٰكِينَ مِنْ أَوْسَطِ مَا تُطْعِمُونَ أَهْلِيكُمْ أَوْ كِسْوَتُهُمْ أَوْ تَحْرِيرُ رَقَبَةٍ فَمَن لَّمْ يَجِدْ فَصِيَامُ ثَلَٰثَةِ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ كَفَّٰرَةُ أَيْمَٰنِكُمْ إِذَا حَلَفْتُمْ وَٱحْفَظُوٓاْ أَيْمَٰنَكُمْ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٨٩﴾﴾ (سورة المائدة، الآية ٨٩)

* ﴿لَا يُؤَاخِذُكُمُ ٱللَّهُ﴾

في خطاب المؤمنين يستخدم الله تعالى كلمة ﴿يُؤَاخِذُكُمُ﴾، وفي خطاب الكافرين يستخدم الله تعالى كلمة (أخذ) كما في قوله ﴿فَأَخَذْنَٰهُمْ أَخْذَ عَزِيزٍ مُّقْتَدِرٍ ﴿٤٢﴾﴾ (سورة القمر، الآية ٤٢).

والسبب أن الله تعالى بينه وبين المؤمنين عهد وعقد، فهو يؤاخذهم على ذنوبهم التي بينها لهم.

بينما في الكافرين فهو يقول (أخذ) لأنه ليس بينه وبينهم عهد ولا عقد[(٢)].

(١) (في المطبوع ٥/ ٣٢٠٧)
(٢) (في المطبوع ٦/ ٣٣٦١)

﴿ وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ تَعَالَوْاْ إِلَىٰ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ وَإِلَى ٱلرَّسُولِ قَالُواْ حَسْبُنَا مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۚ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٠٤﴾ ﴾ (سورة المائدة، الآية ١٠٤).

* ﴿حَسْبُنَا﴾

هنا شدد النكير عليهم لأن قولهم ﴿حَسْبُنَا﴾: أي رفضوا ما جاءهم من الله تعالى، فقولهم هنا أشد من قولهم في قوله تعالى ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ ٱتَّبِعُواْ مَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ قَالُواْ بَلْ نَتَّبِعُ مَآ أَلْفَيْنَا عَلَيْهِ ءَابَآءَنَآۗ أَوَلَوْ كَانَ ءَابَآؤُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ شَيْـًٔا وَلَا يَهْتَدُونَ ﴿١٧٠﴾﴾ (سورة البقرة، الآية ١٧٠)، إذ يحتمل أنهم يتبعون آباءهم ويتبعون هذا الدين، أما في آية المائدة فكأنهم رفضوا أمر الدين تماماً فشدد عليهم[١].

﴿ يَوْمَ يَجْمَعُ ٱللَّهُ ٱلرُّسُلَ فَيَقُولُ مَاذَآ أُجِبْتُمْۖ قَالُواْ لَا عِلْمَ لَنَآۖ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلْغُيُوبِ ﴿١٠٩﴾ ﴾ (سورة المائدة، الآية ١٠٩).

* ﴿مَاذَآ أُجِبْتُمْ﴾

لم يقل (بماذا أُجِبتم)، لأنه يريد الإجمال لا التفصيل، لأن (بماذا أجبتم)، تفيد التفاصيل، لكنه يريد الإجمال، أي من آمن، ومن كفر[٢].

* ﴿لَا عِلْمَ لَنَآ﴾

لماذا نفى الأنبياء علمهم؟

والجواب في نقطتين:

* إنهم علموا أن الله في يوم القيامة يسأل عن الظواهر والسرائر، وهم لا يعلمون إلا الظواهر.

---

(١) (في المطبوع ٦/ ٣٤٣٢)

(٢) (في المطبوع ٦/ ٣٤٤٦)

* إنهم قالوا ذلك لأنهم لا يعلمون إلا عن معاصريهم، أما ما بعد معاصريهم من الأمم بعدهم، فإنهم لا يعلمون عنهم شيئاً، وإنما يعلمهم الله تعالى[١].

﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَـٰعِيسَى ٱبْنَ مَرْيَمَ ٱذْكُرْ نِعْمَتِي عَلَيْكَ وَعَلَىٰ وَٰلِدَتِكَ إِذْ أَيَّدتُّكَ بِرُوحِ ٱلْقُدُسِ تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا ۖ وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ ۖ وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ بِإِذْنِي فَتَنفُخُ فِيهَا فَتَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِي ۖ وَتُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ تُخْرِجُ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِي ۖ وَإِذْ كَفَفْتُ بَنِيٓ إِسْرَٰٓءِيلَ عَنكَ إِذْ جِئْتَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ فَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِنْهُمْ إِنْ هَـٰذَآ إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿١١٠﴾﴾ (سورة المائدة، الآية ١١٠)

* ﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾

الكلام في المهد للإعجاز، والكلام في المهد للبلاغ.

فيه إشارة إلى أن له حياة أخرى يتكلم فيها. وهو وقت الكهولة[٢].

* ﴿تُكَلِّمُ ٱلنَّاسَ فِي ٱلْمَهْدِ وَكَهْلًا﴾

لماذا كان المتكلم في المهد هو عيسى، ولم تكن مريم عَلَيْهَا ٱلسَّلَامُ؟

والجواب: إن مريم مهما تكلمت في تلك الحالة، لتبريء نفسها، وتدفع عنها التهمة، لم يكن لينفعها أو يصدقها أحد منهم، وإنما كان الكلام من عيسى وهو في المهد، أصدق وأبلغ في براءتها، وسلامتها وصدقها[٣].

* ﴿وَإِذْ عَلَّمْتُكَ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَٱلتَّوْرَىٰةَ وَٱلْإِنجِيلَ﴾

---

(١) (في المطبوع ٦/ ٣٤٤٧)
(٢) (في المطبوع ٦/ ٣٤٤٩)
(٣) (في المطبوع ٦/ ٣٤٥٠)

❁ لماذا عدّدَ الله نعمه على عيسى، وهو يعرفها عَلَيْهِ السَّلَامُ، ولا يجحدها أو يجهلها؟

والجواب: لكي يذكر أولئك الذين رأوا هذه النعم ولم يتبعوه، والذين ادعوا اتباعه، ولكنهم حادوا عن طريقه، طريق التوحيد[١].

﴿قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ ٱللَّهُمَّ رَبَّنَآ أَنزِلْ عَلَيْنَا مَآئِدَةً مِّنَ ٱلسَّمَآءِ تَكُونُ لَنَا عِيدًا لِّأَوَّلِنَا وَءَاخِرِنَا وَءَايَةً مِّنكَ ۖ وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿١١٤﴾﴾ (سورة المائدة، الآية ١١٤)

* ﴿وَٱرْزُقْنَا وَأَنتَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾

سؤال عيسى ابن مريم خير من سؤالهم[٢].

﴿إِن تُعَذِّبْهُمْ فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ ۖ وَإِن تَغْفِرْ لَهُمْ فَإِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١١٨﴾﴾ (سورة المائدة، الآية ١١٨).

* ﴿فَإِنَّهُمْ عِبَادُكَ﴾

❁ الفرق بين كلمتي العباد والعبيد

(العبيد) هم المقهورون على العبادة، فالكل عبيد له، أما (العباد) فهم الذين اختاروا عبادته باختيارهم وإرادتهم، أما لماذا وصفهم بالآخرة أنهم (عباد) وليسوا عبيد ﴿ءَأَنتُمْ أَضْلَلْتُمْ عِبَادِى هَٰٓؤُلَآءِ﴾ (سورة الفرقان، الآية ١٧) ذلك لأن الآخرة قد تبين فيها الحق، فليس لأحد اختيار آخر، وأيضاً فلا قهر فيها على أحد، لأن الكل اختار توحيد الله، والعبودية له عَزَّوَجَلَّ[٣].

---

(١) (في المطبوع ٦/ ٣٤٥٢)
(٢) (في المطبوع٦/ ٣٤٦٤)
(٣) (في المطبوع ٦/ ٣٤٧٧)

﴿ سُورَةُ الأَنْعَامِ ﴾

﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضَ وَجَعَلَ ٱلظُّلُمَٰتِ وَٱلنُّورَ ثُمَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ بِرَبِّهِمْ يَعْدِلُونَ ﴿١﴾﴾ (سورة الأنعام، الآية ١)

* ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ﴾

افتتحت سورة الأنعام بالحمد، والافتتاح بالحمد له أسباب:

* ففي سورة الأنعام دلّ البدء بالحمد على الأمور المادية المشاهدة، السموات، الأرض، الظلمات، النور .
* سورة الكهف افتتحت بالحمد، ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِىٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبْدِهِ ٱلْكِتَٰبَ وَلَمْ يَجْعَل لَّهُۥ عِوَجَا ۜ ﴿١﴾﴾ سورة الكهف.
* فدَلّ على المنهج المتبع .
* سورة فاطر افتتحت بالحمد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ فَاطِرِ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ جَاعِلِ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلًا أُو۟لِىٓ أَجْنِحَةٍ مَّثْنَىٰ وَثُلَٰثَ وَرُبَٰعَ ۚ يَزِيدُ فِى ٱلْخَلْقِ مَا يَشَآءُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١﴾﴾ سورة فاطر

وشملت الإشارة إلى أمرين :

الأول: عالم المشاهدة، وهو السموات والأرض .

الثاني: عالم الغيب، وهو الملائكة .

سورة الفاتحة افتتحت بالحمد ﴿ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢﴾﴾ سورة الفاتحة

وقد شملت جميع النعم الظاهرة والغيبية وشملت المنهج[١].

﴿وَقَالُواْ لَوۡلَآ أُنزِلَ عَلَيۡهِ مَلَكٞۖ وَلَوۡ أَنزَلۡنَا مَلَكٗا لَّقُضِيَ ٱلۡأَمۡرُ ثُمَّ لَا يُنظَرُونَ ٨﴾

(سورة الأنعام، الآية ٨)

* ﴿عَلَيۡهِ مَلَكٞ﴾

السؤال الموجه لهم هنا: كيف عرفوا الملك، وهو من عالم الغيب، والنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يخبرهم بالوحي، الذي يأتي عن طريق الغيب؟.

فهم يعرفون الملائكة، ويؤمنون بهم، وهذا من بقايا دين إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَيْهِ السَّلَامُ، وهذا يدل أيضاً على صدق دعوة النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٢].

﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ ثُمَّ ٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُكَذِّبِينَ ١١﴾

(سورة الأنعام، الآية ١١).

* ﴿قُلۡ سِيرُواْ﴾

في آيات أخرى يقول الله تعالى ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ٦٩﴾ سورة النمل، ويقول أيضاً ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلُۚ كَانَ أَكۡثَرُهُم مُّشۡرِكِينَ ٤٢﴾ سورة الروم

ويقول أيضاً ﴿قُلۡ سِيرُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱنظُرُواْ كَيۡفَ بَدَأَ ٱلۡخَلۡقَۚ ثُمَّ ٱللَّهُ يُنشِئُ ٱلنَّشۡأَةَ ٱلۡأٓخِرَةَۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ قَدِيرٞ ٢٠﴾ سورة العنكبوت.

فما الفرق بين ﴿ثُمَّ ٱنظُرُواْ﴾ و﴿فَٱنظُرُواْ﴾؟

---

(١) (في المطبوع ٦/ ٣٤٣٩)

(٢) (في المطبوع ٦/ ٣٥١٣)

الفرق والله أعلم، أن ﴿ثُمَّ ٱنظُرُواْ﴾ هذا السير سير مصلحة لكم من تجارة أو نزهة أو غير ذلك، لكن لا تنسوا في سيركم هذا الاعتبار مما في الأرض، وما وقع للأمم من قبلكم.

أما الآية التي فيها ﴿فَٱنظُرُواْ﴾ فهذا سير العظة والاعتبار في أحوال من سبقكم من الأمم[١].

﴿وَإِن يَمْسَسْكَ ٱللَّهُ بِضُرٍّ فَلَا كَاشِفَ لَهُۥٓ إِلَّا هُوَ ۖ وَإِن يَمْسَسْكَ بِخَيْرٍ فَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿١٧﴾﴾ (سورة الأنعام، الآية ١٧)

❊ ﴿يَمْسَسْكَ﴾

قال عَزَّوَجَلَّ ﴿يَمْسَسْكَ﴾﴿يَمْسَسْكَ﴾ ولم يقل (يضرك)، لأن الضر يكون بقدر قوة مَنْ بيده الضر، ولو أصابنا الضر من الله تعالى، لم نقدر على ذلك لأنه لا طاقة لنا به، وإنما كل ما يمسنا من سوء، فهو مس الضر، وليس الضر نفسه، وهذا من رحمة الله بنا.

وكذلك الخير فإن كل ما بنا من خير، فهو مما يمسنا من خير الله تعالى، والخير كله ينتظر العباد في الجنة، فهي الخير كله[٢].

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَى ٱلنَّارِ فَقَالُواْ يَٰلَيْتَنَا نُرَدُّ وَلَا نُكَذِّبَ بِـَٔايَٰتِ رَبِّنَا وَنَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٢٧﴾﴾ (سورة الأنعام، الآية ١)

❊ ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ﴾

حذف جواب (لو) والسبب حتى يدع المجال لكل التصورات والخيالات

(١) (في المطبوع ٦/ ٣٥١٩)
(٢) (في المطبوع ٦/ ٣٥٤٣)

في كيفية الجواب عن هول النار وعذابها، فلا تقف على صورة واحدة، ولكن كل ما تخيلته فهناك ما هو أعظم منه، ومثله قوله تعالى ﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ وُقِفُواْ عَلَىٰ رَبِّهِمْۚ قَالَ أَلَيْسَ هَٰذَا بِٱلْحَقِّۚ قَالُواْ بَلَىٰ وَرَبِّنَاۚ قَالَ فَذُوقُواْ ٱلْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ ﴿٣٠﴾﴾ (سورة الأنعام، الآية ٣٠)

فكما حذف الجواب في الوقوف على النار، فحذفه هنا أولى، لأن الوقوفَ على الرب سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ أعظم وأجل[١].

﴿وَقَالُوٓاْ إِنْ هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ ﴿٢٩﴾﴾ (سورة الأنعام، الآية ٢٩)

* ﴿حَيَاتُنَا ٱلدُّنْيَا﴾

من ضلال الكفار وجهلهم أنهم يسمون الحياة بالحياة الدنيا، ومعنى هذا أن هناك حياة عُلْيا غير هذه الحياة الدنيا، فهم لضلالهم لم يجدوا اسماً لهذه الحياة، إلا الاسم الذي وضعه الله لها[٢].

﴿فَلَمَّا نَسُواْ مَا ذُكِّرُواْ بِهِۦ فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ أَبْوَٰبَ كُلِّ شَيْءٍ حَتَّىٰٓ إِذَا فَرِحُواْ بِمَآ أُوتُوٓاْ أَخَذْنَٰهُم بَغْتَةً فَإِذَا هُم مُّبْلِسُونَ ﴿٤٤﴾﴾ (سورة الأنعام، الآية ٤٤)

* ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ﴾

في العذاب قال عَزَّوَجَلَّ ﴿فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ﴾.

وفي التكريم للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال ﴿إِنَّا فَتَحْنَا لَكَ فَتْحًا مُّبِينًا ﴿١﴾﴾ سورة الفتح[٣].

(١) (في المطبوع ٦/ ٣٥٧٧)
(٢) (في المطبوع ٦/ ٣٥٨٣)
(٣) (في المطبوع ٦/ ٣٦١٦)

﴿قُلْ أَرَءَيْتَكُمْ إِنْ أَتَىٰكُمْ عَذَابُ ٱللَّهِ بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً هَلْ يُهْلَكُ إِلَّا ٱلْقَوْمُ ٱلظَّٰلِمُونَ ﴿٤٧﴾﴾ (سورة الأنعام، الآية ٤٧)

* ﴿بَغْتَةً أَوْ جَهْرَةً﴾

الفرق بين البغتة والجهرة:

البغتة: أن يأتي العذاب بلا علم سابق، أي لا تعلم به آلهتهم التي يعبدونها من دون الله تعالى، فيخبرونهم بوقت العذاب.

الجهرة: أن يأتيهم العذاب وهم يرونه، لكن آلهتهم عاجزة عن رد العذاب عنهم، لو تعللوا أن العذاب آتاهم بغتة، فهو يأتيهم أيضاً جهرة، ولا ينفعونهم بشيء.

ومراد الله تعالى من هذا، هو بيان عجز آلهتهم وجهلهم أمام عذاب الله تعالى، فلا هم يعلمون بوقته، ولا هم يستطيعون رده إذا علموا بوقته[1].

﴿وَعِندَهُۥ مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ لَا يَعْلَمُهَآ إِلَّا هُوَ ۚ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ ۚ وَمَا تَسْقُطُ مِن وَرَقَةٍ إِلَّا يَعْلَمُهَا وَلَا حَبَّةٍ فِى ظُلُمَٰتِ ٱلْأَرْضِ وَلَا رَطْبٍ وَلَا يَابِسٍ إِلَّا فِى كِتَٰبٍ مُّبِينٍ ﴿٥٩﴾﴾ (سورة الأنعام، الآية ٥٩)

* ﴿مَفَاتِحُ ٱلْغَيْبِ﴾

مفاتح جمع مفتح بكسر الميم وفتحها، وهي تشمل:

المِفتح: أي ما يفتح به وهي المفاتيح.

المَفتح: أي الخزائن التي فيها الغيب والكنوز.

(١) (في المطبوع ٦/ ٣٦٢٤)

فهو يملك الأمرين، المفاتيح والكنوز، ولو عبر ب "المفاتيح" فقد يفهم منه أنه يملك المفاتيح، ولا يملك الخزائن، والعكس صحيح[١].

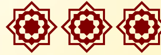
❊ ﴿وَيَعۡلَمُ مَا فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِۚ﴾

قدم ﴿ٱلۡبَرِّ﴾ (البر) على ﴿وَٱلۡبَحۡرِ﴾ لأن البر هو المشاهد لنا، والبحر مشاهد لكنه بعيد، وفيه عوالم خفية لا نراها، وهناك بلاد لا تطل على البحار أصلاً[٢].

❊ ﴿وَمَا تَسۡقُطُ مِن وَرَقَةٍ﴾

عبر عَزَّوَجَلَّ عن سقوط الورقة، أي أنه يعلم بسقوطها ووقوعها على الأرض، بعد أن أدت مهمتها، فهو يعلم بها وهي تؤدي مهمتها .

وإذا كان سبحانه يعلم بسقوط الورقة، التي ليس لها ثواب، ولا عليها عقاب، فمن باب أولى أن يعلم بمن عليه الثواب والعقاب وهو الإنسان[٣].



(١) (في المطبوع ٦/ ٣٦٦٩)
(٢) (في المطبوع ٦/ ٣٦٧٠)
(٣) (في المطبوع ٦/ ٣٦٧١)

سُورَةُ الأعْرَافِ

﴿قَالَ مَا مَنَعَكَ أَلَّا تَسْجُدَ إِذْ أَمَرْتُكَ قَالَ أَنَا۠ خَيْرٌ مِّنْهُ خَلَقْتَنِي مِن نَّارٍ وَخَلَقْتَهُۥ مِن طِينٍ ۝١٢﴾ (سورة الأعراف، الآية ١٢)

* ﴿أَلَّا تَسْجُدَ﴾

في آية أخرى يقول تعالى ﴿قَالَ يَٰٓإِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَن تَسْجُدَ لِمَا خَلَقْتُ بِيَدَيَّ أَسْتَكْبَرْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْعَالِينَ ۝٧٥﴾ سورة ص

والفرق بينهما :

* **ألا تسجد**: أي من زين لك عدم السجود .
* **أن تسجد**: ما قهرك ألا تسجد[١].

﴿قَالَ فَبِمَآ أَغْوَيْتَنِي لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ صِرَٰطَكَ ٱلْمُسْتَقِيمَ ۝١٦﴾ (سورة الأعراف، الآية ١٦)

* ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾

اختار القعود ولم يختر الوقوف، لإنه في الوقوف سيتعب منه، أما القعود فإنه يكون مرتاحاً مطمئناً، ويشهد له قوله تعالى ﴿وَٱقْعُدُواْ لَهُمْ كُلَّ مَرْصَدٍ﴾ (سورة التوبة، الآية ٥)[٢].

* ﴿لَأَقْعُدَنَّ لَهُمْ﴾

القعود يدل على استعداده لمحاربة المؤمنين، وقد اختار الطريق الذي يقعد إليه، وهو طريق المستقيمين، أما الضالون، فليس بحاجة إلى إغوائهم، فهم قد

---

(١) (في المطبوع ٧/ ٤٠٦٣)
(٢) (في المطبوع ٧/ ٤٠٧٠)

أغووا أنفسهم وأراحوه من هذه المهمة[١].

﴿ ثُمَّ لَآتِيَنَّهُم مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ وَلَا تَجِدُ أَكۡثَرَهُمۡ شَٰكِرِينَ ١٧ ﴾ (سورة الأعراف، الآية ١٧)

* ﴿مِّنۢ بَيۡنِ أَيۡدِيهِمۡ وَمِنۡ خَلۡفِهِمۡ وَعَنۡ أَيۡمَٰنِهِمۡ وَعَن شَمَآئِلِهِمۡۖ ﴾

الجهات الأربع:

* **بين أيديهم**: اصرفهم عن الآخرة والاستعداد لها.
* **من خلفهم**: أي أشغلهم بذرياتهم من بعدهم.
* **أيمانهم**: الأيمان محل الطاعة، فأشغلهم عن فعل الطاعات.
* **شمائلهم**: أزين لهم المعاصي، وأحسنها لهم[٢].

لم يأت الشيطان من جهة الفوق والتحت، لإن الفوقية هي جهة الاستغاثة والاستجارة بربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، والتحتية جهة العبودية الخاصة للعبد مع ربه[٣].

﴿ أُبَلِّغُكُمۡ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَأَنصَحُ لَكُمۡ وَأَعۡلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٦٢ ﴾ (سورة الأعراف، الآية ٦٢)

* ﴿ رِسَٰلَٰتِ ﴾

هذه الآية تتكلم عن نوح عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وهو أول رسول فكيف يقول "﴿ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي ﴾

(١) (في المطبوع ٧/ ٤٠٧٠)
(٢) (في المطبوع ٧/ ٤٠٧٤)
(٣) (في المطبوع ٧/ ٤٠٧٤)

والجواب :

* يبلغ رسالات الأنبياء من قبله، إدريس وإشيعيا وآدم عَلَيْهِمُ السَّلَامُ .
* كل ما جاءه من أمر من الله عَزَّوَجَلَّ فهو يبلغه، فتكون الأوامر كلها رسالات الله.
* أن مجموع ما جاء به كله رسالات، فالعقائد رسالة، والأخلاق رسالة، والأحكام وغيرها رسالة[١].

﴿ أَوَلَمْ يَهْدِ لِلَّذِينَ يَرِثُونَ ٱلْأَرْضَ مِنۢ بَعْدِ أَهْلِهَآ أَن لَّوْ نَشَآءُ أَصَبْنَٰهُم بِذُنُوبِهِمْ ۚ وَنَطْبَعُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (سورة الأعراف، الآية ١٠٠)

* ﴿ لِلَّذِينَ ﴾

اللام هنا هي مثل قوله تعالى ﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ ﴾ (سورة الإسراء، الآية ٩).

فالله عَزَّوَجَلَّ استخدم حرف (اللام) في الهداية، والفائدة أن الهادي الذي هو إما الله عَزَّوَجَلَّ، أو رسوله صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، لا يرجو فائدة أو مصلحة من هذه الهداية، فالفائدة والمصلحة تعود على المَهدي .

بخلاف لو استخدم (إلى) مثل لو قال (يهدي إلى التي هي أقوم)، فإن (إلى) تفيد أن الهادي قد تكون له مصلحة أو فائدة من هذه الهداية[٢].

﴿ وَجَآءَ ٱلسَّحَرَةُ فِرْعَوْنَ قَالُوٓا۟ إِنَّ لَنَا لَأَجْرًا إِن كُنَّا نَحْنُ ٱلْغَٰلِبِينَ ﴿١١٣﴾ ﴾

(سورة الأعراف، الآية ١١٣)

---

(١) (في المطبوع ٧/ ٤١٩٤)
(٢) (في المطبوع ٧/ ٤٢٦٢)

* ﴿قَالُوٓاْ إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا﴾

في آية أخرى ﴿فَلَمَّا جَآءَ ٱلسَّحَرَةُ قَالُواْ لِفِرۡعَوۡنَ أَئِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا إِن كُنَّا نَحۡنُ ٱلۡغَٰلِبِينَ ٤١﴾ سورة الشعراء

جائت ﴿أَئِنَّ لَنَا﴾

في الآيتين جاءت كلمة ﴿قَالُوٓاْ﴾ مما يدل على أنهم تكلموا جميعاً في وقت واحد، ولكن بين كلامهم هناك اختلاف :

فالذين قالوا ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا﴾ هؤلاء هم السحرة الشجعان، لم يهابوا فرعون، ولم يخافوا منه .

الذين قالوا ﴿إِنَّ لَنَا لَأَجۡرًا﴾ بصيغة الاستفهام، فهؤلاء كانوا سحرة يخافون من فرعون، فجاء قولهم بهذه الصيغة الاستفهامية، التي تعكس وتبين خوفهم[١].

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ (سورة الأعراف، الآية ١٤٤)

* ﴿ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾

بعد أن منعه الله تعالى الرؤية في قوله ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ (سورة الأعراف، الآية ١٤٣) امتن عليه وذكره بنعمة الرسالة، وبنعمة الكلام المباشر، وهكذا فإن المؤمن يتذكر ما أنعم الله عليه، ولا يقف عند ما منعه عنه عَزَّوَجَلَّ[٢].

﴿قَالَ يَٰمُوسَىٰٓ إِنِّي ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي فَخُذۡ مَآ ءَاتَيۡتُكَ وَكُن مِّنَ ٱلشَّٰكِرِينَ ١٤٤﴾ (سورة الأعراف، الآية ١٤٤)

(١) (في المطبوع ٧/ ٤٢٨٩)
(٢) (في المطبوع ٧/ ٤٣٤٦)

* ﴿ٱصۡطَفَيۡتُكَ عَلَى ٱلنَّاسِ بِرِسَٰلَٰتِي وَبِكَلَٰمِي﴾

بعد أن منعه الله تعالى الرؤية في قوله ﴿قَالَ لَن تَرَىٰنِي﴾ (سورة الأعراف، الآية ١٤٣) امتن عليه وذكره بنعمة الرسالة، وبنعمة الكلام المباشر، وهكذا فإن المؤمن يتذكر ما أنعم الله عليه، ولا يقف عند ما منعه عنه عَزَّوَجَلَّ(١).

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ١٧٥﴾ (سورة الأعراف، الآية ١٧٥)

* ﴿فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا﴾

معناه أنه كان ملتصقاً بهذه الآيات، وقريباً جداً منها، كالتصاق الجلد باللحم، فلا ينتزع منها إلا كعملية السلخ(٢).

* ﴿فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ﴾

للمعصية حالتان:

* أن تكون منك فتنصرف عنها، فلا يتبعك الشيطان بها.
* أن تبدأ المعصية ثم لا تنصرف، فيتبعك الشيطان فيها، ويزينها لك، ويهونها عليك، وهذا فعل صاحب القصة الذي ترك الآيات، فأتبعه الشيطان بعد ذلك(٣).

﴿وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ

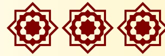
---
(١) (في المطبوع ٧/ ٤٣٤٦)
(٢) (في المطبوع ٧/ ٤٤٥٤)
(٣) (في المطبوع ٧/ ٤٤٥٦)

بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴿١٧٦﴾ (سورة الأعراف، الآية ١٧٦)

* ﴿يَتَفَكَّرُونَ﴾

الفرق بين يتفكرون ويتذكرون ويتدبرون...

* **التفكر**: الموازنة بين أمرين أو أكثر، واختيار أحدهما وترجيحه .
* **التذكر**: أن يكون الشيء مستقراً في النفس، لكنها تنساه ثم تتذكره .
* **يتدبرون**: التدبر هو رؤية الشيء من كل جهاته والتأمل فيه[١].



(١) (في المطبوع ٧/ ٤٤٦٧)

سُورَةُ الأنفَال

﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتْ قُلُوبُهُمْ وَإِذَا تُلِيَتْ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُهُۥ زَادَتْهُمْ إِيمَٰنًا وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴿٢﴾ ﴾ (سورة الأنفال، الآية ٢)

* ﴿ وَعَلَىٰ رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ ﴾

أي لا يتوكلون على غيره، فالأسلوب فيه قصر وحصر[(١)].

﴿ إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَٱسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ مِّنَ ٱلْمَلَٰٓئِكَةِ مُرْدِفِينَ ﴿٩﴾ ﴾ (سورة الأنفال، الآية ٩)

* ﴿ أَنِّى مُمِدُّكُم بِأَلْفٍ ﴾

كان يكفي واحدٌ كما فعل مع قوم لوطٍ لما بعث عليهم جبريل عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فلماذا أمدهم بألف من الملائكة؟

لسببين :

* فيه ترهيب للكافرين لما يروا هذا العدد الكبير .
* فيه تأييد وقوة للمؤمنين وطمأنينة لهم بالنصر بهذا العدد[(٢)].

﴿ وَمَا جَعَلَهُ ٱللَّهُ إِلَّا بُشْرَىٰ وَلِتَطْمَئِنَّ بِهِۦ قُلُوبُكُمْ ۚ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿١٠﴾ ﴾ (سورة الأنفال، الآية ١٠)

* ﴿ وَمَا ٱلنَّصْرُ إِلَّا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ﴾

---

(١) (في المطبوع ٨/ ٤٥٧٤)
(٢) (في المطبوع ٨/ ٤٥٩٠)

حتى لا يفتنوا بالملائكة وعددهم، أو يظنوا أن النصر من الملائكة، بل هو من عند الله عَزَّوَجَلَّ وليس من الملائكة[١].

﴿ ذَٰلِكُمۡ فَذُوقُوهُ وَأَنَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٤ ﴾ (سورة الأنفال، الآية ١٤)

* ﴿ ذَٰلِكُمۡ فَذُوقُوهُ ﴾

ما لقوه في بدر من العذاب والإهانة هو مجرد نموذج بسيط من العذاب، هو مجرد (ذوق) وفي الآخرة ينتظرهم العذاب الأكبر ﴿وَأَنَّ لِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابَ ٱلنَّارِ ١٤﴾[٢].

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِذَا لَقِيتُمُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ زَحۡفٗا فَلَا تُوَلُّوهُمُ ٱلۡأَدۡبَارَ ١٥ ﴾

(سورة الأنفال، الآية ١٥)

* ﴿ زَحۡفٗا ﴾

أي تحركوا ككتلة واحدة غير متفرقين، كما يتحرك الزاحف بجسمه كله، فالله يريد ذلك منكم لإنه أهيب لعدوكم وأخوف له[٣].

﴿ ذَٰلِكُمۡ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُوهِنُ كَيۡدِ ٱلۡكَٰفِرِينَ ١٨ ﴾ (سورة الأنفال، الآية ١٨)

* ﴿مُوهِنُ ﴾

أي مضعفهم، ويستطيع الحق أن ينهي كيد الكافرين، لكن له حكمة في بقاء كيدهم، فإن المؤمنين حين يرون كيد الكافرين للإسلام فإن هذا يحرك حميتهم وعاطفتهم للإسلام وعودتهم له وانتصارهم لدينهم ومدافعة الكافرين والتغلب عليهم[٤].

(١) (في المطبوع ٨/ ٤٥٩١)
(٢) (في المطبوع ٨/ ٤٦٠٤)
(٣) (في المطبوع ٨/ ٤٦٠٩)
(٤) (في المطبوع ٨/ ٤٦٢٠)

﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لَا تَخُونُواْ ٱللَّهَ وَٱلرَّسُولَ وَتَخُونُوٓاْ أَمَٰنَٰتِكُمۡ وَأَنتُمۡ تَعۡلَمُونَ ﴿٢٧﴾
وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّمَآ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ وَأَنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥٓ أَجۡرٌ عَظِيمٞ ﴿٢٨﴾ ﴾

(سورة الأنفال، الآيتين ٢٧-٢٨)

* ﴿ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ ﴾

السبب الرئيسي للخيانة هو في تحقيق المنفعة إما في المال أو الأولاد، والله تعالى قدم المال على الولد في الآية الثانية، لأن المال موجود لدى الناس جميعاً، أما الولد فقد لا يوجد لدى بعضهم كالعقيم مثلاً[1].

* ﴿ أَمۡوَٰلُكُمۡ وَأَوۡلَٰدُكُمۡ فِتۡنَةٞ ﴾

في آيةٍ أخرى يقول تعالى ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓاْ إِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجِكُمۡ وَأَوۡلَٰدِكُمۡ عَدُوّٗا لَّكُمۡ فَٱحۡذَرُوهُمۡۚ وَإِن تَعۡفُواْ وَتَصۡفَحُواْ وَتَغۡفِرُواْ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ رَّحِيمٌ ﴿١٤﴾ ﴾ (سورة التغابن، الآية ١٤).

قدّم الزوجة لأنها في أحيانٍ كثيرة هي من تكره أولاً، ويتأثر الأبناء بكرهها فيكرهون مثلها[2].

﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لِيُثۡبِتُوكَ أَوۡ يَقۡتُلُوكَ أَوۡ يُخۡرِجُوكَۚ وَيَمۡكُرُونَ وَيَمۡكُرُ ٱللَّهُۖ وَٱللَّهُ خَيۡرُ ٱلۡمَٰكِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (سورة الأنفال، الآية ٣٠)

* ﴿ وَإِذۡ يَمۡكُرُ بِكَ ﴾

في خطاب الله لنبيه صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ لا يأت بلفظ (واذكر) الذي يأتي في خطاب المؤمنين كما في قوله تعالى ﴿ وَٱذۡكُرُوٓاْ إِذۡ أَنتُمۡ قَلِيلٞ مُّسۡتَضۡعَفُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ ﴾ (سورة الأنفال، الآية ٢٦).

(١) (في المطبوع ٨/ ٤٦٧٠)
(٢) (في المطبوع ٨/ ٤٦٧١)

وذلك لأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لا يمكن أن ينسى أو يغفل عن ذكر ربه عَزَّوَجَلَّ والله عَزَّوَجَلَّ يقول له ﴿فَذَكِّرْ إِنَّمَآ أَنتَ مُذَكِّرٌ ﴿٢١﴾﴾ (سورة الغاشية، الآية ٢١).

لكن النسيان متصور في المؤمنين، فجاء الخطاب لهم لهم بـ ﴿وَٱذْكُرُوٓا۟﴾[1].

﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ۚ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَإِنَّ ٱللَّهَ بِمَا يَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ (سورة الأنفال، الآية ٣٩)

* ﴿وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ﴾

في آية أخرى في سورة البقرة يقول تعالى ﴿وَقَـٰتِلُوهُمْ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ لِلَّهِ ۖ فَإِنِ ٱنتَهَوْا۟ فَلَا عُدْوَٰنَ إِلَّا عَلَى ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿١٩٣﴾﴾ سورة البقرة.

فالآية جاءت بدون كلمة (كله) التي جاءت في آية الأنفال، والفرق بينهما :

أن آية سورة الأنفال المقصود به جزيرة العرب، لا يكون في جزيرة العرب دينان، أما آية البقرة فالمقصود أن دين الإسلام للعالم كله، فلذلك جاءت بدون كلمة (كله)[2].

﴿وَٱعْلَمُوٓا۟ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَىْءٍ فَأَنَّ لِلَّهِ خُمُسَهُۥ وَلِلرَّسُولِ وَلِذِى ٱلْقُرْبَىٰ وَٱلْيَتَـٰمَىٰ وَٱلْمَسَـٰكِينِ وَٱبْنِ ٱلسَّبِيلِ إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ ۗ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤١﴾﴾

(سورة الأنفال، الآية ٤١)

* ﴿إِن كُنتُمْ ءَامَنتُم بِٱللَّهِ﴾

(١) (في المطبوع ٨/ ٤٦٧٩)
(٢) (في المطبوع ٨/ ٤٧٠٢)

مجيء هذا اللفظ بعد قسمة الغنائم تذكير للمؤمنين أن هذه القسمة من الله عَزَّوَجَلَّ، ومن لم يرض بها فقد خدش في إيمانه[١].

* ﴿وَمَآ أَنزَلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا يَوْمَ ٱلْفُرْقَانِ يَوْمَ ٱلْتَقَى ٱلْجَمْعَانِ﴾

سبب معركة بدر خروج المسلمين لاعتراض قافلة قريش القادمة من الشام، فلم يتمكنوا منها لإنها سلكت طريقاً مختلفاً، وخرجت قريش بجيشها وسلاحها لنصرتها.

والتقى الجمعان، ولذلك حكمة.

فإنه لو تمكن المسلمون من القافلة وغنموا ما فيها لقيل إنها عملية سهلة فأي مجموعة مسلحة تستطيع السيطرة على القافلة وأخذ ما فيها.

فأراد الله تعالى أن يلتقي المؤمنون الذين لم يستعدوا للحرب بقريش التي خرجت للحرب واستعدت له، ويكون لقاؤهم بالكفار ابتلاءٌ لهم ولإيمانهم، فانتصر المسلمون وعددهم قليل وعدتهم قليلة، ليعلموا أن النصر من عند الله عَزَّوَجَلَّ لا من غيره، هذا للمؤمنين، ولغيرهم ليظهر الفرق بين الإيمان والكفر[٢].

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذْ يَتَوَفَّى ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلْمَلَٰٓئِكَةُ يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ وَذُوقُوا۟ عَذَابَ ٱلْحَرِيقِ ﴿٥٠﴾﴾ (سورة الأنفال، الآية ٥٠)

* ﴿يَضْرِبُونَ وُجُوهَهُمْ وَأَدْبَٰرَهُمْ﴾

الضرب للكفار يقع ساعة القتال وساعة الموت، المعنيان كلاهما صحيحان.

والضرب على وجوههم وأدبارهم، فإن الملائكة تضربهم ساعة القتال،

(١) (في المطبوع ٨/ ٤٧٠٧)
(٢) (في المطبوع ٨/ ٤٧٠٩)

فتضرب المقبل منهم على وجهه، فإذا ما هرب أو اتقى بيديه العذاب ضربته على دبره، تماماً كما كان الكفار يعذبون ويضربون المؤمنين في مكة يضربونهم على وجوههم وإذا هربوا منهم ضربوهم على أدبارهم، فعاقبهم الله بضرب الملائكة لهم كما كانوا يفعلون، وضرب الملائكة أشد وأعظم لإن معهم مقامع من حديد، وهو ما رآه المؤمنون في معركة بدر[١].

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَفَرُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَأَخَذَهُمُ ٱللَّهُ بِذُنُوبِهِمْ إِنَّ ٱللَّهَ قَوِىٌّ شَدِيدُ ٱلْعِقَابِ ﴿٥٢﴾﴾ (سورة الأنفال، الآية ٥٢)

* ﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ﴾

ذكر الله فرعون ولم يذكر البقية، والسبب أن حضارة تلك الأقوام قد زالت وانمحت ولم يبق منها إلا الشيء اليسير، أم حضارة الفراعنة فلا زالت قائمة، ولا زال الناس يتعجبون منها، ومن قوة وعظمة القوم الذين بنوا هذه الأهرامات، التي ما زال سرها محيراً، فأراد الله بذكر قوم فرعون وبقاء حضارتهم من بعدهم، أن يلفت الناس أن هناك قوة أكبر وأعظم من قوة قوم فرعون، أذهبتهم وأهلكتهم، وأبقت حضارتهم من بعدهم، ليعلم الجميع أن هذه القوة هي قوة الله عَزَّوَجَلَّ فيؤمنوا به ويسلموا له[٢].

﴿كَدَأْبِ ءَالِ فِرْعَوْنَ وَٱلَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ فَأَهْلَكْنَـٰهُم بِذُنُوبِهِمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَكُلٌّ كَانُوا۟ ظَـٰلِمِينَ ﴿٥٤﴾﴾ (سورة الأنفال، الآية ٥٤)

* ﴿كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ رَبِّهِمْ﴾

---

(١) (في المطبوع ٨/ ٤٧٤٧)

(٢) (في المطبوع ٨/ ٤٧٥٤)

في الآية التي قبلها يأتي قوله تعالى ﴿كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ﴾

والفرق بينهما أن الآية الأولى معناها أنهم كذبوا بالآيات التي تدل على وحدانية الله تعالى وألوهيته وكذبوا برسله والكتب التي أنزلها عليهم، أما هذه الآية ﴿كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ﴾ فمعناها أنهم كذبوا بنعم الله عليهم وبعطاء الربوبية لهم[١].

﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ ۚ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ (سورة الأنفال، الآية ٦٠)

* ﴿وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ﴾

من الإعجاز في هذه الآية، أن الله ذكر الخيل في القوة، واليوم مع تطور الآلآت والسيارات وغيرها، تكون الخيل هي وحدة القياس فيها فيقال (قوتها تعادل قوة كذا حصان)[٢].

* ﴿وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَيْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ﴾

أي شيء مهما كان يسيراً في نظركم فهو مدخر لكم عند الله تعالى، تماماً كما في قوله تعالى ﴿وَٱعْلَمُوٓاْ أَنَّمَا غَنِمْتُم مِّن شَيْءٍ﴾ (سورة الأنفال ٤١) فهو ينطبق على أي شيء تغنمونه ولو كان إبرة أو خيطاً فله حكم الغنائم[٣].

﴿وَإِن جَنَحُواْ لِلسَّلْمِ فَٱجْنَحْ لَهَا وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْعَلِيمُ ﴿٦١﴾﴾ (سورة الأنفال، الآية ٦١)

---

(١) (في المطبوع ٨/ ٤٧٦١)

(٢) (في المطبوع ٨/ ٤٧٧٩)

(٣) (في المطبوع ٨/ ٤٧٨١)

* ﴿إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلۡعَلِيمُ﴾

﴿ٱلسَّمِيعُ﴾ لأقوالكم، فأنتم في الإعداد بعضكم ينصح بعضـاً، ويوجه بعضكم بعضاً (اعمل كذا، اصنع كذا) فالقول له أثرٌ وأهمية .

﴿ٱلۡعَلِيمُ﴾ عليم بأفعالكم وأعمالكم .

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ مِنَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٦٤﴾ (سورة الأنفال، الآية ٦٤)

* ﴿حَسۡبُكَ ٱللَّهُ وَمَنِ ٱتَّبَعَكَ﴾

تحتمل معنيين وكلاهما صحيحان :

* الله حسبك وحسب المؤمنين
* الله هو حسبك والمؤمنون كذلك هم حسب لك بعد الله، فالله الذي يخلق لك الأسباب، والمؤمنون من الأسباب[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ حَرِّضِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ عَلَى ٱلۡقِتَالِۚ إِن يَكُن مِّنكُمۡ عِشۡرُونَ صَٰبِرُونَ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفٗا مِّنَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِأَنَّهُمۡ قَوۡمٞ لَّا يَفۡقَهُونَ ٦٥﴾ (سورة الأنفال، الآية ٦٥)

* ﴿حَرِّضِ﴾

كلمة ﴿حَرِّضِ﴾ معناها الهلاك، فهل يأمرهم بهلاكهم؟

المقصود أن يأمرهم بما يزيل هلاكهم، فإن الفعل يزال معناها إما بالهمزة كما في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخۡفِيهَا لِتُجۡزَىٰ كُلُّ نَفۡسِۭ بِمَا تَسۡعَىٰ ١٥﴾ سورة طه، أي أزيل خفاءها بعلامات الساعة الكبرى والصغرى، أو يزال معنى

(١) (في المطبوع ٨/ ٤٧٨٩)

الفعل بتضعيف عين الفعل، وهو ما وقع هنا، فالمقصود حرضهم على القتال وشجعهم عليه بما يحفظهم ويرفع الهلاك عنهم[١].

﴿ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗاۚ فَإِن يَكُن مِّنكُم مِّاْئَةٞ صَابِرَةٞ يَغۡلِبُواْ مِاْئَتَيۡنِۚ وَإِن يَكُن مِّنكُمۡ أَلۡفٞ يَغۡلِبُوٓاْ أَلۡفَيۡنِ بِإِذۡنِ ٱللَّهِۗ وَٱللَّهُ مَعَ ٱلصَّٰبِرِينَ ﴿٦٦﴾ ﴾ (سورة الأنفال، الآية ٦٦)

* ﴿ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ وَعَلِمَ أَنَّ فِيكُمۡ ضَعۡفٗا ﴾

لم يقل الله عَزَّوَجَلَّ (الآن علم فيكم ضعفا وخفف عنكم)

بل قدم الحكم ﴿ ٱلۡـَٰٔنَ خَفَّفَ ٱللَّهُ عَنكُمۡ ﴾ لأنه يريد الترخيص في الحكم أثبت من الحكم[٢].

﴿ وَٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَهَاجَرُواْ وَجَٰهَدُواْ فِي سَبِيلِ ٱللَّهِ وَٱلَّذِينَ ءَاوَواْ وَّنَصَرُوٓاْ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴿٧٤﴾ ﴾ (سورة الأنفال، الآية ٧٤)

* ﴿ أُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾

* ﴿ هُمُ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ حَقّٗاۚ ﴾ هذا جزاؤهم في الدنيا، وصفوا بأنهم المؤمنون حقاً.

* ﴿ لَّهُم مَّغۡفِرَةٞ وَرِزۡقٞ كَرِيمٞ ﴾

هذا جزاؤهم في الآخرة، مغفرة ذنوبهم، ورفعة درجاتهم في الجنة[٣].



(١) في المطبوع ٨/ ٤٧٩٢)

(٢) في المطبوع ٨/ ٤٨٠٧)

(٣) في المطبوع ٨/ ٤٨٢٧)

﴿ سُورَةُ التَّوبَةِ ﴾

﴿بَرَآءَةٌ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلَّذِينَ عَٰهَدتُّم مِّنَ ٱلْمُشْرِكِينَ ۝١﴾ (سورة التوبة، الآية ١)

جاءت سورة التوبة بدون البسملة، وذلك لأمور منها:

* لإنها جاءت بنقض عهود الكفار، والبسملة أمان، ولا يليق أن يأتي بالبسملة مع نقض العهد.

* الشرع ينتقل بالمؤمن من موضع إلى موضع، ثم تأتي فجوة يقف العقل فيها حائراً، فعليه في هذه الحالة الإيمان والتسليم لله عَزَّوَجَلَّ، فالقرآن ليس كتاباً رتيباً يأتي على صورة واحدة، تكون البسملة موجودة في كل سورة، بل تأتي سورة من غير بسملة، كما هو الحال في سورة التوبة، وعلى العبد الإيمان والتسليم، كما هو الحال في الحج، يقبل الإنسان الحجر الأسود، ويطوف حول الكعبة وهي بناء من حجر، ويرمي الجمرات، وكلها من الحجارة، فعليه الإيمان والإتباع، لأن هناك أمور يقف العقل فيها حائراً[١].

* سميت هذه السورة (براءة) و(التوبة) وتكرر فيها لفظ (التوبة) كثيراً:

﴿فَإِن تَابُوا۟ وَأَقَامُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَءَاتَوُا۟ ٱلزَّكَوٰةَ فَإِخْوَٰنُكُمْ فِى ٱلدِّينِ ۗ وَنُفَصِّلُ ٱلْءَايَٰتِ لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝١١﴾ (سورة التوبة، الآية ١١)

* ﴿لَّقَد تَّابَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلنَّبِىِّ وَٱلْمُهَٰجِرِينَ وَٱلْأَنصَارِ ٱلَّذِينَ ٱتَّبَعُوهُ فِى سَاعَةِ ٱلْعُسْرَةِ مِنۢ بَعْدِ مَا كَادَ يَزِيغُ قُلُوبُ فَرِيقٍ مِّنْهُمْ ثُمَّ تَابَ عَلَيْهِمْ ۚ إِنَّهُۥ بِهِمْ رَءُوفٌ رَّحِيمٌ ۝١١٧﴾ (سورة التوبة، الآية ١١٧)

---

(١) (في المطبوع ٨/ ٤٨٣٢)

* ﴿ ثُمَّ تَابَ عَلَيۡهِمۡ لِيَتُوبُوٓاْۚ إِنَّ ٱللَّهَ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ١١٨ ﴾ (سورة التوبة، الآية ١١٧).

فكأن الله تعالى يدعوهم للتوبة

﴿فَسِيحُواْ فِي ٱلۡأَرۡضِ أَرۡبَعَةَ أَشۡهُرٖ وَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِ وَأَنَّ ٱللَّهَ مُخۡزِي ٱلۡكَٰفِرِينَ ٢﴾ (سورة التوبة، الآية ٢)

* ﴿فَسِيحُواْ فِي﴾

عبر سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ بقوله ﴿فَسِيحُواْ﴾ ولم يقل (فسيروا) كما في آياتٍ أخرى، وذلك لأن السياحة هي المشي بلا أدنى خوف أو شك فهي تعطي ضماناً إيمانياً لهم، أما السير فهو سير آمن ولكنه لا يخلو من خوف أو مخاطرة[1].

﴿ وَأَذَٰنٞ مِّنَ ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦٓ إِلَى ٱلنَّاسِ يَوۡمَ ٱلۡحَجِّ ٱلۡأَكۡبَرِ أَنَّ ٱللَّهَ بَرِيٓءٞ مِّنَ ٱلۡمُشۡرِكِينَ وَرَسُولُهُۥۚ فَإِن تُبۡتُمۡ فَهُوَ خَيۡرٞ لَّكُمۡۖ وَإِن تَوَلَّيۡتُمۡ فَٱعۡلَمُوٓاْ أَنَّكُمۡ غَيۡرُ مُعۡجِزِي ٱللَّهِۗ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ ٣﴾ (سورة التوبة، الآية ٣)

* ﴿بِعَذَابٍ أَلِيمٍ﴾

يوصف العذاب مرة بأنه أليم ومرة بأنه عظيم ومرة بأنه مهين .

وذلك بحسب من يقع عليه العذاب، فمن الناس من يكون عذابه أليماً فقط، ومنهم من يكون في العذاب مهانة ﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤﴾ (سورة التوبة، الآية ١٤) له، ومنهم من يكون عذابه عظيماً، وهذا مشاهد في حياة الناس اليوم، فمنهم من يقبل الإهانة ولا يقبل الضرب، ومنهم من يقبل الضرب ولا يقبل الإهانة، ومنهم من لا يكفيه

(١) (في المطبوع ٨/ ٤٨٦١)

عذاب واحد فهو يتحمله، بل لا بد من مضاعفة العذاب له[١].

﴿قَٰتِلُوهُمۡ يُعَذِّبۡهُمُ ٱللَّهُ بِأَيۡدِيكُمۡ وَيُخۡزِهِمۡ وَيَنصُرۡكُمۡ عَلَيۡهِمۡ وَيَشۡفِ صُدُورَ قَوۡمٖ مُّؤۡمِنِينَ ١٤ وَيُذۡهِبۡ غَيۡظَ قُلُوبِهِمۡۗ وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ١٥﴾ (سورة التوبة، الآيتين ١٤-١٥)

* ﴿وَيَتُوبُ ٱللَّهُ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ﴾

كان القياس أن يقول (ويتب) عطفاً على ما قبلها من الأفعال المجزومة (يخزهم، ينصركم، يشف، يذهب) لإن يتوب هي للكفار، فلم يرد المساواة بين المؤمنين والكافرين في جواب الشرط.

﴿وَيَتُوبُ﴾ فتح الله للكفار باب التوبة بعد هزيمتم، لعلهم يرجعون إلى الحق[٢].

﴿هُوَ ٱلَّذِيٓ أَرۡسَلَ رَسُولَهُۥ بِٱلۡهُدَىٰ وَدِينِ ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُشۡرِكُونَ ٣٣﴾ (سورة التوبة، الآية ٣٣)

* ﴿ٱلۡحَقِّ لِيُظۡهِرَهُۥ عَلَى ٱلدِّينِ كُلِّهِۦ﴾

أي يجعله ظاهراً، حتى وإن لم يؤمن به جميع الناس إلا أنهم يضطرون للأخذ ببعض أحكامه، لما في أحكامهم من خطأ وضلال، كما حدث مع النصارى اللذين أباحوا الطلاق بعد أن كان محرماً عندهم[٣].

(١) (في المطبوع ٨/ ٤٨٦٩)
(٢) (في المطبوع ٨/ ٤٩٢٨)
(٣) (في المطبوع ٢/ ٩٩٥)

﴿إِلَّا تَنصُرُوهُ فَقَدْ نَصَرَهُ ٱللَّهُ إِذْ أَخْرَجَهُ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ثَانِىَ ٱثْنَيْنِ إِذْ هُمَا فِى ٱلْغَارِ إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا ۖ فَأَنزَلَ ٱللَّهُ سَكِينَتَهُۥ عَلَيْهِ وَأَيَّدَهُۥ بِجُنُودٍ لَّمْ تَرَوْهَا وَجَعَلَ كَلِمَةَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱلسُّفْلَىٰ ۗ وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾

(سورة التوبة، الآية ٤٠)

* ﴿إِذْ يَقُولُ لِصَٰحِبِهِۦ لَا تَحْزَنْ إِنَّ ٱللَّهَ مَعَنَا﴾

من كان في معية الله الذي لا تدركه الأبصار، فإنه لن تدركه أبصار الذين يبحثون عنه[١].

* ﴿وَكَلِمَةُ ٱللَّهِ هِىَ ٱلْعُلْيَا ۗ وَٱللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾.

لو جاءت كلمةُ الله بالفتح (كلمةَ) فكأنها تفيد أن كلمة الله لم تكن يومـًا هي العليا، لكنها بالضم تفيد ذلك أنها دائمـًا هي العليا[٢].

﴿وَمِنْهُم مَّن يَلْمِزُكَ فِى ٱلصَّدَقَٰتِ فَإِنْ أُعْطُوا۟ مِنْهَا رَضُوا۟ وَإِن لَّمْ يُعْطَوْا۟ مِنْهَآ إِذَا هُمْ يَسْخَطُونَ ﴿٥٨﴾﴾ (سورة التوبة، الآية ٥٨)

* ﴿هُمْ يَسْخَطُونَ﴾

عبر بالسخط، لأن السخط إظهار الكره والغضب بالقلب واللسان، فلم يستطيعوا أن يكتموا كرههم وغضبهم، فتكلموا معبرين عن غضبهم في منعهم من الصدقات[٣].

---

(١) (في المطبوع ٨/ ٥١٢٨)
(٢) (في المطبوع ٨/ ٥١٣٣-٢٢/ ١٣٦٧٢)
(٣) (في المطبوع ٩/ ٥٢١٦)

﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٍ مِّنۡهُمۡ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ لِلۡخُرُوجِ فَقُل لَّن تَخۡرُجُواْ مَعِيَ أَبَدًا وَلَن تُقَٰتِلُواْ مَعِيَ عَدُوًّاۖ إِنَّكُمۡ رَضِيتُم بِٱلۡقُعُودِ أَوَّلَ مَرَّةٖ فَٱقۡعُدُواْ مَعَ ٱلۡخَٰلِفِينَ ٨٣ ﴾

(سورة التوبة، الآية ٨٣)

* ﴿ فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ ﴾

﴿ رَّجَعَكَ ٱللَّهُ ﴾: إشارة إلى أن أمر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ كله لله تعالى، وليس له صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وأمر المؤمنين تبع لأمر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، كما قال في آية أخرى {﴿يَعۡتَذِرُونَ إِلَيۡكُمۡ إِذَا رَجَعۡتُمۡ إِلَيۡهِمۡۚ قُل لَّا تَعۡتَذِرُواْ لَن نُّؤۡمِنَ لَكُمۡ قَدۡ نَبَّأَنَا ٱللَّهُ مِنۡ أَخۡبَارِكُمۡۚ وَسَيَرَى ٱللَّهُ عَمَلَكُمۡ وَرَسُولُهُۥ ثُمَّ تُرَدُّونَ إِلَىٰ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِ وَٱلشَّهَٰدَةِ فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٩٤ ﴾ (سورة التوبة، الآية ٩٤)[١]

* ﴿ فَٱسۡتَـٔۡذَنُوكَ ﴾

❁ لماذا يستئذنونك في الخروج للقتال معك، وهم قبل ذلك كانوا يستئذنونك للقعود وترك القتال؟

السبب هو أنهم المنافقون لما رأوا عودة المسلمين من غزوتهم سالمين، لم يضرهم أذى، ورأوا النصر والعز في وجوههم، ندموا على قعودهم، وظنوا أن كل قتالٍ يكون كذلك، فأحبوا أن ينالوا من مظاهر العز والنصر، ما ناله المسلمون في غزوتهم هذه[٢].

﴿رَضُواْ بِأَن يَكُونُواْ مَعَ ٱلۡخَوَالِفِ وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ فَهُمۡ لَا يَفۡقَهُونَ ٨٧ ﴾

(سورة التوبة، الآية ٨٧).

(١) (في المطبوع ٩/ ٥٣٨٧)
(٢) (في المطبوع ٩/ ٥٣٨٨)

* ﴿مَعَ ٱلْخَوَالِفِ﴾

﴿ٱلْخَوَالِفِ﴾ جمع (خالفة) وليس (خالف)، وجمعهم على (خوالف) لإنهم رضوا لأنفسهم أن يكونوا مثل حكم النساء في التخلف عن الجهاد[1].

* ﴿وَطُبِعَ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾

وفي آية أخرى يقول تعالى: ﴿إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَسْتَـْٔذِنُونَكَ وَهُمْ أَغْنِيَآءُ ۚ رَضُوا۟ بِأَن يَكُونُوا۟ مَعَ ٱلْخَوَالِفِ وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ فَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٩٣﴾﴾ (سورة التوبة، الآية ٩٣)

* ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ﴾

الآية الأولى جاءت بالمبني للمجهول ﴿فَطُبِعَ﴾ والثانية بالمبني للمعلوم ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ﴾ فهل بينهما فرق .

نعم هناك فرق، والفرق سنوضحه كالتالي :

أولاً: قوله ﴿وَطُبِعَ﴾ بالمجهول، هي تشبه الفعل ﴿كُتِبَ﴾ الذي ورد في الآيات التالية:

* ﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلصِّيَامُ كَمَا كُتِبَ عَلَى ٱلَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٨٣﴾﴾ (سورة البقرة، الآية ١٨٣)

* ﴿كُتِبَ عَلَيْكُمُ ٱلْقِتَالُ وَهُوَ كُرْهٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تَكْرَهُوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۖ وَعَسَىٰٓ أَن تُحِبُّوا۟ شَيْـًٔا وَهُوَ شَرٌّ لَّكُمْ ۗ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ وَأَنتُمْ لَا تَعْلَمُونَ ﴿٢١٦﴾﴾

(سورة البقرة، الآية ٢١٦)

---

(١) (في المطبوع ٩/ ٥٤٠٥)

* ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ كُتِبَ عَلَيۡكُمُ ٱلۡقِصَاصُ فِي ٱلۡقَتۡلَىۖ ٱلۡحُرُّ بِٱلۡحُرِّ وَٱلۡعَبۡدُ بِٱلۡعَبۡدِ وَٱلۡأُنثَىٰ بِٱلۡأُنثَىٰۚ فَمَنۡ عُفِيَ لَهُۥ مِنۡ أَخِيهِ شَيۡءٞ فَٱتِّبَاعُۢ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَأَدَآءٌ إِلَيۡهِ بِإِحۡسَٰنٖۗ ذَٰلِكَ تَخۡفِيفٞ مِّن رَّبِّكُمۡ وَرَحۡمَةٞۗ فَمَنِ ٱعۡتَدَىٰ بَعۡدَ ذَٰلِكَ فَلَهُۥ عَذَابٌ أَلِيمٞ ١٧٨﴾

(سورة البقرة، الآية ١٧٨)

فالأحكام التكليفية جاءت بهذه الصيغة المبني للمجهول، والتي تفيد المشاركة في الحكم التكليفي، وكيف ذلك؟

المؤمن دخل في المعادلة التكليفية بسبب إيمانه، فهو لما ارتضى أن يكون مؤمناً بالله تعالى، فهو قد أذن لنفسه وارتضى لها أن تنفذ أحكام الله تعالى وأوامره، فهو شريك في الحكم التكليفي بسبب إيمانه، فلولا إيمانه لما كلف بالصيام والجهاد والقصاص، وغيرها من الأحكام.

وهنا ﴿فَطُبِعَ﴾ للمجهول، لأن المنافقين بسبب نفاقهم ومرض قلوبهم واختيارهم النفاق والكفر، استحقوا أن يطبع على قلوبهم، فسبب أفعالهم هذه استحقوا أن يكونوا طرفاً في الطبع على قلوبهم.

أما الآية الأخرى ﴿وَطَبَعَ ٱللَّهُ عَلَىٰ قُلُوبِهِمۡ﴾ فهي تبين الفرق بين الطبع الأول والثاني، وأن الطبع الثاني أشد من الأول وأقسى، وذلك لأن الثاني الذي تولاه هو الله عَزَّوَجَلَّ، أما الأول ففيه طرف مشاركة من المنافقين، ويوضح ذلك تذييل الآيتين، فالأولى ﴿لَا يَفۡقَهُونَ﴾، والفقه هو فهم الذات للذات، ومن لم يفهم من نفسه شيئاً، فسيفهم من غيره، ويصيب علماً من الآخرين.

أما ﴿لَا يَعۡلَمُونَ﴾ فهو أشد، لأنه لن يعلم شيئاً لا من نفسه، ولا من غيره، ونفي العلم أشد من نفي الفقه[1].

(١) (في المطبوع ٩/ ٥٤١٩)

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ وَكُونُواْ مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ ١١٩﴾ (سورة التوبة، الآية ١١٩)

* ﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾

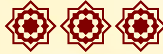
قالوا ﴿مَعَ﴾ بمعنى (مِنْ)، فيكون المعنى كونوا من الصادقين.

وهذا صحيح، لكن هناك معنى آخر:

﴿مَعَ ٱلصَّٰدِقِينَ﴾ أي التحموا مع الصادقين فتكونوا منهم، فمن يأتي بعدكم يراكم من الصالحين(١).

﴿لَقَدۡ جَآءَكُمۡ رَسُولٞ مِّنۡ أَنفُسِكُمۡ عَزِيزٌ عَلَيۡهِ مَا عَنِتُّمۡ حَرِيصٌ عَلَيۡكُم بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ رَءُوفٞ رَّحِيمٞ ١٢٨﴾ (سورة التوبة، الآية ١٢٨)

مناسبة الآية لختام السورة، أنها جاءت بعد تكاليف شديدة، كُلِف بها المؤمنون في هذه السورة، فيعلم المؤمنون أن الرسول صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، مشفق عليهم فيما هو شاق عليهم، وأنه يريد لهم الخير، فلا يظنوا به غير ذلك(٢).



(١) في المطبوع (٩/ ٥٥٥٩)

(٢) في المطبوع (٩/ ٥٦١٧)

﴿ سُورَةُ يُونُسَ ﴾

﴿ دَعْوَىٰهُمْ فِيهَا سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ وَتَحِيَّتُهُمْ فِيهَا سَلَٰمٌ ۚ وَءَاخِرُ دَعْوَىٰهُمْ أَنِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ (سورة يونس، الآية ١٠)

* ﴿ سُبْحَٰنَكَ ٱللَّهُمَّ ﴾

ليس في الجنة تكليف، وإنما هذا تعجب منهم من نعيم الجنة، وأن نعيم الدنيا لا يشابهها إلا بالأسماء، فإذا أخذوا شيئًا من نعيم الجنة تعجبوا، كما في قوله تعالى ﴿ وَبَشِّرِ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ ۖ كُلَّمَا رُزِقُوا۟ مِنْهَا مِن ثَمَرَةٍ رِّزْقًا ۙ قَالُوا۟ هَٰذَا ٱلَّذِى رُزِقْنَا مِن قَبْلُ ۖ وَأُتُوا۟ بِهِۦ مُتَشَٰبِهًا ۖ وَلَهُمْ فِيهَآ أَزْوَٰجٌ مُّطَهَّرَةٌ ۖ وَهُمْ فِيهَا خَٰلِدُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (سورة البقرة الآية ٢٥)[١].

﴿ قُلْ هَلْ مِن شُرَكَآئِكُم مَّن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ۚ قُلِ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ۗ أَفَمَن يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ أَحَقُّ أَن يُتَّبَعَ أَمَّن لَّا يَهِدِّىٓ إِلَّآ أَن يُهْدَىٰ ۖ فَمَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (سورة يونس، الآية ٣٥)

* ﴿ يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ ﴾
* ﴿ ٱللَّهُ يَهْدِى لِلْحَقِّ ﴾

الفرق بينهما :

﴿يَهْدِى لِلْحَقِّ﴾: الحق هو الغاية، والله يهدي إليه .

﴿يَهْدِىٓ إِلَى ٱلْحَقِّ﴾: أي إلى طريق الغاية، فالله هو الذي يهدي إلى الغاية،

(١) (في المطبوع ٩/ ٥٧٥٨)

وإلى طريق الغاية، ولا يملك أحدُ ذلك غيره[(١)].

﴿وَيَسْتَنۢبِـُٔونَكَ أَحَقٌّ هُوَ ۖ قُلْ إِى وَرَبِّىٓ إِنَّهُۥ لَحَقٌّ ۖ وَمَآ أَنتُم بِمُعْجِزِينَ ﴿٥٣﴾﴾

(سورة يونس، الآية ٥٣)

* ﴿إِى وَرَبِّىٓ﴾

كلمة ﴿إِى﴾ لا تأتي إلا مع القسم، وكلمة (بلى) لا تأتي إلا مع الإنكار، مثل قوله تعالى ﴿وَإِذْ أَخَذَ رَبُّكَ مِنۢ بَنِىٓ ءَادَمَ مِن ظُهُورِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَأَشْهَدَهُمْ عَلَىٰٓ أَنفُسِهِمْ أَلَسْتُ بِرَبِّكُمْ ۖ قَالُوا۟ بَلَىٰ ۛ شَهِدْنَآ ۛ أَن تَقُولُوا۟ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ إِنَّا كُنَّا عَنْ هَـٰذَا غَـٰفِلِينَ ﴿١٧٢﴾﴾ (سورة الأعراف، الآية ١٧٢)[(٢)].

﴿وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ نُوحٍ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِۦ يَـٰقَوْمِ إِن كَانَ كَبُرَ عَلَيْكُم مَّقَامِى وَتَذْكِيرِى بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ فَأَجْمِعُوٓا۟ أَمْرَكُمْ وَشُرَكَآءَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُنْ أَمْرُكُمْ عَلَيْكُمْ غُمَّةً ثُمَّ ٱقْضُوٓا۟ إِلَىَّ وَلَا تُنظِرُونِ ﴿٧١﴾﴾ (سورة يونس، الآية ٧١)

* ﴿فَعَلَى ٱللَّهِ تَوَكَّلْتُ﴾

معناها (لا أتوكل إلا على الله)، وهي بهذه الصيغة لا تقبل العطف عليها، بخلاف لو قلت (توكلت على الله) فإنها تقبل العطف[(٣)].

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ أَن تَبَوَّءَا لِقَوْمِكُمَا بِمِصْرَ بُيُوتًا وَٱجْعَلُوا۟ بُيُوتَكُمْ قِبْلَةً وَأَقِيمُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٧﴾﴾ (سورة يونس، الآية ٨٧)

(١) (في المطبوع ١٠/ ٥٩٢٥)
(٢) (في المطبوع ١٠/ ٥٩٨٦)
(٣) (في المطبوع ١٠/ ٦٠٩٤)

* ﴿ وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰ مُوسَىٰ وَأَخِيهِ ﴾

الوحي كان واحداً في وقت واحد، ليكون كلامهما واحداً غير مختلف[(١)].

﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ (سورة يونس، الآية ٩٨)

* ﴿ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ ﴾

في سورة يونس ذكر الله تعالى من الأنبياء نوحـًا وموسى ويونس عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ، فلماذا ذكروا في هذه السورة ولم يذكر معهم غيرهم؟

الجواب: الماء هو السبب، فالثلاثة لهم ارتباط بالماء بوجهٍ من الوجوه .

* نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قد أغرق الله قومه بالطوفان .
* موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ قد أهلك الله عدوه فرعون بالغرق .
* يونس عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ نجاه الله من الغرق ومن بطن الحوت الذي في الماء، ولأنه قد نجا من الغرق سميت باسمه السورة.

وهذا كله ليبين الله تعالى قدرته المطلقة على الأشياء، فهو الذي يغرق بالشيء، وهو الذي ينجي منه بأمره تعالى[(٢)].



(١) (في المطبوع ١٠/ ٦١٥٩).
(٢) (في المطبوع ١٠/ ٦٢١٠)

﴿ سُورَةُ هُودٍ ﴾

﴿ وَلَئِنْ أَذَقْنَٰهُ نَعْمَآءَ بَعْدَ ضَرَّآءَ مَسَّتْهُ لَيَقُولَنَّ ذَهَبَ ٱلسَّيِّـَٔاتُ عَنِّيٓ ۚ إِنَّهُۥ لَفَرِحٌ فَخُورٌ ﴿١٠﴾ ﴾ (سورة هود، الآية ١٠)

* ﴿ نَعْمَآءَ ﴾

الفرق بين النعمة، النعماء، الضر، الضراء.

* **النعمة**: هي الخير الذي يصيب الإنسان، وإن لم يظهر عليه.
* **النعماء**: هي الخير الذي يصيب الإنسان ويظهر عليه.
* **الضر**: هو السوء يصيب الإنسان وإن لم يظهر عليه.
* **الضراء**: هي السوء يصيب الإنسان ويظهر عليه[(١)].

﴿ فَلَعَلَّكَ تَارِكٌۢ بَعْضَ مَا يُوحَىٰٓ إِلَيْكَ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ أَن يَقُولُوا۟ لَوْلَآ أُنزِلَ عَلَيْهِ كَنزٌ أَوْ جَآءَ مَعَهُۥ مَلَكٌ ۚ إِنَّمَآ أَنتَ نَذِيرٌ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ وَكِيلٌ ﴿١٢﴾ ﴾ (سورة هود، الآية ١٢)

* ﴿ وَضَآئِقٌۢ بِهِۦ صَدْرُكَ ﴾

﴿ وَضَآئِقٌۢ ﴾: أي في فترة مرحلية مؤقتة، وليست دائمة بسبب ما يسمعه من قومه وتكذيبهم لرسالته صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(٢)].

﴿ وَيَصْنَعُ ٱلْفُلْكَ وَكُلَّمَا مَرَّ عَلَيْهِ مَلَأٌ مِّن قَوْمِهِۦ سَخِرُوا۟ مِنْهُ ۚ قَالَ إِن تَسْخَرُوا۟ مِنَّا فَإِنَّا نَسْخَرُ مِنكُمْ كَمَا تَسْخَرُونَ ﴿٣٨﴾ ﴾ (سورة هود، الآية ٣٨)

---

(١) (في المطبوع ١٠/ ٦٣٥٢)
(٢) (في المطبوع ١٠/ ٦٣٦٥)

❊ ﴿سَخِرُواْ مِنۡهُ﴾

من سخريتهم بنوحٍ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ أنهم كانوا يقولون له: بعد أن كان نبيًا صار نجاراً[١].

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ شَقُواْ فَفِي ٱلنَّارِ لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَشَهِيقٌ ۝١٠٦ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ
ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۚ إِنَّ رَبَّكَ فَعَّالٞ لِّمَا يُرِيدُ ۝١٠٧ ۞ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ
سُعِدُواْ فَفِي ٱلۡجَنَّةِ خَٰلِدِينَ فِيهَا مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلۡأَرۡضُ إِلَّا مَا شَآءَ رَبُّكَۖ عَطَآءً
غَيۡرَ مَجۡذُوذٖ ۝١٠٨﴾ (سورة هود، الآيات ١٠٦-١٠٨)

❊ ﴿شَقُواْ﴾ ﴿سُعِدُواْ﴾

﴿شَقُواْ﴾: جاءت للفاعل أي أنهم هم الذين اختاروا الشقاء.

﴿سُعِدُواْ﴾: جاءت بالبناء للمجهول، والمعنى أن الله تعالى هو الذي وفقهم للسعادة[٢].

❊ ﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا﴾

تحتمل ثلاثة معان:

■ **المعنى الأول: أن الناس ثلاثة أقسام:**

❊ **القسم الأول**: الكفار الأشقياء، وهم الخالدون أبداً في النار.

❊ **القسم الثاني**: المؤمنون، وهم الخالدون أبداً في الجنة.

❊ **القسم الثالث**: عصاة المؤمنين، وهم الذين يدخلون النار، ثم يخرجون منها إلى الجنة، وهؤلاء فاتهم الخلود الأبدي في النار إلى مالا نهايته، وفاتهم

(١) (في المطبوع ١١/ ٦٤٦٧)
(٢) (في المطبوع ١١/ ٦٦٨٣)

أيضـًا بداية أبدية الخلود في الجنة، وهؤلاء هم المقصودون في الآية[١].

■ **المعنى الثاني :**

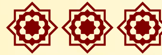
إن الله تعالى يبين لخلقه، أن قدر الله لا يحكم الله تعالى، وإنما الله تعالى هو الذي يحكم قدره[٢].

■ **المعنى الثالث :**

إن الأمر معلق بالمشيئة، فلا يجوز القول بفناء النار، لأن هذا الأمر متروك لمشيئة الله تعالى، ولا أحد يعلمها[٣].

* ﴿مَا دَامَتِ ٱلسَّمَٰوَٰتُ وَٱلْأَرْضُ﴾

ليس من شرط التعليق ارتباطه بالمعلق به، وهذا التعليق كقوله تعالى ﴿وَلَا يَدْخُلُونَ ٱلْجَنَّةَ حَتَّىٰ يَلِجَ ٱلْجَمَلُ فِى سَمِّ ٱلْخِيَاطِ ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُجْرِمِينَ ﴿٤٠﴾﴾ (سورة الأعراف، الآية ٤٠).



(١) (في المطبوع ١١/ ٦٦٨٤-٦٦٨٥)
(٢) (في المطبوع ١١/ ٦٦٨٥)
(٣) (في المطبوع ١١/ ٦٦٨٦)

﴿ سُورَةُ يُوسُفَ ﴾

﴿ إِذْ قَالُواْ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾ ﴾ (سورة يوسف، الآية ٨)

﴿وَنَحْنُ عُصْبَةٌ﴾ نسوا أن عصبتهم هي سبب محبة أبيهم ليوسف، فالعصبة تعني القوة، ويوسف لا يزال طفلاً ضعيفاً، والأب بطبيعته ميّال إلى الضعيف من أبنائه، لأنه يحس أنه أقصر حياة منه، فهو بحاجة إليه أكثر من بقية أبنائه[١].

﴿ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَٰعِلِينَ ﴿١٠﴾ ﴾ (سورة يوسف، الآية ١٠)

* ﴿ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُواْ يُوسُفَ﴾

اختلافهم يدل على رحمة منهم بأخيهم ﴿وَأَلْقُوهُ فِى غَيَٰبَتِ ٱلْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ ٱلسَّيَّارَةِ ﴾ هذا حرص منهم على أن يكون هناك مَنْ يأخذه[٢].

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَ۫نَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُۥ لَنَٰصِحُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (سورة يوسف، الآية ١١)

* ﴿تَأْمَ۫نَّا﴾

دل هذا على وجود محاولات سابقة لهم في هذا الشأن[٣].

---

(١) (في المطبوع ١١/ ٦٨٦٨)
(٢) (في المطبوع ١١/ ٦٨٧٣)
(٣) (في المطبوع ١١/ ٦٨٧٥)

﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦۚ كَذَٰلِكَ لِنَصْرِفَ عَنْهُ ٱلسُّوٓءَ وَٱلْفَحْشَآءَۚ إِنَّهُۥ مِنْ عِبَادِنَا ٱلْمُخْلَصِينَ ﴿٢٤﴾ ﴾ (سورة يوسف، الآية ٢٤)

* ﴿ وَلَقَدْ هَمَّتْ بِهِۦ وَهَمَّ بِهَا لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ ﴾

﴿وَهَمَّ بِهَا﴾ هو لم يهم بها، وإنما هي كقولك (أزورك لولا أن فلانـًا عندك)، فأنت لم تزره، ويوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ لم يهم بها .

وفائدة إيراد ﴿لَوْلَآ أَن رَّءَا بُرْهَٰنَ رَبِّهِۦ﴾ ليخبر أن امتناع يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ عن المرأة لم يكن بسبب عجزه، أو ضعفه عن النساء، وإنما بسبب خوفه من الله عَزَّوَجَلَّ وتدينه، فامتناعه إنما هو بسبب ديني إيماني، وليس سببـًا طبيعياًّ، كالعجز، أو الضعف، أو نقص الرجولة[١] .

﴿ قَالُوٓاْ إِن يَسْرِقْ فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُۚ فَأَسَرَّهَا يُوسُفُ فِي نَفْسِهِۦ وَلَمْ يُبْدِهَا لَهُمْۚ قَالَ أَنتُمْ شَرٌّ مَّكَانًاۖ وَٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَصِفُونَ ﴿٧٧﴾ ﴾ (سورة يوسف، الآية ٧٧)

* ﴿فَقَدْ سَرَقَ أَخٌ لَّهُۥ مِن قَبْلُ﴾

يوسف عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أحبته عمته في صغره، وأرادت أن يبقى لديها، وكان في شريعتهم أن من وجد ماله المسروق عند من سرقه، فإنه يمتلك المال والسارق، فأحبت أن يبقى يوسف عندها، فوضعت في ثيابه منطقاَ من ذهب، قيل إنه من ميراث إبراهيم عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، فلما أراد أهل يوسف الرحيل، أعلنت فقدانها للذهب، فوجدوه في ثياب يوسف، وهو لا يعلم به لصغره، فاستبقته عندها .

هذا ما كان يقصده إخوته بذلك[٢] .

---

(١) (في المطبوع ١١/ ٦٩١١-٦٩١٢)

(٢) (في المطبوع ٥/ ٣١٢٢-١١/ ٧٠٣٢)

﴿ٱذْهَبُواْ بِقَمِيصِي هَٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِي يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِي بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾ (سورة يوسف، الآية ٩٣)

قيل: إن الذي ذهب بالقميص، هو أخوه الأكبر، الذي رفض العودة إلى أبيه في حادثة بنيامين[(١)].

﴿قَالُواْ يَٰٓأَبَانَا ٱسْتَغْفِرْ لَنَا ذُنُوبَنَآ إِنَّا كُنَّا خَٰطِـِٔينَ ﴿٩٧﴾﴾ (سورة يوسف، الآية ٩٧)

* ﴿خَٰطِـِٔينَ﴾

قالوا خاطئين ولم يقولوا مخطئين، والفرق بينهما :

* ﴿خَٰطِـِٔينَ﴾: هم الذين يرون الصواب، ويجانبونه، فيقعون عمداً في الخطأ.
* **مخطئين**: وهم الذين وقعوا في الخطأ ولم يروا الصواب[(٢)].

﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُۥ سُجَّدًا ۖ وَقَالَ يَٰٓأَبَتِ هَٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَٰيَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا ۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَٰنُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِيٓ ۚ إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ (سورة يوسف، الآية ١٠٠)

* ﴿وَقَدْ أَحْسَنَ بِيٓ﴾

قال أحسن بي ولم يقل أحسن لي، والفرق بينهما :

* ﴿أَحْسَنَ بِيٓ﴾ معناها أحسن إلي وإلى من حولي، وقد أحسن الله إليه وإلى أهله وإخوته ووالديه .

---

(١) (في المطبوع ١١/ ٧٠٦٦)
(٢) (في المطبوع ١١/ ٧٠٦٤)

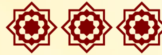
* **أحسن لي**: الإحسان يكون مقتصراً عليه فقط، لا يتعداه إلى غيره[١].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ وَظَنُّوٓاْ أَنَّهُمۡ قَدۡ كُذِبُواْ جَآءَهُمۡ نَصۡرُنَا فَنُجِّيَ مَن نَّشَآءُۖ وَلَا يُرَدُّ بَأۡسُنَا عَنِ ٱلۡقَوۡمِ ٱلۡمُجۡرِمِينَ ١١٠﴾ (سورة يوسف، الآية ١١٠)

* ﴿ٱسۡتَيۡـَٔسَ ٱلرُّسُلُ﴾

الاستيئاس: هو الإلحاح في قطع الأمل مع الإيمان بالمسبب وهو الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا الذي فعله الأنبياء إلحاحًا في طلب النصر من الله تعالى، وهذا من حرصهم على استعجال النصر.

اليأس: هو قطع الأمل من الأسباب دون الإيمان بالمسبب الذي هو الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا اليأس هو المنهي عنه كما قال تعالى ﴿يَٰبَنِيَّ ٱذۡهَبُواْ فَتَحَسَّسُواْ مِن يُوسُفَ وَأَخِيهِ وَلَا تَاْيۡـَٔسُواْ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِۖ إِنَّهُۥ لَا يَاْيۡـَٔسُ مِن رَّوۡحِ ٱللَّهِ إِلَّا ٱلۡقَوۡمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ ٨٧﴾ (سورة يوسف، الآية ٨٧)[٢].



(١) (في المطبوع ١٢/ ٧٠٨٢)

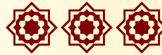
(٢) (في المطبوع ١٢/ ٧١٣٦-٧١٣٧)

﴿ سُورَةُ الرَّعْدِ ﴾

﴿ وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ وَقَدْ خَلَتْ مِن قَبْلِهِمُ الْمَثُلَاتُ وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو مَغْفِرَةٍ لِّلنَّاسِ عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ وَإِنَّ رَبَّكَ لَشَدِيدُ الْعِقَابِ ﴿٦﴾ ﴾ (سورة الرعد، الآية ٦)

* ﴿عَلَىٰ ظُلْمِهِمْ﴾

جاء تعالى بكلمة ﴿عَلَىٰ﴾ ولم يأت بكلمة (مع) التي يقتضيها السياق، ليبين عَزَّوَجَلَّ أن مغفرته سبحانه لا تتساوى مع ظلمهم، وليبين أيضًا أن مغفرة الله أعلى من ظلمهم، مهما بلغ ذلك الظلم[١].



(١) (في المطبوع ١٢/ ٧٢٢١-٧٢٢٢)

﴿ سُورَةُ الحِجرِ ﴾

﴿ نَحۡنُ نَزَّلۡنَا ٱلذِّكۡرَ وَإِنَّا لَهُۥ لَحَٰفِظُونَ ٩ ﴾ (سورة الحجر، الآية ٩)

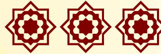
العجيب في هذه الآية، أن الإنسان يحفظ الشيء ليكونَ حجة له لا عليه، كما يحفظ المرء (السندات) التي تحفظ حقه عند الغير، وحفظ الله للقرآن دليل على صدق هذا القرآن، وأن ما أخبر به سيقع، وأنه لن يقع شيء في الكون يخالف ما جاء به القرآن، وأن هذا القرآن حجة لله على خلقه[1].

﴿ قَالَ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ إِن كُنتُمۡ فَٰعِلِينَ ٧١ ﴾ (سورة الحجر، الآية ٧١)

* ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ ﴾

لم يكن للوط عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ إلا ابنتين فكيف يقول ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ بَنَاتِيٓ ﴾ بالجمع ويستخدم اسم الإشارة ﴿ هَٰٓؤُلَآءِ ﴾.

المقصود والله أعلم أن المراد بالبنات هن بنات أتباعه من المؤمنين، فالنبي أب لكل أتباعه كما في قوله تعالى ﴿ ٱلنَّبِيُّ أَوۡلَىٰ بِٱلۡمُؤۡمِنِينَ مِنۡ أَنفُسِهِمۡۖ وَأَزۡوَٰجُهُۥٓ أُمَّهَٰتُهُمۡ ﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٦)[2].



(١) (في المطبوع ١٩/ ١١٦٩٩)
(٢) (في المطبوع ١٣/ ٧٧٤١)

﴿ سُورَةُ النَّحلِ ﴾

﴿وَسَخَّرَ لَكُمُ ٱلَّيْلَ وَٱلنَّهَارَ وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ ۖ وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ بِأَمْرِهِۦٓ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَـٰتٍ لِّقَوْمٍ يَعْقِلُونَ ﴿١٢﴾﴾ (سورة النحل، الآية ١٢)

* ﴿وَٱلنُّجُومُ مُسَخَّرَٰتٌۢ﴾

جاء ذكر النجوم مخصوصاً بعد ذكر الشمس والقمر، وذلك لأن الشمس والقمر آيتان واضحتان، تراهما العين ولا تخطئهما، أما النجوم فهي كثيرة، لا يحصيها إلا الله تعالى، فجاء تخصيصها بالذكر بعد الشمس والقمر، ليُعلن أن الله خلق كل شيء، وخلقه لحكمة يعلمها[1].

﴿وَإِن تَعُدُّوا۟ نِعْمَةَ ٱللَّهِ لَا تُحْصُوهَآ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَغَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿١٨﴾﴾ (سورة النحل، الآية ١٨)

* ﴿وَإِن تَعُدُّوا۟﴾

جاءت ﴿وَإِن﴾ التي تفيد الشك، أي وإن حاولتم أن تعدوا نعمة الله لا تحصوها، لإنه لا يمكن إحصاؤها .

* ﴿نِعْمَةَ ٱللَّهِ﴾

﴿نِعْمَةَ﴾ بالإفراد، ولم يقل (نِعم) بالجمع، لإن النعمة الواحدة مليئة بالنعم المختلفة، مما يصعب عدها[2].

(١) (في المطبوع ١٣/ ٧٨٣٥)
(٢) (في المطبوع ١٣/ ٧٨٥٧)

﴿ وَٱللَّهُ خَلَقَكُمْ ثُمَّ يَتَوَفَّىٰكُمْ ۚ وَمِنكُم مَّن يُرَدُّ إِلَىٰٓ أَرْذَلِ ٱلْعُمُرِ لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ قَدِيرٌ ﴿٧٠﴾ ﴾ (سورة النحل، الآية ٧٠)

* ﴿لِكَىْ لَا يَعْلَمَ بَعْدَ عِلْمٍ شَيْـًٔا﴾

خصص العلم بالذكر دون بقية الحواس، لأن العقل هو الذي يميزه الإنسان عن بقية المخلوقات(١).

﴿ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا رَّجُلَيْنِ أَحَدُهُمَآ أَبْكَمُ لَا يَقْدِرُ عَلَىٰ شَىْءٍ وَهُوَ كَلٌّ عَلَىٰ مَوْلَىٰهُ أَيْنَمَا يُوَجِّههُّ لَا يَأْتِ بِخَيْرٍ ۖ هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ ﴿٧٦﴾ ﴾ (سورة النحل، الآية ٧٦)

* ﴿هَلْ يَسْتَوِى هُوَ وَمَن يَأْمُرُ بِٱلْعَدْلِ ۙ وَهُوَ عَلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾.

أورده بصيغة السؤال، ولم يقل «لا يستوي» أو «لا يستويان»، وترك الجواب لك، لأنه يعلم أن الجواب سيكون وفق ما يريد، (لا يا رب لا يستويان)(٢).

﴿ إِنَّمَا سُلْطَـٰنُهُۥ عَلَى ٱلَّذِينَ يَتَوَلَّوْنَهُۥ وَٱلَّذِينَ هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ ﴿١٠٠﴾ ﴾ (سورة النحل، الآية ١٠٠)

* ﴿هُم بِهِۦ مُشْرِكُونَ﴾

الضمير في ﴿بِهِۦ﴾ إما أن يعود على الله تعالى فتكون الجملة (الذين هم بالله مشركون)، أو يعود على الشيطان فتكون الجملة (الذين هم بسببه مشركون)(٣).

(١) (في المطبوع ١٣/ ٨٠٦٢).
(٢) (في المطبوع ١٣/ ٨١٠١)
(٣) (في المطبوع ١٣/ ٨٢٠٦)

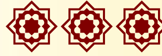
﴿وَلَقَدۡ نَعۡلَمُ أَنَّهُمۡ يَقُولُونَ إِنَّمَا يُعَلِّمُهُۥ بَشَرٞۗ لِّسَانُ ٱلَّذِي يُلۡحِدُونَ إِلَيۡهِ أَعۡجَمِيّٞ وَهَٰذَا لِسَانٌ عَرَبِيّٞ مُّبِينٌ ١٠٣﴾ (سورة النحل، الآية ١٠٣)

* ﴿أَعۡجَمِيّٞ﴾

قال أعجمي ولم يقل عجمي، والسبب :

* **الأعجمي**: قد يكون عربياً، لكنه لا يفهم كلامه، كما يسمى «فلان الأعجم».
* **العجمي**: نسبة إلى العجم غير العرب، وهذا قد يكون فصيحاً يتكلم العربية كأهلها مثل سيبويه .

فالنسبة في الآية هي إلى مَنْ لا يفهم كلامه ولو كان عربياً، وليست للعجم كما قد يفهم البعض[1] .



(١) (في المطبوع ١٣/٨٢٢٦)

سُورَةُ الإِسْرَاءِ

﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِىٓ أَسْرَىٰ بِعَبْدِهِۦ لَيْلًا مِّنَ ٱلْمَسْجِدِ ٱلْحَرَامِ إِلَى ٱلْمَسْجِدِ ٱلْأَقْصَا ٱلَّذِى بَٰرَكْنَا حَوْلَهُۥ لِنُرِيَهُۥ مِنْ ءَايَٰتِنَآ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلسَّمِيعُ ٱلْبَصِيرُ ﴿١﴾﴾ (سورة الإسراء، الآية ١)

* ﴿سُبْحَٰنَ﴾

اسم يدل على الثبوت والدوام، وهي تفيد التنزيه، أي أن الله تعالى منزه حتى قبل أن يخلق الخلق الذين ينزهونه .فتنزيهه سابقٌ على خلقه لهم(١).

* ﴿سُبْحَٰنَ﴾

جاءت هنا بالاستهلال، وقد جاءت في مواضع أخرى في أوساط السور ﴿فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ حِينَ تُمْسُونَ وَحِينَ تُصْبِحُونَ ﴿١٧﴾﴾ (سورة الروم، الآية ١٧) وقوله ﴿سُبْحَٰنَ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَزْوَٰجَ كُلَّهَا مِمَّا تُنۢبِتُ ٱلْأَرْضُ وَمِنْ أَنفُسِهِمْ وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ ﴿٣٦﴾﴾ (سورة يس، الآية ٣٦) وهي تأتي للأشياء التي يقف العقل أمامها عاجزاً، وهنا استهل بها لأنه سيأتي بشيء يخرق جميع النواميس الكونية، وهي حادثة الإسراء(٢).

ذكر الله عَزَّوَجَلَّ الإسراء صريحـًا هنا، ولم يذكر المعراج معه، مع أنهما وقعا في نفس الليلة، وهو تعالى قد ذكر المعراج التزامـًا لا تصريحـًا في سورة النجم في قوله ﴿وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾﴾ (سورة النجم، الآية ١٣).

وسبب عدم ذكر المعراج صريحـًا: أن الإسراء آية أرضية، يستطيع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أن يدلل لقومه عليها حين لم يصدقوه، فوصف لهم المسجد

(١) (في المطبوع ١٣/ ٨٣١٠-٨٣١١)
(٢) (في المطبوع ١٣/ ٨٣١١)

الأقصى الذي رأوه من قبل، وذكر لهم عيرهم القادمة من الشام وحدد لهم مكانها، أما المعراج فهو آية سماوية، ولم يذهب أحد منهم إلى السماء، فكيف يصف النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ لهم شيئًا لم يروه من قبل[١].

* ﴿لَيۡلٗا﴾

الإسراء معلوم أن يقع ليلاً، فلماذا جاء بكلمة ﴿لَيۡلٗا﴾ هنا؟

والجواب: حتى يؤكد الإيمان بغيبيته، لأن الحدث لو وقع نهاراً لكان مشاهداً للناس، أما وقد وقع ليلاً فليؤمن به المؤمنون كما وقع، فيصدقوا بخبر الرسول صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٢].

ذكر الله عَزَّ وَجَلَّ الإسراء فقط، دون أن يذكر تفاصيل الإسراء، وما وقع فيه، لأنه إذا ثبت هذا في النفوس، فإنها ستؤمن بكل ما سيذكره النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ من الحوادث التي رآها في الإسراء[٣].

* ﴿إِلَى ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾

﴿ٱلۡمَسۡجِدِ ٱلۡأَقۡصَا﴾ هو البعيد عن المسجد الحرام، وأقصى تدل على وجود قصي، ولم يكن هناك مسجد قصي حينها، وفي هذا إشارة إلى أنه سيكون هناك مسجد قصي، بين المسجد الحرام والمسجد الأقصى، وهو مسجد النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المدينة[٤].

(١) (في المطبوع ١٣/ ٨٣٢٦-٨٣٢٧)
(٢) (في المطبوع ١٣/ ٨٣١٦)
(٣) (في المطبوع ١٣/ ٨٣٢٥)
(٤) (في المطبوع ١٣/ ٨٣٢٢)

الإشارة إلى المسجد الأقصى أنه دخل في مقدسات المسلمين وأن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هو رسول للناس كافة لا كما يقول اليهود هو نبي للعرب فقط.

ولذلك كانت تسمى بسورة (بني إسرائيل)[1].

﴿وَقَضَيْنَآ إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ فِى ٱلْكِتَٰبِ لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ وَلَتَعْلُنَّ عُلُوًّا كَبِيرًا ﴿٤﴾ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ﴿٦﴾ إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ ۖ وَإِنْ أَسَأْتُمْ فَلَهَا ۚ فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ﴿٧﴾﴾ (سورة الإسراء، الآيات ٤-٧)

* ﴿لَتُفْسِدُنَّ فِى ٱلْأَرْضِ مَرَّتَيْنِ﴾

سياق الآيات ومجيئها في سورة الإسراء يدل على أن العلو والإفساد سيقع في زمن الإسلام، ولا عبرة بقول أنه في زمن بختنصر أو غيره، فهذا لا علاقة لنا به.

فإذن نقول أن الإفساد وقع مرتين، فالإفساد الأول وقع في زمن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، حين نقض بنو قريظة وبنو قينقاع العهد، فأجلاهم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ إلى الشام وإلى خيبر.

وهو المقصود بقوله تعالى ﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ أُولَىٰهُمَا بَعَثْنَا عَلَيْكُمْ عِبَادًا لَّنَآ أُو۟لِى بَأْسٍ شَدِيدٍ فَجَاسُوا۟ خِلَٰلَ ٱلدِّيَارِ ۚ وَكَانَ وَعْدًا مَّفْعُولًا ﴿٥﴾﴾ لأن كلمة ﴿فَإِذَا﴾ تدل على الاستقبال، وليس على الماضي[2].

(١) (في المطبوع ١٣/ ٨٣٣٥)
(٢) (٨٣٤٨/١٤)

﴿ ثُمَّ رَدَدْنَا لَكُمُ ٱلْكَرَّةَ عَلَيْهِمْ وَأَمْدَدْنَٰكُم بِأَمْوَٰلٍ وَبَنِينَ وَجَعَلْنَٰكُمْ أَكْثَرَ نَفِيرًا ۝٦ ﴾

كلمة ﴿ ثُمَّ ﴾ تدل على التراخي وبعد الزمن، ولم تقع حرب بين المسلمين واليهود بعد معركة خيبر، وهذا يشير إلى أن ما وقع من حرب مع اليهود في سنة ١٩٤٨ وما بعدها، وانتصارهم على المسلمين هو رد الكرة لهم علينا[(١)].

﴿فَإِذَا جَآءَ وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ لِيَسُـۥٓـُٔوا۟ وُجُوهَكُمْ وَلِيَدْخُلُوا۟ ٱلْمَسْجِدَ كَمَا دَخَلُوهُ أَوَّلَ مَرَّةٍ وَلِيُتَبِّرُوا۟ مَا عَلَوْا۟ تَتْبِيرًا ۝٧ ﴾

وهذه بشارة للمسلمين أنهم سيحررون المسجد الأقصى من سلطة اليهود، وسيدخلونه كما دخلوه أول مرة زمن عمر بن الخطاب حين حرره من قبضة الرومان زمن فتوح الشام. وفي قوله تعالى ﴿ مَا عَلَوْا۟ ﴾ يدل على أن قوة اليهود بغيرهم لا بذاتهم فلو كانت بذاتهم لقال تعالى (علوتم)[(٢)].

* ﴿وَعْدُ ٱلْءَاخِرَةِ ﴾

وهذا فيه دليل على أنهم لن يمكنوا مرة أخرى، لأن قوله ﴿ٱلْءَاخِرَةِ ﴾ يعني الأخيرة[(٣)].

﴿عَسَىٰ رَبُّكُمْ أَن يَرْحَمَكُمْ ۚ وَإِنْ عُدتُّمْ عُدْنَا ۘ وَجَعَلْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَٰفِرِينَ حَصِيرًا ۝٨ ﴾

(سورة الإسراء، الآية ٨)

* ﴿حَصِيرًا ﴾

الحصير: هي ما يكون تحت الإنسان في جلسته، والمعنى تضيق عليهم،

---

(١) (في المطبوع ١٤/ ٨٣٦١)

(٢) (في المطبوع ١٤/ ٨٣٦٣)

(٣) (في المطبوع ١٤/ ٨٣٦٥)

وتحبسهم وتحصرهم، كما في قوله تعالى ﴿وَأَتِمُّوا۟ ٱلْحَجَّ وَٱلْعُمْرَةَ لِلَّهِ فَإِنْ أُحْصِرْتُمْ فَمَا ٱسْتَيْسَرَ مِنَ ٱلْهَدْيِ﴾ (سورة البقرة، الآية ١٩٦).

وقوله تعالى ﴿فَإِذَا ٱنسَلَخَ ٱلْأَشْهُرُ ٱلْحُرُمُ فَٱقْتُلُوا۟ ٱلْمُشْرِكِينَ حَيْثُ وَجَدتُّمُوهُمْ وَخُذُوهُمْ وَٱحْصُرُوهُمْ﴾ (سورة التوبة، الآية ٥)[١].

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ﴿٩﴾ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴿١٠﴾﴾

(سورة الإسراء، الآيتين ٩-١٠)

* ﴿ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ﴾

البشارة للمؤمنين معلومة وواضحة، ولكن كيف يستخدم لفظ البشارة للكافرين، **والجواب أن البشارة للكفار تحتمل ثلاثة معان :**

* إنها من باب التقريع لهم .
* إنها من باب البشارة للمؤمنين بعذاب الكافرين.
* إنها من باب الإنذار للكافرين، كما في قوله تعالى ﴿يُرْسَلُ عَلَيْكُمَا شُوَاظٌ مِّن نَّارٍ وَنُحَاسٌ فَلَا تَنتَصِرَانِ ﴿٣٥﴾ فَبِأَىِّ ءَالَآءِ رَبِّكُمَا تُكَذِّبَانِ ﴿٣٦﴾﴾ (الرحمن، الآيتين ٣٥-٣٦)

والنعمة هنا هي بإخبارهم بالعذاب الواقع عليهم، فيحذروا منه ومن أسبابه[٢].

---

(١) (في المطبوع ١٤/ ٨٣٧٣)
(٢) (في المطبوع ١٤/ ٨٣٩٤)

﴿ وَإِذَآ أَرَدۡنَآ أَن نُّهۡلِكَ قَرۡيَةً أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا فَفَسَقُواْ فِيهَا فَحَقَّ عَلَيۡهَا ٱلۡقَوۡلُ فَدَمَّرۡنَٰهَا تَدۡمِيرٗا ١٦ ﴾ (سورة الإسراء، الآية ١٦)

* ﴿ أَمَرۡنَا مُتۡرَفِيهَا ﴾

الأمر هنا هو متوائم مع أوامر الله تعالى في القرآن، وهو الأمر بالطاعة والتوحيد ﴿إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُ بِٱلۡعَدۡلِ وَٱلۡإِحۡسَٰنِ وَإِيتَآيِٕ ذِي ٱلۡقُرۡبَىٰ وَيَنۡهَىٰ عَنِ ٱلۡفَحۡشَآءِ وَٱلۡمُنكَرِ وَٱلۡبَغۡيِۚ يَعِظُكُمۡ لَعَلَّكُمۡ تَذَكَّرُونَ ٩٠﴾ (سورة النحل، ٩٠).

ولا يمكن أن يقال أن الله أمرهم بالفسق لأنه تعالى يقول ﴿ قُلۡ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَأۡمُرُ بِٱلۡفَحۡشَآءِۖ أَتَقُولُونَ عَلَى ٱللَّهِ مَا لَا تَعۡلَمُونَ ٢٨ ﴾ (سورة الأعراف، الآية ٢٨).

فالله أمرهم بالطاعة، فعصوا، وفسقوا، وفعلوا المعاصي، فحق عليهم العذاب، بفسقهم ومعصيتهم، ومخالفتهم لأمر الله تعالى[(١)].

﴿ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ مِنۡ عَطَآءِ رَبِّكَۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحۡظُورًا ٢٠ ﴾ (سورة الإسراء، الآية ١)

* ﴿ كُلّٗا نُّمِدُّ هَٰٓؤُلَآءِ وَهَٰٓؤُلَآءِ ﴾

الله عَزَّوَجَلَّ يزيد الشيء لمن يريد الزيادة منه، حتى الكفر والمرض من أراد الزيادة منهما فإنه يزيده منهما كما قال تعالى ﴿ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗاۖ ﴾ (سورة البقرة، الآية ١٠).

وكذلك الذي يريد الكفر، يزيده منه كما يريد[(٢)].

---

(١) (في المطبوع ١٤/ ٨٤٢٨)
(٢) (في المطبوع ٩/ ٨٤٤٠)

﴿ لَّا تَجۡعَلۡ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ فَتَقۡعُدَ مَذۡمُومٗا مَّخۡذُولٗا ﴿٢٢﴾ ﴾ (سورة الإسراء، الآية ٢٢)

* ﴿مَعَ ٱللَّهِ﴾

من دلائل الوحدانية لله تعالى :

١- التسمية بلفظ الجلالة ﴿ٱللَّهِ﴾، فلم يتسمى بهذا الاسم أحد سواه، فهو خاص بالله عَزَّوَجَلَّ .

٢- الصيام فإنه لا يصوم أحدٌ لأحدٍ، إلا المسلمَ فإنه يصوم لله عَزَّوَجَلَّ، كما جاء في حديث أبي هريرة رَضِيَٱللَّهُعَنْهُ أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ قال: «**قال الله** عَزَّوَجَلَّ: **كل عمل ابن آدم له إلا الصوم فإنه لي وأنا أجزي به**» رواه البخاري .

﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًاۚ إِمَّا يَبۡلُغَنَّ عِندَكَ ٱلۡكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوۡ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفّٖ وَلَا تَنۡهَرۡهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوۡلٗا كَرِيمٗا ﴿٢٣﴾﴾

(سورة الإسراء، الآية ٢٣)

* ﴿أَلَّا تَعۡبُدُوٓاْ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلۡوَٰلِدَيۡنِ إِحۡسَٰنًا﴾

في عبادة الله تعالى نهى عن عبادة غيره، وفي بر الوالدين أمر بالإحسان إليهما، فلماذا لم يجعل صيغة الخطاب واحدة، صيغة نهي عن عقوق الوالدين، كما هي صيغة نهي عن عبادة الله تعالى فيقول (ولا تسيئوا إلى الوالدين)؟ السبب في ذلك أن فضل الوالدين مشاهد محسوس لا يمكن إنكاره، ولا يحتاج إلى التدليل عليه، أما عبادة الله تعالى فهناك من ينكرها، ولذلك جاء النهي عن عبادة غيره عَزَّوَجَلَّ[1] .

(١) (في المطبوع ١٤/ ٨٤٥٤)

﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ ۗ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ ۖ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴿٣٣﴾ ﴾ (سورة الإسراء، الآية ٣٣)

* ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ٱلنَّفْسَ ﴾

جاء الأمر للجمع ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا۟ ﴾، ولم يقل (ولا تقتل)، فكأن حماية النفس هي مسئولية الجميع[١].

﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ حَتَّىٰ يَبْلُغَ أَشُدَّهُۥ ۚ وَأَوْفُوا۟ بِٱلْعَهْدِ ۖ إِنَّ ٱلْعَهْدَ كَانَ مَسْـُٔولًا ﴿٣٤﴾ ﴾ (سورة الإسراء، الآية ٣٤)

* ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا۟ مَالَ ٱلْيَتِيمِ إِلَّا بِٱلَّتِى هِىَ أَحْسَنُ ﴾

الأمر هنا بالقرب من مال اليتيم ليس بالحسن فقط وإنما بالأحسن، والأحسن هنا تنميته وزيادته، كما في قوله تعالى ﴿ وَلَا تُؤْتُوا۟ ٱلسُّفَهَآءَ أَمْوَٰلَكُمُ ٱلَّتِى جَعَلَ ٱللَّهُ لَكُمْ قِيَٰمًا وَٱرْزُقُوهُمْ فِيهَا وَٱكْسُوهُمْ وَقُولُوا۟ لَهُمْ قَوْلًا مَّعْرُوفًا ﴿٥﴾ ﴾ (سورة النساء، الآية ٥).

فإنه قال ﴿ فِيهَا ﴾ ولم يقل "منها"، حثاً على تنمية المال وتكثيره، لأن "منها" يؤدي إلى نقصانها ونهايتها[٢].

﴿ وَلَا تَقْفُ مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ ۚ إِنَّ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ وَٱلْفُؤَادَ كُلُّ أُو۟لَٰٓئِكَ كَانَ عَنْهُ مَسْـُٔولًا ﴿٣٦﴾ ﴾ (سورة الإسراء، الآية ٣٦)

* ﴿ ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ ﴾

قدم السمع على البصر لأسباب :

* إنه الآلة التي تعمل دائماً، حتى لو كان الإنسان نائماً، فهو آلة التنبيه.

---

(١) في المطبوع ١٤/ ٨٥١١)

(٢) في المطبوع ١٤/ ٨٥٢٢)

* إن التبليغ يكون بالسمع، والسمع يعمل في جسم الطفل، قبل عمل العين.

* إن الله لما ذكر نوم أهل الكهف، ذكر حاسة السمع، فقال تعالى ﴿فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾﴾ (سورة الكهف، الآية ١١). فعطل آلة السمع لديهم[١].

* ﴿ٱلسَّمْعَ وَٱلْبَصَرَ﴾

في هذه الآية فقط جاء إفراد السمع، وفي بقية الآيات يأتي السمع مجموعاً، كما في قوله تعالى ﴿وَجَعَلْنَا لَهُمْ سَمْعًا وَأَبْصَٰرًا وَأَفْـِٔدَةً فَمَآ أَغْنَىٰ عَنْهُمْ سَمْعُهُمْ وَلَآ أَبْصَٰرُهُمْ وَلَآ أَفْـِٔدَتُهُم مِّن شَىْءٍ إِذْ كَانُوا۟ يَجْحَدُونَ بِـَٔايَٰتِ ٱللَّهِ وَحَاقَ بِهِم مَّا كَانُوا۟ بِهِۦ يَسْتَهْزِءُونَ ﴿٢٦﴾﴾ (سورة الأحقاف، الآية ٢٦).

والسبب أن الكلام هنا عن المسئولية الفردية، وكل إنسان مسئول عن سمعه هو، لا عن سمع غيره[٢].

﴿وَإِذَا قَرَأْتَ ٱلْقُرْءَانَ جَعَلْنَا بَيْنَكَ وَبَيْنَ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْـَٔاخِرَةِ حِجَابًا مَّسْتُورًا ﴿٤٥﴾﴾ (سورة الإسراء، الآية ٤٥)

* ﴿حِجَابًا مَّسْتُورًا﴾

الأصل أن يكون الحجاب ساتراً، ولكنه زيادةٌ في منعهم كأن الحجاب نفسه مستوراً بحجاب آخر، فلا يصلون إلى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[٣].

---

(١) (في المطبوع ١٤ / ٨٥٤١)
(٢) (في المطبوع ١٤/ ٨٥٤٣)
(٣) (في المطبوع ١٤/ ٨٥٧٣)

﴿ وَٱسۡتَفۡزِزۡ مَنِ ٱسۡتَطَعۡتَ مِنۡهُم بِصَوۡتِكَ وَأَجۡلِبۡ عَلَيۡهِم بِخَيۡلِكَ وَرَجِلِكَ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ وَعِدۡهُمۡۚ وَمَا يَعِدُهُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُ إِلَّا غُرُورًا ﴿٦٤﴾ ﴾ (سورة الإسراء، الآية ٦٤)

* ﴿ وَشَارِكۡهُمۡ فِي ٱلۡأَمۡوَٰلِ وَٱلۡأَوۡلَٰدِ ﴾.

مشاركة الأموال معناها أن يزين لهم المال الحرام، ومشاركة الأولاد أن يزين لهم الزنا، أو يزين لهم قتل أولادهم[١].

﴿ يَوۡمَ نَدۡعُواْ كُلَّ أُنَاسِۭ بِإِمَٰمِهِمۡۖ فَمَنۡ أُوتِيَ كِتَٰبَهُۥ بِيَمِينِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ يَقۡرَءُونَ كِتَٰبَهُمۡ وَلَا يُظۡلَمُونَ فَتِيلٗا ﴿٧١﴾ وَمَن كَانَ فِي هَٰذِهِۦٓ أَعۡمَىٰ فَهُوَ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴿٧٢﴾ ﴾ (سورة الإسراء، الآية ٧١-٧٢)

* ﴿ أَعۡمَىٰ وَأَضَلُّ سَبِيلٗا ﴾

لم يذكر اليد الشمال، كما ذكر اليد اليمنى في أخذ الكتاب، واقتصر هنا على ذكر السبب في كونه يأخذ كتابه بشماله، وهو عماه عن الحق في الدنيا، ظل معه في الآخرة[٢].

﴿ قُل لَّئِنِ ٱجۡتَمَعَتِ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ عَلَىٰٓ أَن يَأۡتُواْ بِمِثۡلِ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ لَا يَأۡتُونَ بِمِثۡلِهِۦ وَلَوۡ كَانَ بَعۡضُهُمۡ لِبَعۡضٖ ظَهِيرٗا ﴿٨٨﴾ ﴾ (سورة الإسراء، الآية ٨٨)

* ﴿ ٱلۡإِنسُ وَٱلۡجِنُّ ﴾

جاء بالجن، لأن العرب كانت تعتقد ببلاغة وفصاحة الجن، وينسبون بلاغة الشعر وفصاحته إلى الجن، فيظنون أن لكل شاعرٍ قريناً من الجن، يعلمه الشعر[٣].

(١) (في المطبوع ١٤/ ٨٦٦٧)
(٢) (في المطبوع ١٤/ ٨٦٨٤)
(٣) (في المطبوع ٩/ ٨٧٣١)

﴿وَمَن يَهْدِ ٱللَّهُ فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُمْ أَوْلِيَآءَ مِن دُونِهِۦ ۖ وَنَحْشُرُهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ عُمْيًا وَبُكْمًا وَصُمًّا ۖ مَّأْوَىٰهُمْ جَهَنَّمُ ۖ كُلَّمَا خَبَتْ زِدْنَٰهُمْ سَعِيرًا ﴿٩٧﴾﴾ (سورة الإسراء، الآية ٩٧)

* ﴿فَهُوَ ٱلْمُهْتَدِ﴾

* **في الهداية** جاءت بضمير المفرد (هو).

* **في الضلالة** جاءت بضمير الجمع (لهم).

والفرق: إن طريق الهداية واحد، كما قال تعالى ﴿وَأَنَّ هَٰذَا صِرَٰطِى مُسْتَقِيمًا فَٱتَّبِعُوهُ ۖ وَلَا تَتَّبِعُوا۟ ٱلسُّبُلَ فَتَفَرَّقَ بِكُمْ عَن سَبِيلِهِۦ ۚ ذَٰلِكُمْ وَصَّىٰكُم بِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ ﴿١٥٣﴾﴾ (سورة الأنعام، ١٥٣).

أما الضلالة فطرقها كثيرة، فلذلك جاءت بضمير الجمع[1].

﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ ۗ وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا مُبَشِّرًا وَنَذِيرًا ﴿١٠٥﴾﴾ (سورة الإسراء، الآية ١٠٥)

* ﴿وَبِٱلْحَقِّ أَنزَلْنَٰهُ وَبِٱلْحَقِّ نَزَلَ﴾

﴿أَنزَلْنَٰهُ﴾: جملة واحدة إلى السماء الدنيا، كما قال تعالى ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةِ ٱلْقَدْرِ ﴿١﴾﴾ (سورة القدر، الآية ١) وقال عَزَّوَجَلَّ ﴿إِنَّآ أَنزَلْنَٰهُ فِى لَيْلَةٍ مُّبَٰرَكَةٍ ۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴿٣﴾﴾ (سورة الدخان، الآية ٣).

نزل: أي نزل متتابعاً بعد ذلك بسبب الحوادث .

وتأتي نزل بمعنى على كقولك «نزلت بفلان» أي على فلان، فيكون معنى

---

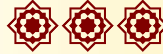
(١) (في المطبوع ١٤/ ٨٧٥٨)

الآية (وبالحق أنزلنا وعلى الحق محمد نزل)[١].

﴿قُلِ ٱدْعُوا۟ ٱللَّهَ أَوِ ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ ۖ أَيًّا مَّا تَدْعُوا۟ فَلَهُ ٱلْأَسْمَآءُ ٱلْحُسْنَىٰ ۚ وَلَا تَجْهَرْ بِصَلَاتِكَ وَلَا تُخَافِتْ بِهَا وَٱبْتَغِ بَيْنَ ذَٰلِكَ سَبِيلًا ﴿١١٠﴾﴾ (سورة الإسراء، الآية ١١٠)

* ﴿ٱدْعُوا۟ ٱلرَّحْمَـٰنَ﴾

جاء بهذا الاسم ﴿ٱلرَّحْمَـٰنَ﴾ مع لفظ الجلالة، من بين بقية الأسماء الحسنى لله تعالى، ليبين أن التكاليف التي جاءت بلفظ الجلالة (الله) هي تكاليف كلها رحمة وخير لكم[٢].



(١) (في المطبوع ١٤/ ٨٧٩١-٨٧٩٤)

(٢) (في المطبوع ١٤/ ٨٨١١)

﴿ سُورَةُ الكَهۡفِ ﴾

﴿ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِيٓ أَنزَلَ عَلَىٰ عَبۡدِهِ ٱلۡكِتَٰبَ وَلَمۡ يَجۡعَل لَّهُۥ عِوَجَاۜ ١ ﴾ (سورة الكهف، الآية ١)

* ﴿ ٱلۡكِتَٰبَ ﴾ (الْكِتَاب)

كلمة الكتاب تدل على الكمال، أي الكتاب المكتمل، وسورة الكهف ترتيبها في النزول الثامنة والستون، فيقال معنى الكتاب هنا أحد معنيين :

أن القرآن بعضه يسمى كتاب، كما يسمى بعضه قرآن، بدليل قوله تعالى ﴿فَإِذَا قَرَأۡنَٰهُ فَٱتَّبِعۡ قُرۡءَانَهُۥ ١٨﴾ سورة القيامة. فالآية تسمى قرآنـًا .

أن المقصود نزول الكتاب كاملاً من اللوح المحفوظ، لأن كلمة ﴿ أَنزَلَ ﴾ تستخدم لنزوله كاملاً[١].

﴿ قَيِّمٗا لِّيُنذِرَ بَأۡسٗا شَدِيدٗا مِّن لَّدُنۡهُ وَيُبَشِّرَ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرًا حَسَنٗا ٢ ﴾ (سورة الكهف، الآية ٢)

* ﴿ قَيِّمٗا ﴾

القيم: له معنى المستقيم، أو المهيمن على غيره، كقوله تعالى ﴿ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ ﴾ (سورة الروم، الآية ٣٠)[٢].

﴿ مَّٰكِثِينَ فِيهِ أَبَدٗا ٣ ﴾ (سورة الكهف، الآية ٣)

كان لا بد أن تأتي بعد قوله تعالى ﴿أَجۡرًا حَسَنٗا ٢ ﴾ للتفريق بين أجر الدنيا

(١) (في المطبوع ١٤/ ٨٨٣٢)
(٢) (في المطبوع ١٤/ ٨٨٣٣)

وأجر الآخرة، فأجر الدنيا مهما كان حسناً فإن له نهاية ينتهي إليها، أما أجر الآخرة فإنه باقٍ إلى الأبد(١).

﴿ وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ ۖ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا ۖ رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ ۚ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾ ﴾ (سورة الكهف، الآية ٢١)

* ﴿ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴾

يظهر أن القائلين بهذا فيهم مسحة من تدين، يريدون تخليد حقيقتهم ببناء المسجد شاهداً عليهم(٢).

﴿ وَلَبِثُواْ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ ﴾ (سورة الكهف، الآية ٢٥)

* ﴿ ثَلَٰثَ مِاْئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُواْ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ ﴾

لماذا لم يقل ثلاثمائة وتسع سنين؟

السبب هو اختلاف الحساب، كما يقع في الحساب القمري والشمسي، فهي ثلاثمائة سنة بالحساب الشمسي، وزيادة تسع سنوات، هي بالحساب القمري المعتمد عند أولئك القوم(٣).

﴿ وَقُلِ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّكُمْ ۖ فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ ۚ إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلظَّٰلِمِينَ نَارًا أَحَاطَ بِهِمْ سُرَادِقُهَا ۚ وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ ۚ بِئْسَ ٱلشَّرَابُ وَسَآءَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٢٩﴾ ﴾ (سورة الكهف، الآية ٢٩)

---

(١) (في المطبوع ١٤/ ٨٨٣٥)
(٢) (في المطبوع ١٤/ ٨٨٦٥)
(٣) (١٤/ ٨٨٧١)

* ﴿فَمَن شَآءَ فَلْيُؤْمِن وَمَن شَآءَ فَلْيَكْفُرْ﴾

ليس المقصود هو إباحة الكفر، ولكن المقصود بهذه العبارة هو التسوية والتهديد.

* **التسوية**: أن الله غني عنكم وعن إيمانكم وكفركم.

* **التهديد**: التهديد لمن يكفر، فمن أراد الكفر فليكفر، وسيلقى جزاءه[١].

* ﴿وَإِن يَسْتَغِيثُواْ يُغَاثُواْ بِمَآءٍ كَٱلْمُهْلِ يَشْوِى ٱلْوُجُوهَ﴾

الاستغاثة: طلب النجاة.

ولكن الأسلوب على طريقة التهكم بهم، فهم يغاثون، لكنهم يغاثون بالعذاب[٢].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمْ جَنَّٰتُ عَدْنٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهِمُ ٱلْأَنْهَٰرُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا مِّن سُندُسٍ وَإِسْتَبْرَقٍ مُّتَّكِـِٔينَ فِيهَا عَلَى ٱلْأَرَآئِكِ ۚ نِعْمَ ٱلثَّوَابُ وَحَسُنَتْ مُرْتَفَقًا ﴿٣١﴾﴾ (سورة الكهف، الآية ٣١)

* ﴿يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا﴾

قوله تعالى: ﴿يُحَلَّوْنَ﴾، ولم يقل (يتحلون) يدل على أن التحلية ليست منهم، وإنما هي من الله تعالى، وقوله ﴿وَيَلْبَسُونَ﴾ يدل على أنهم يلبسون ثيابهم بأنفسهم، والحلي خير من اللباس، لأن الحلي من الله تعالى، وهو فضل منه عَزَّوَجَلَّ، بينما اللباس منهم، وهو على قدر أعمالهم، ولأن ما عند الله خيرٌ وأفضل مما فعله الناس، قدّمَ الحلي على اللباس، ويشهد له حديث عائشة رَضِيَ اللَّهُ عَنْهَا أن النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**سددوا وقاربوا وأبشروا، فإنه لا يُدخِل أحداً الجنة عملُه، قالوا: ولا أنت يا**

---

(١) (في المطبوع ١٤/ ٨٨٨٣)
(٢) (في المطبوع ١٤/ ٨٨٨٦)

رسول الله، قال: ولا أنا إلا أن يتغمدني الله بمغفرة ورحمة» رواه البخاري[١].

﴿ فَعَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يُؤۡتِيَنِ خَيۡرٗا مِّن جَنَّتِكَ وَيُرۡسِلَ عَلَيۡهَا حُسۡبَانٗا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ فَتُصۡبِحَ صَعِيدٗا زَلَقًا ﴿٤٠﴾ ﴾ (سورة الكهف، الآية ٤٠)

* ﴿حُسۡبَانٗا﴾

أي بقدرها، لا تتجاوزها إلى غيرها، فهي مفصلة تفصيلاً خاصاً بها[٢].

* ﴿صَعِيدٗا زَلَقًا﴾

أي تصبح غير صالحة لأي شيء، حتى للمشي عليها[٣].

﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ فَأَصۡبَحَ يُقَلِّبُ كَفَّيۡهِ عَلَىٰ مَآ أَنفَقَ فِيهَا وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَيَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي لَمۡ أُشۡرِكۡ بِرَبِّيٓ أَحَدٗا ﴿٤٢﴾ ﴾ (سورة الكهف، الآية ٤٢)

* ﴿وَأُحِيطَ بِثَمَرِهِۦ﴾

ولم يقل بزرعه، لأن الإحاطة بالثمر القريب قطفه أشد على النفس من الزرع الذي هو في أوله[٤].

﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ زِينَةُ ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَاۖ وَٱلۡبَٰقِيَٰتُ ٱلصَّٰلِحَٰتُ خَيۡرٌ عِندَ رَبِّكَ ثَوَابٗا وَخَيۡرٌ أَمَلٗا ﴿٤٦﴾ ﴾ (سورة الكهف، الآية ٤٦)

* ﴿ٱلۡمَالُ وَٱلۡبَنُونَ﴾

---

(١) (في المطبوع ١٤/ ٨٨٩٥)
(٢) (في المطبوع ١٤/ ٨٩١٨)
(٣) (في المطبوع ١٤/ ٨٩١٨)
(٤) (في المطبوع ١٤/ ٨٩١٩)

❁ قدم المال على البنين لأمرين :

* **الأول**: إن كل شخصٍ عنده مال، ولكن البعض ليس عنده بنين .

* **الثاني**: إن المال سبب للبنين، فالأبناء يأتون من الزواج، والزواج يحتاج للمال أصلاً[١].

﴿ وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ وَحَشَرۡنَٰهُمۡ فَلَمۡ نُغَادِرۡ مِنۡهُمۡ أَحَدٗا ٤٧ ﴾ (سورة الكهف، الآية ٤٧)

* ﴿ وَيَوۡمَ نُسَيِّرُ ٱلۡجِبَالَ ﴾

تسيير الجبال أي إزالتها من أماكنها، وجاء بالجبال مع أن في الأرض بنيان وأشجار معمرة، ذلك لأن الجبال التي هي أرسخ شيء في الأرض وأصلبه، تزول، فكيف بما هو دونها[٢].

* ﴿ وَتَرَى ٱلۡأَرۡضَ بَارِزَةٗ ﴾

بارزة أي فضاء[٣].

﴿ فَلَمَّا بَلَغَا مَجۡمَعَ بَيۡنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِي ٱلۡبَحۡرِ سَرَبٗا ٦١ ﴾ (سورة الكهف، الآية ٦١)

* ﴿ نَسِيَا حُوتَهُمَا ﴾

قال ﴿ نَسِيَا ﴾ مع أن الناسي هو الفتى، والسبب أن موسى مسئول عنه، ورئيس

---

(١) (في المطبوع ١٤/ ٨٩٢٤)
(٢) (في المطبوع ١٤/ ٨٩٢٨)
(٣) (في المطبوع ١٤/ ٨٩٢٩)

القوم مسئول عن كل جزئية من جزئيات الرحلة[١].

﴿قَالَ أَرَءَيْتَ إِذْ أَوَيْنَآ إِلَى ٱلصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ ٱلْحُوتَ وَمَآ أَنسَىٰنِيهُ إِلَّا ٱلشَّيْطَٰنُ أَنْ أَذْكُرَهُۥ ۚ وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا ﴿٦٣﴾﴾ (سورة الكهف، الآية ٦٣)

* ﴿وَٱتَّخَذَ سَبِيلَهُۥ فِى ٱلْبَحْرِ عَجَبًا﴾

أي أن الحوت وهو مشوي عادت له الحياة، وقفز في البحر، وهو شيء عجيب[٢].

﴿فَٱنطَلَقَا حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَيَآ أَهْلَ قَرْيَةٍ ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ ۖ قَالَ لَوْ شِئْتَ لَتَّخَذْتَ عَلَيْهِ أَجْرًا ﴿٧٧﴾﴾ (سورة الكهف، الآية ٧٧)

* ﴿ٱسْتَطْعَمَآ أَهْلَهَا فَأَبَوْا۟ أَن يُضَيِّفُوهُمَا﴾

طلبا الطعام ولم يطلبا المقام، فقد بلغت بهما الحاجة أن يطلبا الطعام، والاستطعام كان لجميع أهل القرية فرفضوا، والرفض كان للضيافة كلها، وليس للطعام فحسب، وهذا يدل على اللؤم والبخل الموجودين في أهل القرية جميعاً، لأنهما طلبا طعاماً، ولم يطلبا مالاً[٣].

* ﴿يُرِيدُ أَن يَنقَضَّ فَأَقَامَهُۥ﴾

حفظه له بين هؤلاء اللئام، الذين لو سقط فيهم لانتهبوا الكنز بينهم، فبناه بناءً يتناسب مع عمر اليتيمين، يسقط إذا بلغا أشدهما، وبسقوط الجدار يعرفان

(١) (في المطبوع ١٤/ ٨٩٥٠)
(٢) (في المطبوع ١٤/ ٨٩٥٢)
(٣) (في المطبوع ١٤/ ٨٩٦٢)

موضع كنزهما، وهذا كله بسبب صلاح أبيهما[١].

﴿أَمَّا ٱلسَّفِينَةُ فَكَانَتۡ لِمَسَٰكِينَ يَعۡمَلُونَ فِي ٱلۡبَحۡرِ فَأَرَدتُّ أَنۡ أَعِيبَهَا وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ يَأۡخُذُ كُلَّ سَفِينَةٍ غَصۡبٗا ٧٩﴾ (سورة الكهف، الآية ٧٩)

* ﴿وَكَانَ وَرَآءَهُم مَّلِكٞ﴾

كلمة وراء تستعمل لعدة معان:

أمام: أي أمامهم، كقوله تعالى ﴿مِّن وَرَآئِهِۦ جَهَنَّمُ وَيُسۡقَىٰ مِن مَّآءٖ صَدِيدٖ ١٦﴾ سورة إبراهيم

بعدُ: وهذا كقوله ﴿وَٱمۡرَأَتُهُۥ قَآئِمَةٞ فَضَحِكَتۡ فَبَشَّرۡنَٰهَا بِإِسۡحَٰقَ وَمِن وَرَآءِ إِسۡحَٰقَ يَعۡقُوبَ ٧١﴾ سورة هود

خلف، وهذا كقوله تعالى ﴿فَنَبَذُوهُ وَرَآءَ ظُهُورِهِمۡ وَٱشۡتَرَوۡاْ بِهِۦ ثَمَنٗا قَلِيلٗاۖ فَبِئۡسَ مَا يَشۡتَرُونَ ١٨٧﴾ سورة آل عمران

غير، وذلك كقوله تعالى ﴿فَمَنِ ٱبۡتَغَىٰ وَرَآءَ ذَٰلِكَ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡعَادُونَ ٧﴾ سورة المؤمنون[٢].

﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ عَن ذِي ٱلۡقَرۡنَيۡنِۖ قُلۡ سَأَتۡلُواْ عَلَيۡكُم مِّنۡهُ ذِكۡرًا ٨٣﴾ (سورة الكهف، الآية ٨٣)

* ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ﴾

الأسئلة في القرآن جاءت بالفعل المضارع ﴿وَيَسۡـَٔلُونَكَ﴾ خمس عشرة مرة،

---

(١) (في المطبوع ١٤/ ٨٩٧٣)

(٢) (في المطبوع ١٤/ ٨٩٦٨)

وجاءت بالماضي مرة واحدة في قوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ أُجِيبُ دَعْوَةَ الدَّاعِ إِذَا دَعَانِ فَلْيَسْتَجِيبُوا لِي وَلْيُؤْمِنُوا بِي لَعَلَّهُمْ يَرْشُدُونَ ﴿١٨٦﴾﴾ (سورة البقرة، الآية ١٨٦).

في جواب ﴿وَيَسْأَلُونَكَ﴾ إذا جاء الجواب من غير فاء ﴿قُلْ﴾ فإن السؤال وقع منهم فعلاً، أما إذا جاء الجواب بالفاء (فقل) وهي جاءت في شأن الجبال فحسب قال تعالى ﴿وَيَسْأَلُونَكَ عَنِ الْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّي نَسْفًا ﴿١٠٥﴾﴾ (سورة طه، الآية ١٠٥). فمعناه أنهم إذا سألوك فقل لهم كذا .

والحكمة في أن ﴿قُلْ﴾ لم ترد بفاء وبلا فاء في قوله تعالى ﴿وَإِذَا سَأَلَكَ عِبَادِي عَنِّي فَإِنِّي قَرِيبٌ﴾ لأن السؤال عن الله تعالى، فأراد أن يجيبهم بنفي الواسطة من أي أحدٍ[1].

* ﴿ذِي الْقَرْنَيْنِ﴾

ضرب الله قصته مثلاً لكل صاحب قوة، ليتأسى بفعل ذي القرنين وطريقته، ولا فائدة من البحث عن اسم ذي القرنين، لأنه قد يوهم أن هذا الفعل خاص به، فلا يحدث التأسي به، وهو المقصود من ذكر القصة[2].

﴿حَتَّىٰ إِذَا بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ وَجَدَهَا تَغْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ وَوَجَدَ عِندَهَا قَوْمًا قُلْنَا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِمَّا أَن تُعَذِّبَ وَإِمَّا أَن تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا ﴿٨٦﴾﴾ (سورة الكهف، الآية ٨٦)

* ﴿بَلَغَ مَغْرِبَ الشَّمْسِ﴾

أي وقت غروبها في المكان الذي هو فيه، وإلا فهي لا تغرب أبداً كما هو

(١) (في المطبوع ١٤/ ٩٨٧٧)
(٢) (في المطبوع ١٤/ ٨٩٧٥)

معروف من حال شروق الشمس وغروبها[١].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ مَطۡلِعَ ٱلشَّمۡسِ وَجَدَهَا تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ لَّمۡ نَجۡعَل لَّهُم مِّن دُونِهَا سِتۡرٗا ٩٠﴾

(سورة الكهف، الآية ٩٠)

* ﴿تَطۡلُعُ عَلَىٰ قَوۡمٖ﴾

لم يتكلم عنهم، ويبدوا أنهم الذين لا تغيب عنهم الشمس ثلاثة أشهر أو أكثر، ممن هم في شمال الأرض[٢].

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ بَيۡنَ ٱلسَّدَّيۡنِ وَجَدَ مِن دُونِهِمَا قَوۡمٗا لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا ٩٣﴾

(سورة الكهف، الآية ٩٣)

* ﴿لَّا يَكَادُونَ يَفۡقَهُونَ قَوۡلٗا﴾

أي أنهم لا يقتربون حتى من الفهم، فهم لا يُفهمون أصلاً، وقد تفاهم معهم بأن احتال لذلك من حركاتهم وإشاراتهم، وهذا ما ينبغي أن يكون عليه الداعية للخير أن يحتال ويتجاوز العقبات التي تواجهه، ليوصل للناس الخير الذي معه[٣].

﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِۖ حَتَّىٰٓ إِذَا سَاوَىٰ بَيۡنَ ٱلصَّدَفَيۡنِ قَالَ ٱنفُخُواْۖ حَتَّىٰٓ إِذَا جَعَلَهُۥ نَارٗا قَالَ ءَاتُونِيٓ أُفۡرِغۡ عَلَيۡهِ قِطۡرٗا ٩٦﴾ (سورة الكهف، الآية ٩٦)

* ﴿ءَاتُونِي زُبَرَ ٱلۡحَدِيدِ﴾

هو ملك معه جيش عظيم، وآلات يستطيع أن يقيم لهم السد بما معه من قوة،

---

(١) (في المطبوع ١٤/ ٨٩٨٢)

(٢) (في المطبوع ١٤/ ٨٩٨٧)

(٣) (في المطبوع ١٤/ ٨٩٨٨)

لكنه أراد منهم مشاركتهم معه بهذا الفعل(١).

يقال إن مكانه في بلخ بين بحر قزوين والبحر الأسود(٢).

﴿ٱلَّذِينَ كَانَتۡ أَعۡيُنُهُمۡ فِي غِطَآءٍ عَن ذِكۡرِي وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا ١٠١﴾ (سورة الكهف، الآية ١٠١)

* ﴿وَكَانُواْ لَا يَسۡتَطِيعُونَ سَمۡعًا﴾

أي يكرهون أن يسمعوا، وإلا فإن آلتهم السمعية صحيحة وسليمة، وقد كانوا يوصون بعضهم بعدم السماع للقرآن كما قال الله تعالى عنهم ﴿وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ٢٦﴾ (سورة فصلت، ٢٦)(٣).

﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ فِي ٱلۡحَيَوٰةِ ٱلدُّنۡيَا وَهُمۡ يَحۡسَبُونَ أَنَّهُمۡ يُحۡسِنُونَ صُنۡعًا ١٠٤﴾ (سورة الكهف، الآية ١٠٤)

* ﴿ٱلَّذِينَ ضَلَّ سَعۡيُهُمۡ﴾

لكلمة الضلال في القرآن عدة معانٍ منها :

الكفر، كما قال تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ وَصَدُّواْ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ قَدۡ ضَلُّواْ ضَلَٰلَۢا بَعِيدًا ١٦٧﴾ (سورة النساء، الآية ١٦٧).

المعصية حتى من المؤمن، كما قال تعالى ﴿وَمَا كَانَ لِمُؤۡمِنٖ وَلَا مُؤۡمِنَةٍ إِذَا قَضَى ٱللَّهُ وَرَسُولُهُۥٓ أَمۡرًا أَن يَكُونَ لَهُمُ ٱلۡخِيَرَةُ مِنۡ أَمۡرِهِمۡۗ وَمَن يَعۡصِ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ فَقَدۡ ضَلَّ ضَلَٰلٗا مُّبِينٗا ٣٦﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٣٦).

(١) (في المطبوع ٩/ ٨٩٩١)
(٢) (في المطبوع ١٥/ ٨٩٩٣)
(٣) (في المطبوع ١٥/ ٨٩٩٨)

النسيان، كما قال تعالى ﴿فَإِن لَّمْ يَكُونَا رَجُلَيْنِ فَرَجُلٌ وَٱمْرَأَتَانِ مِمَّن تَرْضَوْنَ مِنَ ٱلشُّهَدَآءِ أَن تَضِلَّ إِحْدَىٰهُمَا فَتُذَكِّرَ إِحْدَىٰهُمَا ٱلْأُخْرَىٰ﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٨٢).

الغفلة، كما قال تعالى ﴿قَالَ فَعَلْتُهَآ إِذًا وَأَنَا۠ مِنَ ٱلضَّآلِّينَ ﴿٢٠﴾﴾ (سورة الشعراء، الآية ٢٠).

عدم معرفة التفاصيل، كما قال تعالى ﴿وَوَجَدَكَ ضَآلًّا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾﴾ (سورة الضحى، الآية ٧)[1].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ بِـَٔايَٰتِ رَبِّهِمْ وَلِقَآئِهِۦ فَحَبِطَتْ أَعْمَٰلُهُمْ فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا ﴿١٠٥﴾﴾

(سورة الكهف، الآية ١٠٥)

* ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ وَزْنًا﴾

قد جاءت آيات في وزن أعمال الكفار، مثل قوله تعالى ﴿وَنَضَعُ ٱلْمَوَٰزِينَ ٱلْقِسْطَ لِيَوْمِ ٱلْقِيَٰمَةِ فَلَا تُظْلَمُ نَفْسٌ شَيْـًٔا ۖ وَإِن كَانَ مِثْقَالَ حَبَّةٍ مِّنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا ۗ وَكَفَىٰ بِنَا حَٰسِبِينَ ﴿٤٧﴾﴾ (سورة الأنبياء، الآية ٤٧) وغيرها من الآيات، فكيف نوفق بينهما؟

الجواب بأمرين

إما أن يكون المقصود ﴿فَلَا نُقِيمُ﴾ أي لا وزن لهم احتقاراً، وعدم اعتبارٍ لهم، وهذا شائع في الاستعمال.

عَزَّوَجَلَّ قال ﴿فَلَا نُقِيمُ لَهُمْ﴾ ولم يقل عليهم، أي ليس لصالحهم نقيم الميزان، وإنما نقيم الميزان عليهم، فيكون المعنى (لا نقيم وزنًا لصالحهم)[2].

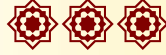
﴿خَٰلِدِينَ فِيهَا لَا يَبْغُونَ عَنْهَا حِوَلًا ﴿١٠٨﴾﴾ (سورة الكهف، الآية ١٠٨)

---

(١) (في المطبوع ١٥/ ٩٠٠٢)

(٢) (في المطبوع ١٥/ ٩٠٠٤)

لا يريدون التحول عن الجنة، لأنهم لا يتصورون نعيمًا أعظم من نعيمهم[١].



(١) (في المطبوع ١٥/ ٩٠٠٩)

سُورَةُ مَرْيَمَ

﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا ٣﴾ (سورة مريم، الآية ٣)

* ﴿إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥ نِدَآءً خَفِيًّا﴾

كان خفيًا لأن يعلم أن أسبابه الدنيوية لا تصلح للإنجاب، فهو كبير وامرأته عاقر، فلذلك كان دعاؤه خفيًا، يأمل في شيء من الله، يغلب هذه الأسباب(١).

﴿وَإِنِّي خِفْتُ ٱلْمَوَٰلِيَ مِن وَرَآءِى وَكَانَتِ ٱمْرَأَتِى عَاقِرًا فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا ٥﴾ (سورة مريم، الآية ٥)

* ﴿فَهَبْ لِى مِن لَّدُنكَ وَلِيًّا﴾

لم يقل (أعطني) لأن العطاء يكون بمقابل، فهو هبة بلا مقابل(٢).

﴿يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ ۖ وَٱجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا ٦﴾ (سورة مريم، الآية ٦)

* ﴿يَرِثُنِى وَيَرِثُ مِنْ ءَالِ يَعْقُوبَ﴾

الوراثة دينية يرث العلم والنبوة، لإن الأنبياء لا يرثون ولا يُورثون، فهم لا ينتفع منهم أحد، بشيء من أموال الدنيا(٣).

﴿يَٰزَكَرِيَّآ إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَٰمٍ ٱسْمُهُۥ يَحْيَىٰ لَمْ نَجْعَل لَّهُۥ مِن قَبْلُ سَمِيًّا ٧﴾ (سورة مريم، الآية ٧)

---

(١) (في المطبوع ١٥/ ٩٠٢٣)
(٢) (في المطبوع ١٥/ ٩٠٢٩)
(٣) (في المطبوع ١٥/ ٩٠٣٠)

* ﴿بِغُلَٰمٍ ٱسۡمُهُۥ يَحۡيَىٰ﴾

من إكرام الله عَزَّوَجَلَّ لزكريا، أن الله هو الذي سمى له ابنه يحيى، ولهذا الاسم دلالة على مسماه، فيحيى معناه الذي لا يموت، ولم يمت ذكر يحيى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، فقد مات شهيداً، والشهداء أحياء عند ربهم تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ[١].

﴿قَالَ رَبِّ ٱجۡعَل لِّيٓ ءَايَةٗۚ قَالَ ءَايَتُكَ أَلَّا تُكَلِّمَ ٱلنَّاسَ ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا ١٠﴾ (سورة مريم، الآية ١٠)

* ﴿ثَلَٰثَ لَيَالٖ سَوِيّٗا﴾

أي سوي التكوين بلا نقصٍ، أو مرضٍ فيك[٢].

﴿فَخَرَجَ عَلَىٰ قَوۡمِهِۦ مِنَ ٱلۡمِحۡرَابِ فَأَوۡحَىٰٓ إِلَيۡهِمۡ أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا ١١﴾ (سورة مريم، الآية ١١)

* ﴿أَن سَبِّحُواْ بُكۡرَةٗ وَعَشِيّٗا﴾

أمره الله تعالى بالتسبيح ولا يفتر عن ذلك، ولا يتوقف حتى تتم الولادة، فكان الصمت علامة على بدء الحمل[٣].

﴿يَٰيَحۡيَىٰ خُذِ ٱلۡكِتَٰبَ بِقُوَّةٖۖ وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا ١٢﴾ (سورة مريم، الآية ١٢)

* ﴿وَءَاتَيۡنَٰهُ ٱلۡحُكۡمَ صَبِيّٗا﴾

أُثِر عنه أنه إذا دُعي للعب وهو صغير كان يقول: ما لهذا خلقنا[٤].

---

(١) (في المطبوع ١٥/ ٩٠٣٢)
(٢) (في المطبوع ١٥/ ٩٠٣٩)
(٣) (في المطبوع ١٥/ ٩٠٤٢)
(٤) (في المطبوع ١٥/ ٩٠٤٤)

﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا وَزَكَوٰةً وَكَانَ تَقِيًّا ۝١٣ ﴾ (سورة مريم، الآية ١٣)

* ﴿ وَحَنَانًا مِّن لَّدُنَّا ﴾

أي من عندنا بعد أن شاخ والداه وضعفا(١).

﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ إِذِ ٱنتَبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا ۝١٦ ﴾ (سورة مريم، الآية ١٦)

* ﴿وَٱذْكُرْ فِي ٱلْكِتَٰبِ مَرْيَمَ ﴾

قدم قصة زكريا مع يحيى قبل قصة مريم، لأن مريم قد قالت في كلامها لزكريا: ﴿ فَتَقَبَّلَهَا رَبُّهَا بِقَبُولٍ حَسَنٍ وَأَنۢبَتَهَا نَبَاتًا حَسَنًا وَكَفَّلَهَا زَكَرِيَّا ۖ كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا ٱلْمِحْرَابَ وَجَدَ عِندَهَا رِزْقًا ۖ قَالَ يَٰمَرْيَمُ أَنَّىٰ لَكِ هَٰذَا ۖ قَالَتْ هُوَ مِنْ عِندِ ٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ يَرْزُقُ مَن يَشَآءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ ۝٣٧ ﴾ سورة آل عمران

وقد رأت بنفسها ما وقع لزكريا، وهو كبير في السن، وزوجته عاقر، فلا تستغرب أن يقع لها شيء شبيه بذلك، وأعظم منه(٢).

﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ قَالَتْ يَٰلَيْتَنِي مِتُّ قَبْلَ هَٰذَا وَكُنتُ نَسْيًا مَّنسِيًّا ۝٢٣ ﴾ (سورة مريم، الآية ٢٣)

* ﴿ فَأَجَآءَهَا ٱلْمَخَاضُ إِلَىٰ جِذْعِ ٱلنَّخْلَةِ ﴾

أي دفعها إلى جذع النخلة فذهبت إليه، فهي من شدة ما نزل بها، تبحث عن شيء تتمسك به عند الولادة(٣).

(١) (في المطبوع ١٥/ ٩٠٤٤)
(٢) (في المطبوع ١٥/ ٩٠٤٧)
(٣) (في المطبوع ١٥/ ٩٠٦٣)

﴿وَهُزِّىٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥﴾ (سورة مريم، الآية ٢٥).

* ﴿وَهُزِّىٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ﴾

أراد منها برغم ما فيها من ألم وتعب، أن تفعل السبب، فيأتيها ما تريد[1].

﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي وَقَرِّي عَيۡنٗاۖ فَإِمَّا تَرَيِنَّ مِنَ ٱلۡبَشَرِ أَحَدٗا فَقُولِيٓ إِنِّي نَذَرۡتُ لِلرَّحۡمَٰنِ صَوۡمٗا فَلَنۡ أُكَلِّمَ ٱلۡيَوۡمَ إِنسِيّٗا ٢٦﴾ (سورة مريم، الآية ٢٦)

* ﴿فَكُلِي وَٱشۡرَبِي﴾

قدم الأكل على الشرب، مع أنه قال قبل ذلك: ﴿فَنَادَىٰهَا مِن تَحۡتِهَآ أَلَّا تَحۡزَنِي قَدۡ جَعَلَ رَبُّكِ تَحۡتَكِ سَرِيّٗا ٢٤ وَهُزِّىٓ إِلَيۡكِ بِجِذۡعِ ٱلنَّخۡلَةِ تُسَٰقِطۡ عَلَيۡكِ رُطَبٗا جَنِيّٗا ٢٥﴾ سورة مريم.

مقدمًا الشرب على الأكل، والمقصود أن الإنسان يبدأ بالأكل، ثم يشرب عليه بعد ذلك، فجاء الكلام على حسب ما اعتاد عليه الناس[2].

﴿فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥۖ قَالُواْ يَٰمَرۡيَمُ لَقَدۡ جِئۡتِ شَيۡـٔٗا فَرِيّٗا ٢٧﴾ (سورة مريم، الآية ٢٧)

* ﴿فَأَتَتۡ بِهِۦ قَوۡمَهَا تَحۡمِلُهُۥ﴾

رأى أحد المستشرقين الشيخ محمد عبده رَحِمَهُ ٱللَّهُ فسأله: بأي وجهٍ واجهت عائشة قومها بعد حادثة الإفك؟

فرد عليه الشيخ: بنفس الوجه الذي واجهت به مريم قومها، وقد جاءت تحمل عيسى. (يقصد وجه الواثق من البراءة)[3].

(١) (في المطبوع ١٥/ ٩٠٦٧)
(٢) (في المطبوع ١٥/ ٩٠٦٨)
(٣) (في المطبوع ١٥/ ٩٠٧٣)

﴿وَٱلسَّلَٰمُ عَلَيَّ يَوۡمَ وُلِدتُّ وَيَوۡمَ أَمُوتُ وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا ٣٣﴾ (سورة مريم، الآية ٣٣)

* ﴿وَيَوۡمَ أَمُوتُ﴾

قال ذلك لهم لأنه سيشبه عليهم في موته في حادثة الصلب، وأن الصلب غير صحيح[١].

* ﴿وَيَوۡمَ أُبۡعَثُ حَيّٗا﴾

قال ذلك لأنه من بين الأنبياء سيسأل يوم القيامة، كما ورد في سورة المائدة عند قوله تعالى ﴿وَإِذۡ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَى ٱبۡنَ مَرۡيَمَ ءَأَنتَ قُلۡتَ لِلنَّاسِ ٱتَّخِذُونِي وَأُمِّيَ إِلَٰهَيۡنِ مِن دُونِ ٱللَّهِۖ قَالَ سُبۡحَٰنَكَ مَا يَكُونُ لِيٓ أَنۡ أَقُولَ مَا لَيۡسَ لِي بِحَقٍّۚ إِن كُنتُ قُلۡتُهُۥ فَقَدۡ عَلِمۡتَهُۥۚ تَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِي وَلَآ أَعۡلَمُ مَا فِي نَفۡسِكَۚ إِنَّكَ أَنتَ عَلَّٰمُ ٱلۡغُيُوبِ ١١٦﴾ سورة المائدة[٢].

﴿فَٱخۡتَلَفَ ٱلۡأَحۡزَابُ مِنۢ بَيۡنِهِمۡۖ فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ ٣٧﴾ (سورة مريم، الآية ٣٧)

* ﴿فَوَيۡلٞ لِّلَّذِينَ كَفَرُواْ مِن مَّشۡهَدِ يَوۡمٍ عَظِيمٍ﴾

كأنه لا يكفيهم عذاب الدنيا، بسبب مقالتهم في عيسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، فأجلوا إلى عذاب يوم القيامة، وهو عذاب أشد وأعظم[٣].

﴿قَالَ سَلَٰمٌ عَلَيۡكَۖ سَأَسۡتَغۡفِرُ لَكَ رَبِّيٓۖ إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا ٤٧﴾ (سورة مريم، الآية ٤٧)

* ﴿إِنَّهُۥ كَانَ بِي حَفِيّٗا﴾

(١) (في المطبوع ١٥/ ٩٠٧٨)
(٢) (في المطبوع ١٥/ ٩٠٧٨)
(٣) (في المطبوع ١٥/ ٩٠٨٤)

بالغ في إكرامه إكراماً عظيماً، ومن ذلك النبوة[١].

﴿وَنَٰدَيۡنَٰهُ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ وَقَرَّبۡنَٰهُ نَجِيّٗا ٥٢﴾ (سورة مريم، الآية ٥٢)

* ﴿جَانِبِ ٱلطُّورِ ٱلۡأَيۡمَنِ﴾

أيمن موسى أو أيمن الجبل؟

المكان لا يمين له ولا شمال، فالمراد أنه يمين موسى لما أقبل ورأى الجبل[٢].

﴿وَٱذۡكُرۡ فِي ٱلۡكِتَٰبِ إِسۡمَٰعِيلَۚ إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ وَكَانَ رَسُولٗا نَّبِيّٗا ٥٤﴾ (سورة مريم، الآية ٥٤)

* ﴿إِنَّهُۥ كَانَ صَادِقَ ٱلۡوَعۡدِ﴾

كل الأنبياء كانوا صادقين في وعودهم، لكنه برز في إسماعيل عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، وظهر ذلك في موقفه من الذبح كما قال عَزَّوَجَلَّ ﴿فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ ٱلسَّعۡيَ قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ قَالَ يَٰٓأَبَتِ ٱفۡعَلۡ مَا تُؤۡمَرُۖ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰبِرِينَ ١٠٢﴾ سورة الصافات.

ففي هذه الآية صدق الوعد برؤيا رآه غيره، وليست رؤيته هو، وهذا أمر أعظم من رؤيته بنفسه[٣].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ أَنۡعَمَ ٱللَّهُ عَلَيۡهِم مِّنَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ مِن ذُرِّيَّةِ ءَادَمَ وَمِمَّنۡ حَمَلۡنَا مَعَ نُوحٖ وَمِن ذُرِّيَّةِ إِبۡرَٰهِيمَ وَإِسۡرَٰٓءِيلَ وَمِمَّنۡ هَدَيۡنَا وَٱجۡتَبَيۡنَآۚ إِذَا تُتۡلَىٰ عَلَيۡهِمۡ ءَايَٰتُ ٱلرَّحۡمَٰنِ خَرُّواْۤ سُجَّدٗاۤ وَبُكِيّٗا۩ ٥٨﴾ (سورة مريم، الآية ٥٨)

---

(١) (في المطبوع ١٥/ ٩١٠٦)

(٢) (في المطبوع ١٥/ ٩١٢٠)

(٣) (في المطبوع ١٥/ ٩١٢٢)

* ﴿إِذَا تُتْلَىٰ عَلَيْهِمْ ءَايَٰتُ ٱلرَّحْمَٰنِ﴾

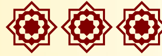
جاء بصفة الرحمن، إشارة إلى أن التكاليف الشرعية رحمة بهم، وسعادة لهم في الدارين[(١)].

﴿فَخَلَفَ مِنۢ بَعْدِهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا۟ ٱلصَّلَوٰةَ وَٱتَّبَعُوا۟ ٱلشَّهَوَٰتِ ۖ فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا ۝٥٩﴾

(سورة مريم، الآية ٥٩)

* ﴿خَلْفٌ﴾

إذا جاءت بسكون اللام تعني الأشرار، والدليل إضاعتهم للصلوات، وإذا جاءت بفتح اللام (خلَف) فهي تعني الأخيار، كما يقولون (خير خلَف لخير سلف)[(٢)].



(١) (في المطبوع ١٥/ ٩١٢٩)

(٢) (في المطبوع ١٥/ ٩١٣١)

﴿ سُورَةُ طه ﴾

﴿ وَإِن تَجْهَرْ بِٱلْقَوْلِ فَإِنَّهُۥ يَعْلَمُ ٱلسِّرَّ وَأَخْفَى ﴿٧﴾ ﴾ (سورة طه، الآية ٧)

* ﴿وَأَخْفَى﴾

أي أنه يعلم ما سيكون في النفس قبل أن يكون [١].

﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ ﴾ (سورة طه، الآية ٩)

أسلوب تشويقي لمعرفة القصة والحكاية [٢].

أراد الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ من إيراد قصة موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أن يعلم النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أن الله قد أرسل رسلاً إلى قومٍ معينين ولزمن معين، وقد لاقوا متاعب ومشاق، فصبروا وتحملوا، وأنت يا محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ

مرسلٌ إلى الناس كافة، ولكل الأزمنة، فسيأتيك تعب ومشاق أكثر مما جاءهم، فوطن نفسك على الصبر والتحمل، كما فعل الأنبياء من قبلك [٣].

﴿ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾ ﴾ (سورة طه، الآية ١٠)

* ﴿فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓا۟﴾

في مواضع أخرى يأتي الخطاب بدون ﴿ٱمْكُثُوٓا۟﴾ وفي مواضع أخرى يقول ﴿سَـَٔاتِيكُم مِّنْهَا بِخَبَرٍ﴾ (سورة النمل، الآية ٧).

---

(١) في المطبوع ١٥/ ٩١٢١
(٢) في المطبوع ١٥/ ٩٢٢٦
(٣) في المطبوع ١٥/ ٩٣٧٩

فكيف يقول ثلاث جمل مختلفة، في موضع واحد، والجواب: أن موسى في رحلته هذه لم يكن وحده، بل كان معه أهله وابنه وتابعه، وكانوا في مكان منقطع وقد أصابهم البرد، وهم لا يعرفون المكان، ولا إلى أين يتوجهون، فلما رأى النار قال لهم ﴿ٱمۡكُثُوٓاْ﴾ فبدأوا بمحاورته كل حسب ما يريد، فجاء جواب موسى مطمئنًا لكل واحد منهم، فهو عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ قد تحدث مع كل واحد منهم، قبل أن يذهب ليرى النار[١].

﴿إِنِّيٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ إِنَّكَ بِٱلۡوَادِ ٱلۡمُقَدَّسِ طُوٗى ١٢﴾ (سورة طه، الآية ١٢)

* ﴿فَٱخۡلَعۡ نَعۡلَيۡكَ﴾

الحكمة من خلع النعلين، حتى تكون كل ذرة من ذرات جسمك، ملتصقة بهذا الوادي المقدس الطاهر[٢].

﴿وَأَنَا ٱخۡتَرۡتُكَ فَٱسۡتَمِعۡ لِمَا يُوحَىٰٓ ١٣﴾ (سورة طه، الآية ١٣)

* ﴿فَٱسۡتَمِعۡ﴾

قال ﴿فَٱسۡتَمِعۡ﴾ ولم يقل: (اسمع)، لأن (اسمع) تفيد معنى يسمع لما يريد أو مالا يريد، أو سمع مالا رغبة له بسماعه.

أما ﴿فَٱسۡتَمِعۡ﴾ فمعناها أن تتكلف السماع لكي تسمع ما يلقى إليك، فتتهيأ كل جوارحك وأعضائك للسماع[٣].

---

(١) (في المطبوع ١٥/ ٩٢٢٨)
(٢) (في المطبوع ١٥/ ٩٢٣١)
(٣) (في المطبوع ١٥/ ٩٢٣٤)

﴿إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾﴾ (سورة طه، الآية ١٤)

* ﴿وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ﴾

خُصت الصلاة بالذكر، لأنها لا تنقطع ما دام الإنسان حياً، بخلاف الزكاة فلا بد من مال، والحج لا بد من استطاعة، ولأن الصلاة تتكرر في اليوم أكثر من مرة[1].

﴿إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾﴾ (سورة طه، الآية ١٥)

* ﴿أُخْفِيهَا﴾

تحتمل معنى أزال خفاءها، لأنها جاءت بالتخفيف، وبألف الإزالة، وهذا وجه معروف في اللغة، كقولك (قسط) و(أقسط)، فقسط معناها جار وظلم، وأما أقسط فمعناها أزال الجور والظلم[2].

﴿فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ (سورة طه، الآية ٢٠)

* ﴿حَيَّةٌ﴾

هنا ذكر أنها حية، وفي موضع آخر ذكر أنها ثعبان ﴿فَأَلْقَىٰ عَصَاهُ فَإِذَا هِىَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿١٠٧﴾﴾ سورة الأعراف، وفي موضع آخر ذكر أنها جآن ﴿وَأَلْقِ عَصَاكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفْ إِنِّى لَا يَخَافُ لَدَىَّ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿١٠﴾﴾ (سورة النمل، الآية ١٠).

(١) (في المطبوع ١٥/ ٩٢٤٠)
(٢) (في المطبوع ١٥/ ٩٢٤٦)

فهي تجمع الأوصاف الثلاثة:

فهي حية قاتلة مميتةٌ، وهي ثعبان ضخمٌ، وهي جانٌ سريعة في حركتها، فتجمع الأوصاف الثلاثة، القتل والضخامة والسرعة(١).

﴿وَٱحۡلُلۡ عُقۡدَةٗ مِّن لِّسَانِي ٢٧﴾ (سورة طه، الآية ٢٧)

جاء في وصف موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ، أنه كان آدم طوالاً، شعره مجعد، وبه حبسة من لسانه، وأما صفة هارون فإنه كان أبيضَ، سبط الشعر، وسيم التقاسيم(٢).

﴿وَٱجۡعَل لِّي وَزِيرٗا مِّنۡ أَهۡلِي ٢٩ هَٰرُونَ أَخِي ٣٠﴾ (سورة طه، الآيتين ٢٩-٣٠)

﴿هَٰرُونَ أَخِي﴾

الحكمة من تكليف هارون بالنبوة، أن يقوم بها كأمر إلهي لا كأمر من أخيه، قد يضجر من أوامر أخيه أو يتراجع عنها، أو يكون نصره لأخيه كما ينصر الإخوة إخوانهم، بينما لا يمكنه التراجع والضجر والتملل، لو كانت نبوة أمرها من الله تعالى، وليست من موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ(٣).

﴿إِذۡ تَمۡشِيٓ أُخۡتُكَ فَتَقُولُ هَلۡ أَدُلُّكُمۡ عَلَىٰ مَن يَكۡفُلُهُۥۖ فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَۚ وَقَتَلۡتَ نَفۡسٗا فَنَجَّيۡنَٰكَ مِنَ ٱلۡغَمِّ وَفَتَنَّٰكَ فُتُونٗاۚ فَلَبِثۡتَ سِنِينَ فِيٓ أَهۡلِ مَدۡيَنَ ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ ٤٠﴾ (سورة طه، الآية ٤٠)

(١) (في المطبوع ١٥ / ٩٢٥٤)
(٢) (في المطبوع ١٥/ ٩٢٦٢)
(٣) (في المطبوع ١٥/ ٩٢٦٣)

* ﴿فَرَجَعۡنَٰكَ إِلَىٰٓ أُمِّكَ كَيۡ تَقَرَّ عَيۡنُهَا وَلَا تَحۡزَنَ﴾

﴿فَرَجَعۡنَٰكَ﴾: أي رجعت بأمر منا، وليس برغبتك كقوله تعالى ﴿فَإِن رَّجَعَكَ ٱللَّهُ إِلَىٰ طَآئِفَةٖ مِّنۡهُمۡ﴾ (سورة التوبة، الآية ٨٣)[١].

* ﴿ثُمَّ جِئۡتَ عَلَىٰ قَدَرٖ يَٰمُوسَىٰ﴾

السبب الذي دفعه للخروج من مدين، هو رغبته في رؤية أمه، بعد غيابه الطويل عنها[٢].

﴿فَقُولَا لَهُۥ قَوۡلٗا لَّيِّنٗا لَّعَلَّهُۥ يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ ٤٤﴾ (سورة طه، الآية ٤٤)

* ﴿يَتَذَكَّرُ أَوۡ يَخۡشَىٰ﴾

يتذكر النعم السابقة عليه، أو يخاف من العقوبة، فيؤمن بالله عَزَّوَجَلَّ[٣].

﴿إِنَّا قَدۡ أُوحِيَ إِلَيۡنَآ أَنَّ ٱلۡعَذَابَ عَلَىٰ مَن كَذَّبَ وَتَوَلَّىٰ ٤٨﴾ (سورة طه، الآية ٤٨)

أخبره بالقضية النهائية لتكذيب الوحي، وهي وقوع العذاب[٤].

﴿قَالَ رَبُّنَا ٱلَّذِيٓ أَعۡطَىٰ كُلَّ شَيۡءٍ خَلۡقَهُۥ ثُمَّ هَدَىٰ ٥٠﴾ (سورة طه، الآية ٥٠)

خلق كل شيء لمهمة معينة، وهدى كل شيء لمهمة يؤديها[٥].

﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ وَفِيهَا نُعِيدُكُمۡ وَمِنۡهَا نُخۡرِجُكُمۡ تَارَةً أُخۡرَىٰ ٥٥﴾ (سورة طه، الآية ٥٥)

---

(١) (في المطبوع ١٥/ ٩٢٧٢)
(٢) (في المطبوع ١٥/ ٩٢٧٤)
(٣) (في المطبوع ١٥/ ٩٢٧٧)
(٤) (في المطبوع ١٥/ ٩٢٨٣)
(٥) (في المطبوع ١٥/ ٩٢٨٤)

* ﴿مِنۡهَا خَلَقۡنَٰكُمۡ﴾

الأرض فيها ستة عشرعنصراً من عناصر المادة، مثل الأكسجين وغيره، وهي كلها موجودة في جسم الإنسان[(١)].

* ﴿فَلَنَأۡتِيَنَّكَ بِسِحۡرٖ مِّثۡلِهِۦ فَٱجۡعَلۡ بَيۡنَنَا وَبَيۡنَكَ مَوۡعِدٗا لَّا نُخۡلِفُهُۥ نَحۡنُ وَلَآ أَنتَ مَكَانٗا سُوٗى ﴿٥٨﴾﴾ (سورة طه، الآية ٥٨)

* ﴿مَكَانٗا سُوٗى﴾

يحتمل معنيين :

* مكان متوسط يصل إليه جميع الناس.
* مكان مستوٍ غير مرتفع، بحيث يستطيع الجميع رؤية الحدث[(٢)].

﴿قَالُوٓاْ إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ يُرِيدَانِ أَن يُخۡرِجَاكُم مِّنۡ أَرۡضِكُم بِسِحۡرِهِمَا وَيَذۡهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ ٱلۡمُثۡلَىٰ ﴿٦٣﴾﴾ (سورة طه، الآية ٦٣)

* ﴿إِنۡ هَٰذَٰنِ لَسَٰحِرَٰنِ﴾

هذا بلغة كنانة، وإلا فالأصل (إن هذين لساحرين) وربما القصد من ذلك هو التقليل من شأنهما[(٣)].

﴿فَأَجۡمِعُواْ كَيۡدَكُمۡ ثُمَّ ٱئۡتُواْ صَفّٗاۚ وَقَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡيَوۡمَ مَنِ ٱسۡتَعۡلَىٰ ﴿٦٤﴾﴾ (سورة طه، الآية ٦٤)

---

(١) (في المطبوع ١٥/ ٩٢٩٧)
(٢) (في المطبوع ١٥/ ٩٣٠٣)
(٣) (في المطبوع ١٥/ ٩٣٠٨)

* ﴿فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ﴾

أي اتفقوا على خطة واحدة[١].

* ﴿ثُمَّ ائْتُوا صَفًّا﴾

وهذا أهيب لعدوكم، وأخوف لخصمكم[٢].

﴿وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴿٦٩﴾﴾ (سورة طه، الآية ٦٩)

* ﴿تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا﴾

﴿تَلْقَفْ﴾: أي تأخذ بسرعة[٣].

﴿فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴿٧٠﴾﴾ (سورة طه، الآية ٧٠)

* ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى﴾

في آيات أخرى ذكر الله عنهم أنهم قالوا ﴿قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٧﴾ رَبِّ مُوسَى وَهَارُونَ ﴿٤٨﴾﴾ سورة الشعراء

وسبب الاختلاف راجع لكثرة عددهم، لأن رؤساء السحرة كانوا سبعين، والسحرة قيل: إن عددهم يصل إلى سبعمائة، فكل تكلم من جهته، وبما يعرفه، والقرآن حكى جميع أقوالهم[٤].

---

(١) (في المطبوع ٩/ ٩٣١٠)

(٢) (في المطبوع ٩/ ٩٣١٠)

(٣) (في المطبوع ١٥/ ٩٣١٨)

(٤) (في المطبوع ١٥/ ٩٣٢٢)

﴿قَالَ ءَامَنتُمْ لَهُۥ قَبْلَ أَنْ ءَاذَنَ لَكُمْ ۖ إِنَّهُۥ لَكَبِيرُكُمُ ٱلَّذِى عَلَّمَكُمُ ٱلسِّحْرَ ۖ فَلَأُقَطِّعَنَّ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُم مِّنْ خِلَٰفٍ وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَآ أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَىٰ ﴿٧١﴾﴾

(سورة طه، الآية ٧١)

* ﴿وَلَأُصَلِّبَنَّكُمْ فِى جُذُوعِ ٱلنَّخْلِ﴾

في معناها على (على جذوع النخل) ولكن لها معنى آخر:

أي لأصلبنكم تصليباً شديداً قوياً، حتى تدخل أجزاء المصلوب في المصلوب عليه.

ومثله قوله تعالى ﴿فَمَآ ءَامَنَ لِمُوسَىٰٓ إِلَّا ذُرِّيَّةٌ مِّن قَوْمِهِۦ عَلَىٰ خَوْفٍ مِّن فِرْعَوْنَ وَمَلَإِيْهِمْ أَن يَفْتِنَهُمْ ۚ﴾ (سورة يونس، الآية ٨٣)[١].

﴿إِنَّآ ءَامَنَّا بِرَبِّنَا لِيَغْفِرَ لَنَا خَطَٰيَٰنَا وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ ۗ وَٱللَّهُ خَيْرٌ وَأَبْقَىٰٓ ﴿٧٣﴾﴾

(سورة طه، الآية ٧٣)

* ﴿وَمَآ أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ ٱلسِّحْرِ﴾

كانوا مقهورين من فرعون وطغيانه، وقيل: كان يأمر أن يعلموا السحر لغيرهم، وسجودهم الجماعي كما قال تعالى ﴿فَأُلْقِىَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدًا قَالُوٓا۟ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ﴿٧٠﴾﴾ سورة طه، يشهد على أنهم كانوا مكرهين على السحر، فإنهم عند السجود لم يشذ منهم أحد[٢].

﴿يَٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ قَدْ أَنجَيْنَٰكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ وَوَٰعَدْنَٰكُمْ جَانِبَ ٱلطُّورِ ٱلْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ﴿٨٠﴾﴾ (سورة طه، الآية ٨٠)

(١) في المطبوع ١٥/ ٩٣٢٦)

(٢) في المطبوع ١٥/ ٩٣٢٩)

* ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾

الحكمة من قوله ﴿يَٰبَنِيٓ إِسۡرَٰٓءِيلَ﴾ تذكيرهم بأبيهم الرجل الصالح، فلا ينبغي لكم وهذا أبوكم، أن تكونوا عصاةً أو مخالفين[١].

﴿وَمَآ أَعۡجَلَكَ عَن قَوۡمِكَ يَٰمُوسَىٰ ٨٣﴾ (سورة طه، الآية ٨٣)

أي عن رؤساء قبائل قومك يأتون معك، وعجلة موسى هي ليبين لقومه أهمية الأمر الذي ذهب من أجله فيهتموا له[٢].

﴿قَالَ هُمۡ أُوْلَآءِ عَلَىٰٓ أَثَرِي وَعَجِلۡتُ إِلَيۡكَ رَبِّ لِتَرۡضَىٰ ٨٤﴾ (سورة طه، الآية ٨٤)

* ﴿أُوْلَآءِ﴾

قال: ﴿أُوْلَآءِ﴾ ولم يقل (هؤلاء)، لأن الهاء للتنبيه، والله تعالى لا يحتاج للتنبيه، وهذا من أدب موسى مع ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، وهذا بخلاف خطاب الكفار مع الله تعالى حين قالوا ﴿وَإِذَا رَءَا ٱلَّذِينَ أَشۡرَكُواْ شُرَكَآءَهُمۡ قَالُواْ رَبَّنَا هَٰٓؤُلَآءِ شُرَكَآؤُنَا ٱلَّذِينَ كُنَّا نَدۡعُواْ مِن دُونِكَۖ فَأَلۡقَوۡاْ إِلَيۡهِمُ ٱلۡقَوۡلَ إِنَّكُمۡ لَكَٰذِبُونَ ٨٦﴾ سورة النحل

﴿قَالُواْ مَآ أَخۡلَفۡنَا مَوۡعِدَكَ بِمَلۡكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلۡنَآ أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ٨٧﴾ (سورة طه، الآية ٨٧)

* ﴿أَوۡزَارٗا مِّن زِينَةِ ٱلۡقَوۡمِ فَقَذَفۡنَٰهَا﴾

القوم هم قوم فرعون، فقد كانوا يستعيرون الحلية من بعضهم البعض، ولم يستطيعوا ردها لأهلها قبل الخروج، خوفاً أن ينكشف أمرهم[٣].

(١) في المطبوع ١٥/ ٩٣٤١
(٢) في المطبوع ٩/ ٩٣٥٣
(٣) في المطبوع ١٥/ ٩٣٥٩

* ﴿ فَقَذَفۡنَٰهَا ﴾

القذف: هو الرمي بشدة، فكأنهم يريدون التخلص منها، ورغبتهم في الخلاص منها، كان مدخلاً للسامري عليهم، فأقنعهم أنهم لن يتخلصوا منها إلا بقذفها في نار العجل(١).

* ﴿ فَكَذَٰلِكَ أَلۡقَى ٱلسَّامِرِيُّ ﴾

أي رماها بلطف، فطريقته مختلفة عن طريقتهم القذف(٢).

السامري اسمه أيضاً موسى السامري(٣).

﴿فَأَخۡرَجَ لَهُمۡ عِجۡلٗا جَسَدٗا لَّهُۥ خُوَارٞ فَقَالُواْ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمۡ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِيَ ٨٨﴾

(سورة طه، الآية ٨٨)

* ﴿ فَنَسِيَ ﴾

أي نسي الإيمان الذي في قلبه(٤).

﴿قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ٩٦﴾ (سورة طه، الآية ٩٦)

* ﴿بَصُرۡتُ﴾

أي علمت، وأبصرت بالألف تأتي للرؤية الحسية(٥).

---

(١) (في المطبوع ١٥/ ٩٣٥٩)
(٢) (في المطبوع ٩/ ٩٣٦٠)
(٣) (في المطبوع ١٥/ ٩٣٥٦)
(٤) (في المطبوع ١٥/ ٩٣٦٢)
(٥) (في المطبوع ١٥/ ٩٣٦٧)

﴿ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَـٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ﴿٩٧﴾ ﴾ (سورة طه، الآية ٩٧)

* ﴿ مِسَاسَ ﴾

أراد موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ معاقبته، حين أراد السامري أن يجمع الناس حوله، ويجعل له أتباعًا، بأن ينفر عنه الأتباع، ويضطر إلى العزلة، فلا يلمس أحداً، ولا يلمسه أحدٌ، بل يهرب منهم، ويطلب منهم عدم القرب منه، وهذه عقوبة مناسبة له[١].

﴿ إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَـٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾ (سورة طه، الآية ٩٨)

* ﴿ إِنَّمَآ إِلَـٰهُكُمُ ٱللَّهُ ﴾

﴿ إِنَّمَآ ﴾ تأتي لتنفي ما قبلها وتثبت ما بعدها، فهي تنفي الألوهية عن عجل السامري، وتثبت الألوهية لله تعالى[٢].

﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنۢبَآءِ مَا قَدْ سَبَقَ ۚ وَقَدْ ءَاتَيْنَـٰكَ مِن لَّدُنَّا ذِكْرًا ﴿٩٩﴾ ﴾ (سورة طه، الآية ٩٩)

* ﴿ كَذَٰلِكَ نَقُصُّ عَلَيْكَ ﴾

خُصت حياة الأنبياء عَلَيْهِمُ ٱلسَّلَامُ بكلمة (القصص) وخُصت حياة النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بكلمة (السيرة)، والقصص هو شيء مميز في التاريخ، والسيرة شيء

---

(١) (في المطبوع ١٥/ ٩٣٧١)
(٢) (في المطبوع ١٥/ ٩٣٧٦)

مميز في القصص[١].

﴿ يَوْمَ يُنفَخُ فِي ٱلصُّورِ ۚ وَنَحْشُرُ ٱلْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا ﴿١٠٢﴾ ﴾ (سورة طه، الآية ١٠٢)

* ﴿زُرْقًا ﴾

كأن هول يوم القيامة يجعل أجسادهم تنقلب إلى اللون الأزرق، كما يقع في الدنيا، وتأتي ﴿زُرْقًا ﴾ بمعنى عُمياً وهو معنىً صحيح[٢].

﴿ يَتَخَٰفَتُونَ بَيْنَهُمْ إِن لَّبِثْتُمْ إِلَّا عَشْرًا ﴿١٠٣﴾ ﴾ (سورة طه، الآية ١٠٣)

* ﴿ إِلَّا عَشْرًا ﴾

هذا من دلائل قدرة الله تعالى، فهو يخبرهم اليوم بما سيقولونه يوم القيامة، ومع ذلك فإنهم سوف يقولونه، ولا يستطيعون تبديله، وهذا مصداق لقوله تعالى ﴿وَسِعَ كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا ﴿٩٨﴾ ﴾، في الدنيا والآخرة[٣].

﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ ﴾ (سورة طه، الآية ١٠٥)

* ﴿ فَقُلْ ﴾

جاءت بالفاء، وهذا يدل على أن السؤال لم يقع، بل سيقع منهم السؤال، وقد وقع فعلاً كما أخبر الله عَزَّوَجَلَّ.

والسؤال عن الجبال لم يكن قد وقع منهم، والله تعالى أخبر نبيه أنه سيسأل عنها، وهذا كله يدل على جهالة المشركين، إذ أنهم أُخبروا أنهم سيسألون النبي

---

(١) (في المطبوع ١٥/ ٩٣٧٧)
(٢) (في المطبوع ١٥/ ٩٣٨٤)
(٣) (في المطبوع ١٥/ ٩٣٨٦)

صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ هذا السؤال، ومع ذلك يسألونه كما أخبره ربه، في هذا القرآن الذي يسمعونه، ثم لا يمتنعون عن السؤال تكذيباً لخبر الله تعالى .

وسبب سؤالهم عن الجبال، أنهم يرونها لا تتغير، ولا ينالها شيء مما يقع لبقية المخلوقات، من المرض والوفاة والهلاك[١].

﴿ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ ﴾ (سورة طه، الآية ١٠٦)

* ﴿ فَيَذَرُهَا ﴾

الضمير هنا يعود على الأرض، وليس على الجبال، فالأرض هي تكون قاعاً صفصفاً، أما الجبال فكما قال عنها، ينسفها نسفاً، وحذف العائد لمعرفة السامع به كقوله تعالى ﴿قُلْ هُوَ اللَّهُ أَحَدٌ ﴿١﴾ ﴾ سورة الإخلاص، فهو يعود إلى الله تعالى، وكقوله: ﴿ حَتَّىٰ تَوَارَتْ بِالْحِجَابِ ﴿٣٢﴾ ﴾ سورة ص، والمقصود الشمس، وكقوله ﴿ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَابَّةٍ ﴾ (سورة فاطر، الآية ٤٥) والمقصود به ظهر الأرض[٢].

﴿وَمَن يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا ﴿١١٢﴾ ﴾ (سورة طه، الآية ١١٢)

* ﴿وَلَا هَضْمًا ﴾

الهضم: نقصان الحق، ولذلك يقال: فلان مهضوم الحق، أي منقوص الحق[٣].

---

(١) (في المطبوع ١٥/ ٩٣٩٠)
(٢) (في المطبوع ١٥/ ٩٣٩١-٩٣٩٣)
(٣) (في المطبوع ١٥/ ٩٤٠٠)

﴿فَتَعَٰلَى ٱللَّهُ ٱلْمَلِكُ ٱلْحَقُّ وَلَا تَعْجَلْ بِٱلْقُرْءَانِ مِن قَبْلِ أَن يُقْضَىٰٓ إِلَيْكَ وَحْيُهُۥ وَقُل رَّبِّ زِدْنِي عِلْمًا ﴿١١٤﴾﴾ (سورة طه، الآية ١١٤)

* ﴿فَتَعَٰلَى﴾

تعالى مثل سبحان، ومثل تبارك، لا تقال إلا لله تعالى[(١)].

﴿وَلَقَدْ عَهِدْنَآ إِلَىٰٓ ءَادَمَ مِن قَبْلُ فَنَسِيَ وَلَمْ نَجِدْ لَهُۥ عَزْمًا ﴿١١٥﴾﴾ (سورة طه، الآية ١١٥)

هنا جاء بنهاية القصة، ثم شرع في ذكر تفاصيلها، وهذا الأسلوب جاء أيضاً في قصة قوم لوط في سورة القمر، بدأ بالعقوبة ثم ذكر القصة ﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍۭ بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٣﴾ إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ حَاصِبًا إِلَّآ ءَالَ لُوطٍ نَّجَّيْنَٰهُم بِسَحَرٍ ﴿٣٤﴾ نِّعْمَةً مِّنْ عِندِنَا كَذَٰلِكَ نَجْزِي مَن شَكَرَ ﴿٣٥﴾ وَلَقَدْ أَنذَرَهُم بَطْشَتَنَا فَتَمَارَوْا بِٱلنُّذُرِ ﴿٣٦﴾ وَلَقَدْ رَٰوَدُوهُ عَن ضَيْفِهِۦ فَطَمَسْنَآ أَعْيُنَهُمْ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٧﴾ وَلَقَدْ صَبَّحَهُم بُكْرَةً عَذَابٌ مُّسْتَقِرٌّ ﴿٣٨﴾ فَذُوقُوا عَذَابِي وَنُذُرِ ﴿٣٩﴾﴾ سورة القمر.

والقصد من هذا الأسلوب، هو التشويق لمعرفتها[(٢)].

﴿فَقُلْنَا يَٰٓـَٔادَمُ إِنَّ هَٰذَا عَدُوٌّ لَّكَ وَلِزَوْجِكَ فَلَا يُخْرِجَنَّكُمَا مِنَ ٱلْجَنَّةِ فَتَشْقَىٰٓ ﴿١١٧﴾﴾

(سورة طه، الآية ١١٧)

كان السياق أن يقول (فتشقيا) لأن المخاطب هما آدم وحواء، لكنه خص آدم بالذكر ﴿فَتَشْقَىٰٓ﴾ لأن الأساس أن الرجل هو الذي يعمل ويتحرك، ويتعرض للشقاء، والمرأة لا يطلب منها العمل أو الحركة، إنما هي سكن للرجل ﴿هُوَ ٱلَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَٰحِدَةٍ وَجَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا لِيَسْكُنَ إِلَيْهَا﴾ (سورة الأعراف، الآية ١٨٩)[(٣)].

---

(١) (في المطبوع ١٥/ ٩٤٠٥)

(٢) (في المطبوع ١٥/ ٩٤٢٠)

(٣) (في المطبوع ١٥/ ٩٤٢٨)

﴿إِنَّ لَكَ أَلَّا تَجُوعَ فِيهَا وَلَا تَعْرَىٰ ﴿١١٨﴾ وَأَنَّكَ لَا تَظْمَؤُا۟ فِيهَا وَلَا تَضْحَىٰ ﴿١١٩﴾﴾ (سورة طه، الآيتين ١١٨- ١١٩)

جاء في هذه الآيات بظاهر وباطن، فالآية الأولى :

* **الباطن**: الجوع
* **الظاهر**: العري.

والآية الثانية :

* **الباطن**: الظمأ
* **الظاهر**: تضحى

والله تعالى تكفل لهم بكل هذه الغرائز الظاهرة والباطنة[١].

﴿ثُمَّ ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ فَتَابَ عَلَيْهِ وَهَدَىٰ ﴿١٢٢﴾﴾ (سورة طه، الآية ١٢٢)

* ﴿ٱجْتَبَٰهُ رَبُّهُۥ﴾

قال ﴿رَبُّهُۥ﴾ ولم يقل (الله) إشارة لتربيته، وإعداده لمهمته في الأرض[٢].

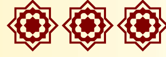
﴿فَٱصْبِرْ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ ٱلشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا ۖ وَمِنْ ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ ﴿١٣٠﴾﴾ (سورة طه، الآية ١٣٠)

* ﴿ءَانَآئِ ٱلَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ ٱلنَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَىٰ﴾

في الليل جاء بجميع أجزاءه، وفي النهار جاء بأطرافه، ذلك لأن النهار محل شغل، وبحث عن الرزق، فينشغل المرء به عن التسبيح، أما الليل فمحل السكون

(١) (في المطبوع ١٥/ ٩٤٢٩)
(٢) (في المطبوع ١٥/ ٩٤٣٣)

والراحة والفراغ، فيكون متفرغـًا للتسبيح والذكر في أي وقتٍ من أوقاته[١].



(١) (في المطبوع ٩/ ٩٤٥٣)

﴿ سُورَةُ الأنبِيَاءِ ﴾

المناسبة بين سورة الأنبياء وسورة طه.

* سورة طه انتهت بقوله تعالى ﴿ قُلۡ كُلّٞ مُّتَرَبِّصٞ فَتَرَبَّصُواْۖ فَسَتَعۡلَمُونَ مَنۡ أَصۡحَٰبُ ٱلصِّرَٰطِ ٱلسَّوِيِّ وَمَنِ ٱهۡتَدَىٰ ١٣٥ ﴾ سورة طه.
* وسورة الأنبياء بدأت بقوله تعالى ﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ١ ﴾ (سورة الأنبياء، الآية ١)
* فالتربص لن يطول[١].

﴿ٱقۡتَرَبَ لِلنَّاسِ حِسَابُهُمۡ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ مُّعۡرِضُونَ ١ ﴾ (سورة الأنبياء، الآية ١)

* ﴿ لِلنَّاسِ ﴾

تأتي اللام للمصلحة، وهنا جاءت لا لمصلحتهم لأنه وصفهم بالغفلة ﴿وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ﴾ فيكون معنى اللام هنا (الاقتراب) أي اقترب من الناس حسابهم، والحساب لهم أو عليهم[٢].

* ﴿ وَهُمۡ فِي غَفۡلَةٖ ﴾

الغفلة تحمل معنى عدم الاهتمام واللامبالاة بهذا الأمر، وهي بخلاف النسيان، فالنسيان فيه اهتمام بالشيء، لكنك نسيته رغماً عنك[٣].

---

(١) (في المطبوع ١٥/ ٩٤٦٧)
(٢) (المطبوع ١٥/ ٩٤٧٦)
(٣) (في المطبوع ١٥/ ٩٤٧٦)

﴿لَوْ كَانَ فِيهِمَآ ءَالِهَةٌ إِلَّا ٱللَّهُ لَفَسَدَتَاۚ فَسُبْحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلْعَرْشِ عَمَّا يَصِفُونَ ﴿٢٢﴾﴾ (سورة الأنبياء، الآية ٢٢)

* ﴿إِلَّا ٱللَّهُ﴾

إلا هنا ليست أداة استثناء، بل هي اسم بمعنى غير، لأنه لو قلنا أنه استثناء فقد أثبتنا وجود آلهة أخرى غير الله عَزَّوَجَلَّ، وهذا لا يصح، فيكون المعنى (لو كان فيهما آلهة موصوفة بأنها غير الله لفسدتا، فامتنع اثبات الشريك)[١].

﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِۗ وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةًۖ وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ ﴿٣٥﴾﴾ (سورة الأنبياء، الآية ٣٥)

* ﴿كُلُّ نَفْسٍ ذَآئِقَةُ ٱلْمَوْتِ﴾

كيف يذوق الموت، وهو لا يعرفه قبل ذلك، وبعد الموت يكون قد فقد حاسة الذوق؟.

فيكون المعنى أنه يذوق مقدمات الموت، التي يعرف أنه بها يموت، فإنه يأتي على الإنسان أوقاتٌ مهما كان صحيحاً، يُدرك بها أنه ميت لا محالة، ومنه قوله تعالى ﴿كَلَّآ إِذَا بَلَغَتِ ٱلتَّرَاقِيَ ﴿٢٦﴾ وَقِيلَ مَنْۜ رَاقٖ ﴿٢٧﴾ وَظَنَّ أَنَّهُ ٱلْفِرَاقُ ﴿٢٨﴾ وَٱلْتَفَّتِ ٱلسَّاقُ بِٱلسَّاقِ ﴿٢٩﴾ إِلَىٰ رَبِّكَ يَوْمَئِذٍ ٱلْمَسَاقُ ﴿٣٠﴾﴾ سورة القيامة[٢].

* ﴿وَنَبْلُوكُم بِٱلشَّرِّ وَٱلْخَيْرِ فِتْنَةً﴾

الابتلاء لا لنعلم ماذا تفعلون، فإن الله يعلم كل شيء، وإنما الابتلاء ليكون حجة على الخلق[٣].

---

(١) (في المطبوع ١٥/ ٩٥٠٧)
(٢) (في المطبوع ١٥/ ٩٥٣٧)
(٣) (في المطبوع ١٥/ ٩٥٣٨)

﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ سَأُوْرِيكُمْ ءَايَٰتِى فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ ﴿٣٧﴾ ﴾ (سورة الأنبياء، الآية ٣٧)

* ﴿ خُلِقَ ٱلْإِنسَٰنُ مِنْ عَجَلٍۚ ﴾

أي متعجلاً، فهو يريد الشيء قبل أوانه[1].

لفظ ﴿ ٱلْإِنسَٰنُ ﴾ إذا ورد في القرآن فهو في أمرٍ لا يسر، ومثاله هذه الآية، وقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْإِنسَٰنَ خُلِقَ هَلُوعًا ﴿١٩﴾ ﴾ سورة المعارج.

﴿ بَلْ مَتَّعْنَا هَٰٓؤُلَآءِ وَءَابَآءَهُمْ حَتَّىٰ طَالَ عَلَيْهِمُ ٱلْعُمُرُۗ أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَآۚ أَفَهُمُ ٱلْغَٰلِبُونَ ﴿٤٤﴾ ﴾ (سورة الأنبياء، الآية ٤٤)

* ﴿أَنَّا نَأْتِى ٱلْأَرْضَ نَنقُصُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا ﴾

النقص يحتمل معانٍ منها :

* حصول الزلازل وهدم البنيان، فهذا نقص .
* إسلام الناس ودخولهم في دين الله، فينقص عدد الكفار، وينتشر الإسلام، فتنقص أرض الكفار، وتزيد أرض المسلمين، وكفار قريش وإن لم يكونوا رأوا انتشار الإسلام وتوسعه، فقد رأوا هلاك الأمم السابقة، عاد وفرعون وثمود[2].

﴿ وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَٰرُونَ ٱلْفُرْقَانَ وَضِيَآءً وَذِكْرًا لِّلْمُتَّقِينَ ﴿٤٨﴾ ﴾ (سورة الأنبياء، الآية ٤٨)

* ﴿ ٱلْفُرْقَانَ ﴾

الفرقان جاء ذكره في قوله تعالى ﴿ وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ

(١) (في المطبوع ١٥/ ٩٥٤٠)
(٢) (في المطبوع ١٥/ ٩٥٤٨-٩٥٤٩)

﴿فِرۡعَوۡنَ وَأَنتُمۡ تَنظُرُونَ ۝٥٠﴾ (سورة البقرة، الآية ٥٠) وهو فرقان عظيم حصل لموسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ[١].

﴿ٱلَّذِينَ يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم بِٱلۡغَيۡبِ وَهُم مِّنَ ٱلسَّاعَةِ مُشۡفِقُونَ ۝٤٩﴾ (سورة الأنبياء، الآية ٤٩)

* ﴿يَخۡشَوۡنَ رَبَّهُم﴾

الخشية: هي الخوف مع التعظيم، لإن من الخوفِ خوفٌ مع الاحتقار[٢].

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَآ إِبۡرَٰهِيمَ رُشۡدَهُۥ مِن قَبۡلُ وَكُنَّا بِهِۦ عَٰلِمِينَ ۝٥١﴾ (سورة الأنبياء، الآية ٥١)

بدأ الله تعالى في هذه السورة بقصة موسى قبل قصة إبراهيم، مع أن إبراهيم وجد قبل موسى، والسبب أن اليهود علاقتهم بموسى أقرب، ولهم تاريخ في الجدل مع الكتاب، وتعاليم الكتاب، فلذلك بدأ بقصة موسى قبل قصة إبراهيم[٣].

﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ مَا هَٰذِهِ ٱلتَّمَاثِيلُ ٱلَّتِيٓ أَنتُمۡ لَهَا عَٰكِفُونَ ۝٥٢﴾ (سورة الأنبياء، الآية ٥٢)

* ﴿إِذۡ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوۡمِهِۦ﴾

بدأ بأبيه قبل قومه، حتى يكون صادقًا عادلاً في دعوته، ويملك من التأثير على أبيه، أكثر من تأثيره على قومه، وحتى لا يُقال له إبدأ بأبيك قبل غيره[٤].

---

(١) (في المطبوع ١٥/ ٩٥٦٢)
(٢) (في المطبوع ١٥/ ٩٥٦٤)
(٣) (في المطبوع ١٥/ ٩٥٦٧)
(٤) (في المطبوع ١٥/ ٩٥٧٤)

﴿قَالَ لَقَدْ كُنتُمْ أَنتُمْ وَءَابَآؤُكُمْ فِي ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٥٤﴾﴾ (سورة الأنبياء، الآية ٥٤)

* ﴿ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ﴾

ضلال الآباء كان في اختراعاتهم وصناعتهم للأصنام، وضلال الأبناء اتباعهم لأبآءهم في ضلالهم وشركهم، وتقليدهم لهم[1].

﴿وَلِسُلَيْمَٰنَ ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً تَجْرِي بِأَمْرِهِۦٓ إِلَى ٱلْأَرْضِ ٱلَّتِي بَٰرَكْنَا فِيهَا ۚ وَكُنَّا بِكُلِّ شَىْءٍ عَٰلِمِينَ ﴿٨١﴾﴾ (سورة الأنبياء، الآية ٨١)

* ﴿ٱلرِّيحَ عَاصِفَةً﴾

في موضع آخر قال تعالى ﴿فَسَخَّرْنَا لَهُ ٱلرِّيحَ تَجْرِى بِأَمْرِهِۦ رُخَآءً حَيْثُ أَصَابَ ﴿٣٦﴾﴾ سورة ص.

والعاصفة هي السريعة، والرخاء هي اللينة الناعمة الهادئة، فجمع الله فيها صفتي السرعة واللين، فلا تؤذي كبقية الرياح العاصفة[2].

﴿وَأَيُّوبَ إِذْ نَادَىٰ رَبَّهُۥٓ أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ وَأَنتَ أَرْحَمُ ٱلرَّٰحِمِينَ ﴿٨٣﴾﴾ (سورة الأنبياء، الآية ٨٣)

* ﴿أَنِّى مَسَّنِىَ ٱلضُّرُّ﴾

* **الضُر** بالضم هو الأذى في الجسد .

* **الضَر** بالفتح هو الأذى في غير الجسد[3].

---

(١) (في المطبوع ١٥/ ٩٥٧٥)
(٢) (في المطبوع ١٥/ ٩٦١٢)
(٣) (في المطبوع ١٥/ ٩٦١٦)

﴿ وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبٗا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقۡدِرَ عَلَيۡهِ فَنَادَىٰ فِي ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبۡحَٰنَكَ إِنِّي كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ٨٧ ﴾ (سورة الأنبياء، الآية ٨٧)

* ﴿ وَذَا ٱلنُّونِ ﴾

النون هو الحوت، وجمعها نينان، مثل حوت جمعها حيتان[١].

﴿فَٱسۡتَجَبۡنَا لَهُۥ وَوَهَبۡنَا لَهُۥ يَحۡيَىٰ وَأَصۡلَحۡنَا لَهُۥ زَوۡجَهُۥٓۚ إِنَّهُمۡ كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ وَيَدۡعُونَنَا رَغَبٗا وَرَهَبٗاۖ وَكَانُواْ لَنَا خَٰشِعِينَ ٩٠ ﴾

(سورة الأنبياء، الآية ٩٠)

* ﴿كَانُواْ يُسَٰرِعُونَ فِي ٱلۡخَيۡرَٰتِ﴾

ذكرهم الله بهذه الصفة، لأنهما كانا عقيمين، ويغلب على العقيم صفة البخل، لأنه لا يرى من يستحق من يعطيه أو ينفق عليه، فنبي الله زكريا وزوجه كانا بخلاف هذه الصفة[٢].

﴿ وَٱقۡتَرَبَ ٱلۡوَعۡدُ ٱلۡحَقُّ فَإِذَا هِيَ شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيۡلَنَا قَدۡ كُنَّا فِي غَفۡلَةٖ مِّنۡ هَٰذَا بَلۡ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ٩٧ ﴾ (سورة الأنبياء، الآية ٩٧)

* ﴿شَٰخِصَةٌ أَبۡصَٰرُ﴾

يدل على مفاجأة القيامة للناس، بحيث تشخص أبصارهم، وترتفع حواجبهم، ولا تغمض عيونهم، كما في قوله تعالى ﴿إِنَّمَا يُؤَخِّرُهُمۡ لِيَوۡمٖ تَشۡخَصُ فِيهِ ٱلۡأَبۡصَٰرُ ٤٢﴾ سورة إبراهيم[٣].

(١) (في المطبوع ١٥/ ٩٦٢٠)
(٢) (في المطبوع ١٦/ ٩٦٣٣)
(٣) (في المطبوع ١٦/ ٩٦٥٣)

﴿لَهُمۡ فِيهَا زَفِيرٞ وَهُمۡ فِيهَا لَا يَسۡمَعُونَ ١٠٠﴾ (سورة الأنبياء، الآية ١٠٠)

* ﴿زَفِيرٞ﴾

اقتصر على الزفير دون الشهيق، لأن الزفير هو الهواء الفاسد، وليس لهم سبيل إلى الهواء النقي(١).

* ﴿لَا يَسۡمَعُونَ﴾

في موضع آخر قال تعالى ﴿وَنَادَىٰٓ أَصۡحَٰبُ ٱلۡجَنَّةِ أَصۡحَٰبَ ٱلنَّارِ أَن قَدۡ وَجَدۡنَا مَا وَعَدَنَا رَبُّنَا حَقّٗا فَهَلۡ وَجَدتُّم مَّا وَعَدَ رَبُّكُمۡ حَقّٗاۖ قَالُواْ نَعَمۡۚ فَأَذَّنَ مُؤَذِّنُۢ بَيۡنَهُمۡ أَن لَّعۡنَةُ ٱللَّهِ عَلَى ٱلظَّٰلِمِينَ ٤٤﴾ سورة الأعراف

وهذا يدل على سماعهم، فكيف يوفق بينهما؟

المقصود أنهم لا يسمعون كلامـًا يسرهم، وإنما سماعهم هو تبكيت لهم(٢).

﴿إِنَّ فِي هَٰذَا لَبَلَٰغٗا لِّقَوۡمٍ عَٰبِدِينَ ١٠٦﴾ (سورة الأنبياء، الآية ١٠٦)

* ﴿لَبَلَٰغٗا﴾

كلمة البلاغ تفيد الأهمية، أي أن هذا الأمر أمر هام، يجب على الناس أن ينشغلوا به(٣).

﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَٰكَ إِلَّا رَحۡمَةٗ لِّلۡعَٰلَمِينَ ١٠٧ قُلۡ إِنَّمَا يُوحَىٰٓ إِلَيَّ أَنَّمَآ إِلَٰهُكُمۡ إِلَٰهٞ وَٰحِدٞۖ فَهَلۡ أَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٨﴾ (سورة الأنبياء، الآيتين ١٠٧-١٠٨)

---

(١) في المطبوع ١٦/ ٩٦٥٨)
(٢) في المطبوع ١٦/ ٩٦٥٩)
(٣) في المطبوع ١٦/ ٩٦٧٤)

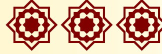
إخبارهم بوحدانية الله تعالى هي رحمة لهم، فهو يخبرهم بإلههم الحق، ويحذرهم من الشرك والكفر، وهذا كله رحمة لهم[(١)].

﴿إِنَّهُۥ يَعۡلَمُ ٱلۡجَهۡرَ مِنَ ٱلۡقَوۡلِ وَيَعۡلَمُ مَا تَكۡتُمُونَ ١١٠﴾ (سورة الأنبياء، الآية ١١٠)

شبهة وجوابها.

الجهر من القول الكل يعلمه، فما الإعجاز فيه.

والجواب: أن الخطاب للجميع أي جهر الجميع إذ قال ﴿مَا تَكۡتُمُونَ﴾ فهو يعلم الجهر من أقوالكم وقت حديثكم سويًا، ويميزها عن بعضها، ويعرف من قالها، كما يحدث من أصوات مرتفعة في مكان عام أو في المظاهرات التي يجتمع فيه عشرات الآلآف من الناس، أو غيرها، وهذا لا يقدر عليه إلا الله[(٢)].



(١) (في المطبوع ١٦/ ٩٦٧٦)
(٢) (في المطبوع ١٩/ ١١٦٥١)

سُورَةُ الحَجِّ

المناسبة بين سورة الحج وسورة الأنبياء

* جاء في آخر سورة الأنبياء قوله تعالى ﴿فَإِن تَوَلَّوْاْ فَقُلْ ءَاذَنتُكُمْ عَلَىٰ سَوَآءٍ وَإِنْ أَدْرِىٓ أَقَرِيبٌ أَم بَعِيدٌ مَّا تُوعَدُونَ ﴿١٠٩﴾﴾

* وقبلها جاء قوله تعالى ﴿وَٱقْتَرَبَ ٱلْوَعْدُ ٱلْحَقُّ فَإِذَا هِىَ شَٰخِصَةٌ أَبْصَٰرُ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ يَٰوَيْلَنَا قَدْ كُنَّا فِى غَفْلَةٍ مِّنْ هَٰذَا بَلْ كُنَّا ظَٰلِمِينَ ﴿٩٧﴾﴾ وما بعدها في ذات السياق، ثم جاء في أول سورة الحج قوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾﴾ (سورة الحج، الآية ١)، فيها تحذير من الساعة[1].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ إِنَّ زَلْزَلَةَ ٱلسَّاعَةِ شَىْءٌ عَظِيمٌ ﴿١﴾﴾ (سورة الحج، الآية ١)

* ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾

* قال ﴿ٱتَّقُواْ رَبَّكُمْ﴾ ولم يقل (اتقوا الله) لأن لفظ الجلالة يفيد التكاليف افعل ولا تفعل .

* أما كلمة (الرب) فهي إيجاد من عدم، وإمداد من عُدم، فقدم لكم الجميل والود، فهو أولى أن تتقوه[2].

(١) (في المطبوع ١٦/ ٩٦٨٢)
(٢) (في المطبوع ١٦/ ٩٦٨٦)

﴿يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّآ أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى ٱلنَّاسَ سُكَٰرَىٰ وَمَا هُم بِسُكَٰرَىٰ وَلَٰكِنَّ عَذَابَ ٱللَّهِ شَدِيدٌ ﴿٢﴾﴾

(سورة الحج، الآية ٢)

* ﴿تَذْهَلُ﴾

الذهول: هو انصراف للإنسان لا إرادي لشيء فاجأه[(١)].

﴿كُتِبَ عَلَيْهِ أَنَّهُۥ مَن تَوَلَّاهُ فَأَنَّهُۥ يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ إِلَىٰ عَذَابِ ٱلسَّعِيرِ ﴿٤﴾﴾ (سورة الحج، الآية ٤)

* ﴿يُضِلُّهُۥ وَيَهْدِيهِ﴾

كيف تجتمع الهداية والإضلال؟

* يضله عن طريق الحق، ويهديه إلى طريق الباطل، كما في قوله تعالى ﴿مِن دُونِ ٱللَّهِ فَٱهْدُوهُمْ إِلَىٰ صِرَٰطِ ٱلْجَحِيمِ ﴿٢٣﴾﴾ سورة الصافات
* وقوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ وَظَلَمُوا۟ لَمْ يَكُنِ ٱللَّهُ لِيَغْفِرَ لَهُمْ وَلَا لِيَهْدِيَهُمْ طَرِيقًا ﴿١٦٨﴾ إِلَّا طَرِيقَ جَهَنَّمَ خَٰلِدِينَ فِيهَآ أَبَدًا ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿١٦٩﴾﴾ سورة النساء[(٢)].

﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ فِى ٱلدُّنْيَا وَٱلْءَاخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ إِلَى ٱلسَّمَآءِ ثُمَّ لْيَقْطَعْ فَلْيَنظُرْ هَلْ يُذْهِبَنَّ كَيْدُهُۥ مَا يَغِيظُ ﴿١٥﴾﴾ (سورة الحج، الآية ١٥)

* ﴿مَن كَانَ يَظُنُّ أَن لَّن يَنصُرَهُ ٱللَّهُ﴾

---

(١) (في المطبوع ١٦/ ٩٦٩٠)
(٢) (في المطبوع ١٦/ ٩٧٠١)

الضمير في قوله ﴿يَنصُرُهُ﴾ يعود على النبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[(١)].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يَسْجُدُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَن فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلشَّمْسُ وَٱلْقَمَرُ وَٱلنُّجُومُ وَٱلْجِبَالُ وَٱلشَّجَرُ وَٱلدَّوَآبُّ وَكَثِيرٌ مِّنَ ٱلنَّاسِ ۖ وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ ٱلْعَذَابُ ۗ وَمَن يُهِنِ ٱللَّهُ فَمَا لَهُۥ مِن مُّكْرِمٍ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَآءُ ۩ ﴿١٨﴾﴾ (سورة الحج، الآية ١٨)

جاء الترتيب في هذه الآية، كل جنس يخدم ما بعده، فالجماد يخدم النبات بالتربة، والنبات يخدم الحيوان والإنسان، والحيوان يخدم الإنسان.

والإنسان هو أعلى هذه الأجناس التي هي خادمة له، فيجب عليه أن يكون في خدمة وطاعة من هو أعلى منه، وهو الله عَزَّوَجَلَّ.

وإذا لم يفعل ذلك، كان أدنى من هذه الأجناس التي تخدم غيرها، بينما هو لا دور له في هذه الحياة، بل هي تكون خيراً منه[(٢)].

﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ يَأْتُوكَ رِجَالًا وَعَلَىٰ كُلِّ ضَامِرٍ يَأْتِينَ مِن كُلِّ فَجٍّ عَمِيقٍ ﴿٢٧﴾﴾ (سورة الحج، الآية ٢٧)

* ﴿وَأَذِّن فِى ٱلنَّاسِ بِٱلْحَجِّ﴾

الحج هو الركن الوحيد من أركان الإسلام الذي يحاول الإنسان مهما كان وضعه واستطاعته، الوصول إليه وأداءه، تلبية لهذا النداء[(٣)].

﴿وَلِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنسَكًا لِّيَذْكُرُوا ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَىٰ مَا رَزَقَهُم مِّنۢ بَهِيمَةِ ٱلْأَنْعَٰمِ ۗ فَإِلَٰهُكُمْ إِلَٰهٌ وَٰحِدٌ فَلَهُۥٓ أَسْلِمُوا ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُخْبِتِينَ ﴿٣٤﴾﴾ (سورة الحج، الآية ٣٤)

---

(١) (في المطبوع ١٦/ ٩٧٤٠)
(٢) (في المطبوع ١٦/ ٩٧٥٠)
(٣) (في المطبوع ١٦/ ٩٧٨١)

* ﴿فَلَهُۥٓ أَسۡلِمُواْۗ﴾

أي أسلموا أموركم لله وأطيعوه[١].

* ﴿وَبَشِّرِ ٱلۡمُخۡبِتِينَ﴾

المخبت: هو الذي إذا ظُلم لا ينتصر لنفسه .

والإخبات نوعان :

* إخبات لله وانكسار له وطاعة وتذلل .
* إخبات لظلم الناس، وترك مخاصمتهم، لأنه يعلم أن الله معه[٢].

﴿ٱلَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ ٱللَّهُ وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ وَٱلصَّٰبِرِينَ عَلَىٰ مَآ أَصَابَهُمۡ وَٱلۡمُقِيمِي ٱلصَّلَوٰةِ وَمِمَّا رَزَقۡنَٰهُمۡ يُنفِقُونَ ٣٥﴾ (سورة الحج، الآية ٣٥)

* ﴿وَجِلَتۡ قُلُوبُهُمۡ﴾

في آية أخرى يقول تعالى ﴿ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَتَطۡمَئِنُّ قُلُوبُهُم بِذِكۡرِ ٱللَّهِۗ أَلَا بِذِكۡرِ ٱللَّهِ تَطۡمَئِنُّ ٱلۡقُلُوبُ ٢٨﴾ سورة الرعد

الوجل هو الخوف، والطمأنينة ضده، فما الفرق بينهما؟

* **الخوف**: يكون عند المعاصي، فالقلب يخاف الله ويخشى من معصيه .
* **الطمأنينة**: عند المصائب، يطمئن القلب، ويعلم أن له ربًا يحميه ويعافيه[٣].

---

(١) (في المطبوع ١٦/ ٩٨١٦)
(٢) (في المطبوع ١٦/ ٩٨١٦)
(٣) (في المطبوع ١٦/ ٩٨٢٠)

﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (سورة الحج، الآية ٣٦)

* ﴿ وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا ﴾

البدن جمع بدنة، والبدنة تطلق على الجمل والناقة، وسبب تسميتها بالبدن، كي يلحظ الحاج عند الهدي أن يختار السمينة منها، قربة لله تعالى، ويبتعد عن الهزيلة والضعيفة(١).

﴿ ٱلَّذِينَ أُخْرِجُوا۟ مِن دِيَٰرِهِم بِغَيْرِ حَقٍّ إِلَّآ أَن يَقُولُوا۟ رَبُّنَا ٱللَّهُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّهُدِّمَتْ صَوَٰمِعُ وَبِيَعٌ وَصَلَوَٰتٌ وَمَسَٰجِدُ يُذْكَرُ فِيهَا ٱسْمُ ٱللَّهِ كَثِيرًاۗ وَلَيَنصُرَنَّ ٱللَّهُ مَن يَنصُرُهُۥٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ لَقَوِىٌّ عَزِيزٌ ﴿٤٠﴾ ﴾ (سورة الحج، الآية ٤٠)

* ﴿وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ ﴾

ذكر الله عَزَّوَجَلَّ الناس، ولم يذكر المؤمنين والكافرين، فلفظ الناس يشمل العموم، وقد يكون من الدفع، أن يتدافع الكفار فيما بينهم، ويقي الله المؤمنين شرهم(٢).

في سورة البقرة جاء قوله تعالى ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ سورة البقرة

فهذه الآية هي في السلام والاطمئنان العام، وآية الحج تكلمت عن الفساد

(١) (في المطبوع ١٦/ ٩٨٢٤)
(٢) (في المطبوع ١٦/ ٩٨٣٨)

الذي يصيب الناس في دينهم وعبادتهم[١].

﴿وَإِن يُكَذِّبُوكَ فَقَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ وَعَادٌ وَثَمُودُ ﴿٤٢﴾ وَقَوْمُ إِبْرَٰهِيمَ وَقَوْمُ لُوطٍ ﴿٤٣﴾ وَأَصْحَٰبُ مَدْيَنَ ۖ وَكُذِّبَ مُوسَىٰ فَأَمْلَيْتُ لِلْكَٰفِرِينَ ثُمَّ أَخَذْتُهُمْ ۖ فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ ﴿٤٤﴾﴾ (سورة الحج، الآيت ٤٢-٤٤)

* ﴿وَكُذِّبَ مُوسَىٰ﴾

هنا اختلف الصياغة، ولعل السبب أنه اختلف في دعوته عن بقية الأنبياء الذين واجهوا أقوامهم المشركين، فإنه قد واجه فرعون الذي ادعى الألوهية، فمهمته كانت أصعب من بقية الأنبياء[٢].

﴿فَكَأَيِّن مِّن قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَٰهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ فَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا وَبِئْرٍ مُّعَطَّلَةٍ وَقَصْرٍ مَّشِيدٍ ﴿٤٥﴾﴾ (سورة الحج، الآية ٤٥)

* ﴿أَهْلَكْنَٰهَا﴾

أي أهلكنا أهلها، لأن المكان باق، ومع بقاء المكان فالمعنى غيرناها عما كانت عليه قبل ذلك، وفي آية آخرى يقول تعالى ﴿فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ سورة النمل[٣].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رَّسُولٍ وَلَا نَبِىٍّ إِلَّآ إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ فَيَنسَخُ ٱللَّهُ مَا يُلْقِى ٱلشَّيْطَٰنُ ثُمَّ يُحْكِمُ ٱللَّهُ ءَايَٰتِهِۦ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٥٢﴾﴾

(سورة الحج، الآية ٥٢)

---

(١) (في المطبوع ١٦/ ٩٨٣٧)
(٢) (في المطبوع ١٦/ ٩٨٥٥)
(٣) (في المطبوع ١٦/ ٩٨٥٦)

* ﴿إِذَا تَمَنَّىٰٓ أَلْقَى ٱلشَّيْطَٰنُ فِىٓ أُمْنِيَّتِهِۦ﴾

الأمنية تحتمل معانٍ منها :

* الأمنية هنا بمعناها المعروف، وهو أن النبي يتمنى أن يؤمن الناس جميعًا، ويتبعوه إلى الدين الحق، ولكن الشيطان يلقي في نفوس الناس الشهوات والشبهات والعقبات والعراقيل، فيصدهم عن ذكر الله تعالى .

* أن الأمنية بمعنى (قرأ) فيلقي الشيطان شبهاته بأن هذا سحر وكهانة وشعر، فيصد الناس عن الإيمان والتصديق به، لكن الله يحكم آياته وينسخ أقوال الشيطان[١] .

﴿لَّهُۥ مَا فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ ۗ وَإِنَّ ٱللَّهَ لَهُوَ ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ ﴿٦٤﴾﴾
(سورة الحج، الآية ٦٤)

* ﴿ٱلْغَنِىُّ ٱلْحَمِيدُ﴾

﴿ٱلْحَمِيدُ﴾ هو المحمود عند غيره، فهو محمود لأن غناه عائد على خلقه، وهذا بخلاف الغني الذي يقتصر غناه على نفسه، ولا ينتفع منه الناس، فهذا غنيٌ مكروهٌ من الناس[٢] .

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ سَخَّرَ لَكُم مَّا فِى ٱلْأَرْضِ وَٱلْفُلْكَ تَجْرِى فِى ٱلْبَحْرِ بِأَمْرِهِۦ وَيُمْسِكُ ٱلسَّمَآءَ أَن تَقَعَ عَلَى ٱلْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِۦٓ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٦٥﴾﴾ (سورة الحج، الآية ٦٥)

* ﴿لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ﴾

الرؤوف: هو الذي يزيل الألآم .

---

(١) (في المطبوع ١٦/ ٩٨٧٦)
(٢) (في المطبوع ١٦/ ٩٩١٢)

الرحيم: هو الذي يأتي بالخير للناس.

وقدم الرؤوف على الرحيم، لإن درء المفسدة مقدم على جلب المصلحة[١].

﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِۚ إِنَّ ٱللَّهَ سَمِيعُۢ بَصِيرٞ ٧٥﴾ (سورة الحج، الآية ٧٥)

* ﴿ٱللَّهُ يَصۡطَفِي مِنَ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةِ رُسُلٗا وَمِنَ ٱلنَّاسِ﴾

* **الاصطفاء**: هو اختيار قليلٍ من كثير.
* والاصطفاء سار على الكون كله، ففي الزمان اصطفى شهر رمضان، وفي الأمكنة اصطفى مكة.
* الاصطفاء ليس تدليلاً للمصطفى، وإنما ليشيع اصطفاءه على الناس .
* يتكرر الاصطفاء، وهو يختلف باختلاف المتعلق به، فمريم عَلَيۡهَا ٱلسَّلَامُ جاء فيها قوله تعالى ﴿وَإِذۡ قَالَتِ ٱلۡمَلَٰٓئِكَةُ يَٰمَرۡيَمُ إِنَّ ٱللَّهَ ٱصۡطَفَىٰكِ وَطَهَّرَكِ وَٱصۡطَفَىٰكِ عَلَىٰ نِسَآءِ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٤٢﴾ سورة آل عمران:
* **فالاصطفاء الأول**: اصطفاها أن تكون خاشعة متبتلة عابدة في المحراب.
* **والاصطفاء الثاني**: اصطفاها على النساء، لأنها ستحمل من غير رجل .
* فهما اصطفاءان مختلفان[٢].



(١) (في المطبوع ١٦/ ٩٩١٥)
(٢) (في المطبوع ١٦/ ٩٩٣٩)

﴿ سُورَةُ المؤمنون ﴾

المناسبة بين سورة الحج وسورة المؤمنون

* سورة الحج انتهت بقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱرۡكَعُواْ وَٱسۡجُدُواْۤ وَٱعۡبُدُواْ رَبَّكُمۡ وَٱفۡعَلُواْ ٱلۡخَيۡرَ لَعَلَّكُمۡ تُفۡلِحُونَ ۩ ﴿٧٧﴾﴾ سورة الحج

* وسورة المؤمنون بدأت بقوله ﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ﴾ (سورة المؤمنون، الآية ١)

* و﴿قَدۡ﴾ حرف تحقيق، فالفلاح واقع لهم، وخص الفلاح بالذكر، لإنه أهم ما في الزراعة[١].

﴿قَدۡ أَفۡلَحَ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ﴿١﴾ ٱلَّذِينَ هُمۡ فِي صَلَاتِهِمۡ خَٰشِعُونَ ﴿٢﴾﴾ (سورة المؤمنون، الآيتين ١-٢)

ذكر الخشوع، ولم يذكر الأداء، فكأن الأداء أمرٌ مفروغ منه[٢].

﴿ ثُمَّ إِنَّكُم بَعۡدَ ذَٰلِكَ لَمَيِّتُونَ ﴿١٥﴾ ثُمَّ إِنَّكُمۡ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ تُبۡعَثُونَ ﴿١٦﴾﴾ (سورة المؤمنون، الآيتين ١٥-١٦)

* ﴿ لَمَيِّتُونَ ﴾

أكد الموت بالنون واللام، مع أنهم يعلمون أنهم ميتون، ولم يؤكد البعث الذي هم في شكٍ منه، والأولى أن يؤكد البعث لا الموت .

وبيان ذلك: أكد الموت الذي هم من شدة غفلتهم عنه، كأنهم في شكٍ منه، ولم يؤكد البعث، لإن دلائل البعث تشير إليه[٣].

---

(١) (في المطبوع ١٦/ ٩٩٥٩)
(٢) (في المطبوع ١٦/ ٩٩٦١)
(٣) (في المطبوع ١٦/ ٩٩٨٤)

﴿وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ۝٢٢﴾ (سورة المؤمنون، الآية ٢٢)

* كما ذكر النعمة في السير على الأرض، أخبرهم أنه أنعم عليهم بالفلك، في السير على الماء[١].

* ولما ذكر الفلك والسير على الماء، ذكر بعدها نوحًا عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ صاحب الفلك، وقدم السورة بذكر الامتنان عليهم بنعم من السماء والأرض، وهداهم في البر والبحر، كل هذا مقدمة لنعمة أكبر، هي نعمة إرسال الرسل إليهم، وأولهم نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[٢].

﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ۝٥٠ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ ۝٥١﴾ (سورة المؤمنون، الآيتين ٥٠-٥١)

* ﴿وَجَعَلْنَا ٱبْنَ مَرْيَمَ وَأُمَّهُۥٓ ءَايَةً﴾

قال ﴿ءَايَةً﴾ ولم يقل (آيتين) لأنهما سواء في الآية، فهي حملت من غير رجل، وهو جاء من غير أب، فالحمل والولادة كلاهما آية[٣].

* ﴿وَءَاوَيْنَٰهُمَآ إِلَىٰ رَبْوَةٍ﴾

أي في مكان مرتفع عن الأرض ومنخفض عن الجبل، فهو معتدل الجو، لا تؤذيه برودة الجبل ولا حرارة الأرض[٤].

(١) (في المطبوع ١٦/ ٩٩٩٥)
(٢) (في المطبوع ١٦/ ٩٩٩٥)
(٣) (في المطبوع ١٦/ ١٠٠٥١)
(٤) (في المطبوع ١٦/ ١٠٠٥٣)

* ﴿ ذَاتِ قَرَارٍ وَمَعِينٍ ﴾

ذات قرار: أرض مستوية بها متطلبات الحياة، من مطعم ومشرب ومسكن، وبعد أن ذكر هذه الأوصاف جاء بذكر أكل الطيبات ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلرُّسُلُ كُلُوا۟ مِنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ﴾ ثم ذكر بعدها العمل الصالح ﴿وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ﴾، فكأنه يخبرنا أن الأكل الطيب سبيل إلى العمل الصالح، فلابد أن تبني ذرات جسدك من الطعام الطيب، حتى يأتي منه العمل الصالح[١].

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ يُسَٰرِعُونَ فِى ٱلْخَيْرَٰتِ وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴿٦١﴾﴾ (سورة المؤمنون، الآية ٦١)

* ﴿وَهُمْ لَهَا سَٰبِقُونَ ﴾

لأن قصدهم السبق كان سبباً لمسارعتهم في الخير.

وتأتي بمعنى هم أهل لها، أي هم أهلٌ لكي يكونوا سابقين[٢].

﴿ حَتَّىٰٓ إِذَآ أَخَذْنَا مُتْرَفِيهِم بِٱلْعَذَابِ إِذَا هُمْ يَجْـَٔرُونَ ﴿٦٤﴾﴾ (سورة المؤمنون، الآية ٦٤)

* ﴿ يَجْـَٔرُونَ ﴾

يجأر: يرفع صوته صارخاً مما يرى[٣].

﴿مُسْتَكْبِرِينَ بِهِۦ سَٰمِرًا تَهْجُرُونَ ﴿٦٧﴾﴾ (سورة المؤمنون، الآية ٦٧)

تسمرون عند الكعبة بهجران القول في حق النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ، وحق دينه، ونكران نعمة الله عليكم، إذ جعلكم سادةً في جزيرة العرب[٤].

---

(١) (في المطبوع ١٦/ ١٠٠٥٣-١٠٠٥٤)
(٢) (في المطبوع ١٦/ ١٠٠٦٩-١٠٠٧٠)
(٣) (في المطبوع ١٦/ ١٠٠٧٩)
(٤) (في المطبوع ١٦/ ١٠٠٨٤)

﴿قَالَ كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ عَدَدَ سِنِينَ ﴿١١٢﴾ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ ﴿١١٣﴾ قَالَ إِنْ لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنَّكُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ ﴿١١٤﴾﴾ (سورة المؤمنون، الآيات ١١٢-١١٤)

* ﴿يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾

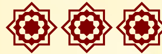
هذه أيضاً إجابة الماكثين طويلاً في غيبوبة الموت أو النوم، فعزير قال ﴿أَوْ كَالَّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِائَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٥٩)

وأصحاب الكهف قالوا ﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ﴾ (سورة الكهف، الآية ١٩)[١].

والسبب أنهم تصوروا أن هذه أطول مدة يمكن أن يبقوا فيها .

* ﴿فَاسْأَلِ الْعَادِّينَ﴾

هم الملائكة[٢].



(١) (في المطبوع١٦/ ١٠١٧٠)
(٢) (في المطبوع ١٦/ ١٠١٧٠)

﴿ سُورَةُ النُّورِ ﴾

﴿سُورَةٌ أَنزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا وَأَنزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ لَّعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ ﴿١﴾﴾ (سورة النور، الآية ١)

* المناسبة بينها وبين سورة المؤمنون، في سور المؤمنون قال تعالى في صفات المؤمنين ﴿وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ ﴿٥﴾﴾ سورة المؤمنون، وهنا جاء بالمقابل لهم فقال: ﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ ۖ وَلَا تَأْخُذْكُم بِهِمَا رَأْفَةٌ فِي دِينِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ ۖ وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا طَائِفَةٌ مِّنَ الْمُؤْمِنِينَ ﴿٢﴾﴾ (سورة النور، الآية ٢)

﴿الزَّانِيَةُ وَالزَّانِي﴾ (سورة النور، الآية ١)

* قدم هنا الزانية على الزاني، لأن المرأة هي من تغري الرجل وتدعوه إلى الزنا، فهي من تسهل له ذلك وتهونه عليه.

* وفي شأن السرقة قدم السارق على السارقة كما قال تعالى ﴿وَالسَّارِقُ وَالسَّارِقَةُ فَاقْطَعُوا أَيْدِيَهُمَا جَزَاءً بِمَا كَسَبَا نَكَالًا مِّنَ اللَّهِ ۗ وَاللَّهُ عَزِيزٌ حَكِيمٌ ﴿٣٨﴾﴾ سورة المائدة

* وذلك لأن الرجل مكلف بمؤنة الحياة والسعي لمن هم تحته، وإن كان هذا لا يمنع أن تكون المرأة سارقة، وإنما الغالب أن الرجل هو من يسرق، فقدمه في الذكر[1].

﴿إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِفْكِ عُصْبَةٌ مِّنكُمْ ۚ لَا تَحْسَبُوهُ شَرًّا لَّكُم ۖ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَّكُمْ ۚ لِكُلِّ امْرِئٍ

(١) (في المطبوع ١٦/ ١٠١٩٥)

مِّنۡهُم مَّا ٱكۡتَسَبَ مِنَ ٱلۡإِثۡمِۚ وَٱلَّذِي تَوَلَّىٰ كِبۡرَهُۥ مِنۡهُمۡ لَهُۥ عَذَابٌ عَظِيمٞ ﴿١١﴾ (سورة النور، الآية ١١)

* ﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ جَآءُو بِٱلۡإِفۡكِ عُصۡبَةٞ مِّنكُمۡ﴾

جاءت هذه الآيات بعد آيات اللعان، ليبين عَزَّوَجَلَّ أن هذا حكم الله فيمن قذف زوجة أو إمراة، قد تكون أمًا لفرد أو مجموعة من الناس، فكيف الأمر بعقوبة من قذف من هي أم للمؤمنين جميعًا، وهي زوج النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ[1].

﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ ﴿٣٧﴾ (سورة النور، الآية ٣٧)

* ﴿رِجَالٞ لَّا تُلۡهِيهِمۡ تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ﴾

تحتمل الآية معنيين:

* لا تمنعهم ولا تلهيهم عن الحضور للمساجد.
* لا تلهيهم وهم يؤدون تجارتهم عن ذكر الله وعبادته، فهم يذكرون الله حال أعمالهم وتجارتهم[2].

﴿لَّيۡسَ عَلَى ٱلۡأَعۡمَىٰ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡأَعۡرَجِ حَرَجٞ وَلَا عَلَى ٱلۡمَرِيضِ حَرَجٞ وَلَا عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمۡ أَن تَأۡكُلُواْ مِنۢ بُيُوتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ ءَابَآئِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أُمَّهَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ إِخۡوَٰنِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخَوَٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَعۡمَٰمِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ عَمَّٰتِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ أَخۡوَٰلِكُمۡ أَوۡ بُيُوتِ خَٰلَٰتِكُمۡ أَوۡ مَا مَلَكۡتُم مَّفَاتِحَهُۥٓ أَوۡ صَدِيقِكُمۡۚ لَيۡسَ عَلَيۡكُمۡ جُنَاحٌ أَن تَأۡكُلُواْ جَمِيعًا أَوۡ أَشۡتَاتٗاۚ فَإِذَا دَخَلۡتُم

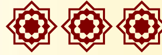
---

(١) (في المطبوع ١٦/ ١٠٢٠٩)
(٢) (في المطبوع ١٦/ ١٠٢٨٠-١٠٢٨١)

﴿...بُيُوتًا فَسَلِّمُوا۟ عَلَىٰٓ أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ ٱللَّهِ مُبَٰرَكَةً طَيِّبَةً ۚ كَذَٰلِكَ يُبَيِّنُ ٱللَّهُ لَكُمُ ٱلْءَايَٰتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٦١﴾﴾ (سورة النور، الآية ٦١)

* ﴿أَوْ صَدِيقِكُمْ﴾

قال صديقكم ولم يقل أصدقاءكم، لأنه لو قال: أصدقاءكم: أي تعددت أسباب صداقتهم، أما هنا فالمقصود أن تكون صداقتهم لكم من أجل الله تعالى لا من أجل غيره، فجاء بالإفراد(١).



(١) (في المطبوع١٧/ ١٠٥٩٢)

﴿ سُورَةُ الفُرْقَانِ ﴾

﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ يَأْكُلُ ٱلطَّعَامَ وَيَمْشِى فِى ٱلْأَسْوَاقِ ۙ لَوْلَآ أُنزِلَ إِلَيْهِ مَلَكٌ فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا ۝٧﴾ (سورة الفرقان، الآية ٧)

* ﴿وَقَالُوا۟ مَالِ هَٰذَا ٱلرَّسُولِ﴾

قولهم ﴿مَالِ﴾ وكأنهم رأوا رسولاً من قبله عَلَيْهِ ٱلصَّلَاةُ وَٱلسَّلَامُ، وهم في حقيقة الأمر لم يروا أي رسول قبله[١].

* ﴿فَيَكُونَ مَعَهُۥ نَذِيرًا﴾

لم يقولوا (وبشيرا) وهذا يدل على لددهم في الخصومة، وأنهم يريدون أن يكونوا في نذارة دائمة[٢].

﴿وَإِذَآ أُلْقُوا۟ مِنْهَا مَكَانًا ضَيِّقًا مُّقَرَّنِينَ دَعَوْا۟ هُنَالِكَ ثُبُورًا ۝١٣ لَّا تَدْعُوا۟ ٱلْيَوْمَ ثُبُورًا وَٰحِدًا وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا ۝١٤﴾ (سورة الفرقان، الآيتين ١٣-١٤)

* ﴿وَٱدْعُوا۟ ثُبُورًا كَثِيرًا﴾

لا يكفيهم ثبور واحدٌ، بل ثبورٌ كثيرٌ، من شدة ما يرون ويشاهدون[٣].

﴿فَقَدْ كَذَّبُوكُم بِمَا تَقُولُونَ فَمَا تَسْتَطِيعُونَ صَرْفًا وَلَا نَصْرًا ۚ وَمَن يَظْلِم مِّنكُمْ نُذِقْهُ عَذَابًا كَبِيرًا ۝١٩﴾ (سورة الفرقان، الآية ١٩)

---

(١) (في المطبوع١٧/ ١٠٣٧٢)
(٢) (في المطبوع١٧/ ١٠٣٧٢)
(٣) (في المطبوع١٧/ ١٠٣٧٨)

* ﴿صَرۡفٗا وَلَا نَصۡرٗا﴾

* **الصرف**: أن تدفع عن ذاتك بذاتك .

* **النصر**: أن تدفع عن نفسك بقوة غيرك[1].

﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ يَقُولُ يَٰلَيۡتَنِي ٱتَّخَذۡتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلٗا ٢٧﴾ (سورة الفرقان، الآية ٢٧)

* ﴿وَيَوۡمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيۡهِ﴾

في هذه الآية ثلاثة معانٍ :

* العض ورد أيضاَ في قوله تعالى ﴿وَإِذَا خَلَوۡاْ عَضُّواْ عَلَيۡكُمُ ٱلۡأَنَامِلَ مِنَ ٱلۡغَيۡظِ﴾ (سورة آل عمران، الآية ١١٩).

* وعض الأنامل هو في الألآم الخفيفة، أما عض اليد فهو في الأشياء العظيمة.

* أن الظالم لا يكتفي بعض يدٍ واحدة، بل يعض كلتا يديه.

* أن الظالم يوم القيامة، يبدأ بتعذيب نفسه، قبل أن يأتيه العذاب[2].

﴿يَٰوَيۡلَتَىٰ لَيۡتَنِي لَمۡ أَتَّخِذۡ فُلَانًا خَلِيلٗا ٢٨﴾ (سورة الفرقان، الآية ٢٨)

* ﴿فُلَانًا خَلِيلٗا﴾

لكراهته لهذا الخليل لم يذكر اسمه، إنما يقول ﴿فُلَانًا﴾[3].

﴿وَهُوَ ٱلَّذِي مَرَجَ ٱلۡبَحۡرَيۡنِ هَٰذَا عَذۡبٞ فُرَاتٞ وَهَٰذَا مِلۡحٌ أُجَاجٞ وَجَعَلَ بَيۡنَهُمَا بَرۡزَخٗا وَحِجۡرٗا

(١) (في المطبوع ١٧/ ١٠٣٩٦)
(٢) (في المطبوع ١٧/ ١٠٤٢٤)
(٣) (في المطبوع١٧/ ١٠٤٢٦)

مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ ﴾ (سورة الفرقان، الآية ٥٣)

* ﴿عَذْبٌ فُرَاتٌ﴾

أي مفرط في العذوبة[١].

﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلَّا مَن شَآءَ أَن يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِۦ سَبِيلًا ﴿٥٧﴾﴾ (سورة الفرقان، الآية ٥٧)

* ﴿قُلْ مَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ﴾

والسبب أن البشر لا يستطيعون تقييم أجر الهداية، وإنما الذي يعلم ذلك هو الله عَزَّوَجَلَّ[٢].

﴿إِنَّهَا سَآءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٦٦﴾﴾ (سورة الفرقان، الآية ٦٦)

* **المستقر**: هو أول الدخول فيها.
* **المقام**: هو دوام البقاء فيها.
* ويمكن القول أن المستقر هو لأصحاب الذنوب والكبائر، ثم يخرجون منها.
* أما المقام فهو للكافرين المخلدين فيها[٣].

﴿وَٱلَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ ٱللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِي حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ ۚ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا ﴿٦٨﴾﴾ (سورة الفرقان، الآية ٦٨)

---

(١) (في المطبوع١٧/ ١٠٤٧٠)
(٢) (في المطبوع١٧/ ١٠٤٧٩)
(٣) (في المطبوع١٧/ ١٠٥٠٧)

* ﴿وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا ءَاخَرَ﴾

بعد أن ذكر صفاتهم السابقة، من قيام الليل والتفكر والنفقة وغيرها، ذكرهم بقضيتهم الأولى، التي هي توحيد الله عَزَّوَجَلَّ، فهي أهم شيء، وأهم من كل شيء(١).

﴿وَالَّذِينَ لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ وَإِذَا مَرُّوا بِاللَّغْوِ مَرُّوا كِرَامًا ﴿٧٢﴾﴾ (سورة الفرقان، الآية ٧٢)

* ﴿لَا يَشْهَدُونَ الزُّورَ﴾

الزور هو الباطل، فهم لا يقومون بالشهادة عليه، بل إنهم لا يحضرونه أصلاً(٢).

﴿وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا هَبْ لَنَا مِنْ أَزْوَاجِنَا وَذُرِّيَّاتِنَا قُرَّةَ أَعْيُنٍ وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا ﴿٧٤﴾﴾ (سورة الفرقان، الآية ٧٤)

* ﴿وَاجْعَلْنَا لِلْمُتَّقِينَ إِمَامًا﴾

المعلوم أن تعدد الأئمة، يؤدي إلى النزاع والاختلاف، إلا الإمامة في التقوى، فإن سببها واحد، ومنهجها واحد، ولا ضرر في ذلك(٣).

﴿خَالِدِينَ فِيهَا حَسُنَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا ﴿٧٦﴾﴾ (سورة الفرقان، الآية ٧٦)

* المستقر هنا هو أول نعيم الجنة حين يدخلونها .
* والمقام هو تجدد النعم فيها لهم، وهي نعمٌ غير متناهية(٤).

---

(١) (في المطبوع١٧/ ١٠٥١١)
(٢) (في المطبوع١٧/ ١٠٥١٧)
(٣) (في المطبوع١٧/ ١٠٥٢٤)
(٤) (في المطبوع١٧/ ١٠٥٢٧)

﴿ سُورَةُ الشُّعَرَاءِ ﴾

﴿ فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولُ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦﴾ ﴾ (سورة الشعراء، الآية ١٦)

* ﴿إِنَّا رَسُولُ ﴾

بالإفراد وفي موضع آخر بالتثنية حيث قال تعالى ﴿ فَأْتِيَاهُ فَقُولَآ إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ ﴾ (سورة طه، الآية ٤٧).

ومادام أن موسى وهارون مرسلان لأمر واحد، فإذا تكلم أحدهما فكأن الآخر تكلم معه، كما قال تعالى ﴿قَالَ قَدْ أُجِيبَت دَّعْوَتُكُمَا فَٱسْتَقِيمَا وَلَا تَتَّبِعَآنِّ سَبِيلَ ٱلَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٨٩﴾ ﴾ سورة يونس

وموسى كان الذي يدعو، والمؤمن على الدعاء هو هارون[١].

﴿ قَالَ لِلْمَلَإِ حَوْلَهُۥٓ إِنَّ هَٰذَا لَسَٰحِرٌ عَلِيمٌ ﴿٣٤﴾ يُرِيدُ أَن يُخْرِجَكُم مِّنْ أَرْضِكُم بِسِحْرِهِۦ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ ﴿٣٥﴾ ﴾ (سورة الشعراء، الآيتين ٣٤-٣٥)

أول خذلان فرعون أنه يطلب الرأي من أتباعه، وهو كان قبل ذلك يزعم أنه إله، فكيف تحول في لحظة من آمر إلى مأمور[٢].

﴿ فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِّيٓ إِلَّا رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٧٧﴾ ٱلَّذِى خَلَقَنِى فَهُوَ يَهْدِينِ ﴿٧٨﴾ وَٱلَّذِى هُوَ يُطْعِمُنِى وَيَسْقِينِ ﴿٧٩﴾ وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ ﴿٨٠﴾ وَٱلَّذِى يُمِيتُنِى ثُمَّ يُحْيِينِ ﴿٨١﴾ ﴾

(سورة الشعراء، الآيات ٧٧-٨١)

---

(١) (في المطبوع١٧/ ١٠٥٥١)
(٢) (في المطبوع١٧/ ١٠٥٦٣)

هنا جملة من الفوائد نوردها سوياً :

* ﴿عَدُوٌّ لِّيٓ﴾

قال عدو ولم يقل أعداء، لأن أعداءك في الدين سبب عداوتهم واحد، واجتمعوا عليك لعداوتك .

* ﴿فَهُوَ يَهۡدِينِ﴾ ﴿هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ﴾ ﴿فَهُوَ يَشۡفِينِ﴾ ﴿يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ﴾

ضمير الفصل ﴿هُوَ﴾ جيء به للتأكيد، فكل ما فيه شبهة إنكار أكده بـ ﴿هُوَ﴾

* ﴿ٱلَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهۡدِينِ ٧٨﴾ .

الشبهة هنا أن يزعم أن معلمه أو شيخه هداه

* ﴿وَٱلَّذِي هُوَ يُطۡعِمُنِي وَيَسۡقِينِ ٧٩﴾

الشبهة هنا أن يزعم أن أباه أطعمه وسقاه .

* ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠﴾

الشبهة هنا أن يزعم أن الطبيب شفاه.

* ﴿وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ٨١﴾

لم يأت بضمير الفصل هنا، لأنه لم يزعم أحد ذلك، فالموت والحياة هي لله عَزَّوَجَلَّ .

* ﴿وَٱلَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحۡيِينِ ٨١﴾

جاء بثم هنا ولم يقل (ويحيين) لأن هناك مسافة زمنية بين الموت والحياة، كما في قوله تعالى ﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقۡبَرَهُۥ ٢١ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ٢٢﴾ سورة عبس

* ﴿وَإِذَا مَرِضۡتُ فَهُوَ يَشۡفِينِ ٨٠﴾

ولم يقل (أمرضني) وهذا من أدبه مع الله تعالى[١].

﴿وَٱلَّذِيٓ أَطۡمَعُ أَن يَغۡفِرَ لِي خَطِيٓـَٔتِي يَوۡمَ ٱلدِّينِ ﴿٨٢﴾﴾ (سورة الشعراء، الآية ٨٢)

بعد أن قدم عبوديته لله تعالى، ونعمه عليه، دعا لنفسه، وكذلك المؤمن يفعل في دعائه[٢].

﴿رَبِّ هَبۡ لِي حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿٨٣﴾﴾ (سورة الشعراء، الآية ٨٣)

* ﴿رَبِّ هَبۡ﴾

كلمة ﴿هَبۡ﴾ معناها أني لم أعمل عملاً صالحـًا، أستحق به فضلك، بل إني أريد عطاءً من عندك[٣].

* ﴿حُكۡمٗا وَأَلۡحِقۡنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ﴾

الحكم: هو معرفة الخير والعمل به، وأن أعمل بعمل الصالحين، وأسعى للغاية التي يعمل لها الصالحون، فأجابه الله تعالى ﴿وَإِنَّهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ لَمِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٢٢﴾﴾ سورة النحل[٤].

﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ لِلۡمُتَّقِينَ ﴿٩٠﴾ وَبُرِّزَتِ ٱلۡجَحِيمُ لِلۡغَاوِينَ ﴿٩١﴾﴾ (سورة الشعراء، الآيتين ٩٠-٩١)

* ﴿وَأُزۡلِفَتِ ٱلۡجَنَّةُ﴾

أي قربت لهم فهم يرونها، وهذا يهون عليهم ما يرونه من مشاهد يوم القيامة التي هم فيها[٥].

---

(١) (في المطبوع١٧/ ١٠٥٩٣-١٠٥٩٤)
(٢) (في المطبوع١٧/ ١٠٥٩٦)
(٣) (في المطبوع١٧/ ١٠٥٩٨)
(٤) (في المطبوع١٧/ ١٠٥٩٨)
(٥) (في المطبوع١٧/ ١٠٦٠٧)

* ﴿وَبُرِّزَتِ الْجَحِيمُ﴾

يرون العذاب الذي نجاهم الله منه(١).

﴿فَكُبْكِبُوا فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ ﴿٩٤﴾﴾ (سورة الشعراء، الآية ٩٤)

* ﴿فَكُبْكِبُوا﴾

أي كبة بعد كبة، كلما نهضوا كبوا فيها مرة أخرى(٢).

﴿وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ ﴿١٠١﴾﴾ (سورة الشعراء، الآية ١٠١)

لم يكتف بقول صديق، بل إن وصف حميم يدل على أن الصداقة القوية لا تنفع اليوم هنا، فكيف الأمر بالصداقة العادية(٣).

﴿كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ ﴿١٠٥﴾﴾ (سورة الشعراء، الآية ١٠٥)

هم كذبوا نوحاً فقط، فكيف يقال أنهم كذبوا المرسلين؟ فيقال: أن كل من كذب رسوله، فقد كذب جميع الرسل، لأن الرسل رسالتهم واحدة، في العقائد والأخلاق، وهذه تكون لازمة في جميع من بعده (تكذيب المرسلين)

أنهم كذبوا من قبله آدم وشيث وإدريس .

أنه لطول مكثه فيهم تسعمائة وخمسين عاماً، فصاروا أجيالاً متعاقبة، وكل جيل كذب بنوح عَلَيْهِ السَّلَامُ، فهم كذبوا المرسلين(٤).

(١) (في المطبوع١٧/ ١٠٦٠٨)
(٢) (في المطبوع١٧/ ١٠٦٠٩)
(٣) (في المطبوع١٧/ ١٠٦١٣)
(٤) (في المطبوع١٧/ ١٠٦١٧)

﴿ إِذۡ قَالَ لَهُمۡ أَخُوهُمۡ نُوحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ١٠٦ ﴾ (سورة الشعراء، الآية ١٠٦)

* ﴿أَخُوهُمۡ نُوحٌ﴾

وصف نوح بأنه أخ لهم، أي إنه منكم تعرفونه، وتعرفون أخلاقه، وشئونه، لم يكذب عليكم قبل ذلك، فمن الأولى أن تصدقوه كما صدقت خديجة وأبوبكر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ، وهو لم يقرأ عليهما شيئًا من القرآن، لأنهما يعلمان صدقه قبل ذلك(١).

* ﴿أَلَا تَتَّقُونَ﴾

أنكر عليهم عدم التقوى، وفي نفس الوقت هي أمر لهم بتقوى الله تعالى(٢).

﴿ وَمَآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ مِنۡ أَجۡرٍۖ إِنۡ أَجۡرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ١٠٩ ﴾ (سورة الشعراء، الآية ١٠٩)

* جميع الأنبياء قالوا لأقوامهم هذا، إلا إبراهيم وموسى عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ، لم يقولا هذه العبارة، والسبب أن الأنبياء لم تنلهم منفعة من أحدٍ من قومهم، يطالبهم بأجر عليها .
* أما إبراهيم وموسى عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ، فقد كان الحال بالنسبة لهما مختلفًا .
* فإبراهيم فناله منفعة من عمه (يرى الشيخ الشعراوي أن المقصود بأب إبراهيم في القرآن هو عمه وليس أباه، فهو يرى أن أباه كان مؤمنًا) فلم يقل (فما سألتكم من أجر).
* أما موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ فقد ناله منفعة من فرعون في نشأته في بيته، ولهذا قال فرعون ﴿ قَالَ أَلَمۡ نُرَبِّكَ فِينَا وَلِيدٗا وَلَبِثۡتَ فِينَا مِنۡ عُمُرِكَ سِنِينَ ١٨ ﴾ (سورة الشعراء، الآية ١٨)

---

(١) (في المطبوع١٧/ ١٠٦١٨)
(٢) (في المطبوع١٧/ ١٠٦٢١)

* فلم يقل هو أيضـًا (فما سألتكم من أجر) لإنه لو قال، سيرد عليه بلى لنا أجر التربية والحضانة والرعاية وغير ذلك[١].

﴿أَتَبۡنُونَ بِكُلِّ رِيعٍ ءَايَةٗ تَعۡبَثُونَ ١٢٨ وَتَتَّخِذُونَ مَصَانِعَ لَعَلَّكُمۡ تَخۡلُدُونَ ١٢٩ وَإِذَا بَطَشۡتُم بَطَشۡتُمۡ جَبَّارِينَ ١٣٠﴾ (سورة الشعراء، الآيات ١٢٨-١٣٠)

* أوصاف قوم عاد في السورة، تدل على أنهم كانوا يريدون العلو والخلود في الدنيا[٢].

﴿قَالَ إِنِّي لِعَمَلِكُم مِّنَ ٱلۡقَالِينَ ١٦٨﴾ (سورة الشعراء، الآية ١٦٨)

* أي الكارهين، فهو لم يكتف باعتزال عملهم، فقد يفهم من اعتزاله أن لا يكره عملهم، بل هو صرح بكرهه لعملهم[٣].

﴿وَإِنَّهُۥ لَفِي زُبُرِ ٱلۡأَوَّلِينَ ١٩٦﴾ (سورة الشعراء، الآية ١٩٦)

* ﴿وَإِنَّهُۥ﴾

الضمير يحتمل أن يعود على:

* القرآن الكريم.
* النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ .
* وزبر الأولين هي كتب الأنبياء، كما جاء في قوله تعالى ﴿إِنَّ هَٰذَا لَفِي ٱلصُّحُفِ ٱلۡأُولَىٰ ١٨ صُحُفِ إِبۡرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ ١٩﴾ سورة الأعلى[٤].

(١) (في المطبوع١٧/ ١٠٦٢٢)
(٢) (في المطبوع١٧/ ١٠٦٣٥)
(٣) (في المطبوع١٧/ ١٠٦٦٢)
(٤) (في المطبوع١٧/ ١٠٦٩٣)

﴿وَمَا تَنَزَّلَتۡ بِهِ ٱلشَّيَٰطِينُ ٢١٠﴾ (سورة الشعراء، الآية ٢١٠)

* هذا ردٌ على قولهم أن القرآن من كلام الشياطين، وهو ردٌ عليهم أيضًا إذ أن القرآن مليء بالتحذير من الشياطين، كما في قوله تعالى
* ﴿وَإِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ لَيُوحُونَ إِلَىٰٓ أَوۡلِيَآئِهِمۡ لِيُجَٰدِلُوكُمۡ﴾ (سورة الأنعام، الآية ١٢١).
* ﴿وَلَا يَصُدَّنَّكُمُ ٱلشَّيۡطَٰنُۖ إِنَّهُۥ لَكُمۡ عَدُوّٞ مُّبِينٞ ٦٢﴾ سورة الزخرف[١].

فائدة

* من أسباب إيراد قصص الأنبياء، أن الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ كل نبي منهم بُعث إلى قوم معينين، ولكل قوم بيئتهم الخاصة، وقضاياهم الخاصة بهم، التي تختلف عن غيرهم، والنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ مبعوث إلى الناس عامة، تختلف بيئاتهم وقضاياهم، فيأخذ النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ من قصص الأنبياء كيف تعامل كل نبي مع قضايا قومه، فيعمل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيۡهِ وَسَلَّمَ مع هذه البيئات كلها، لإنه رسول للناس كافة .



(١) (في المطبوع١٧/ ١٠٧٠١)

﴿ سُورَةُ النَّمْلِ ﴾

﴿طسٓۚ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ١﴾ (سورة النمل، الآية ١)

* ﴿ ٱلۡقُرۡءَانِ وَكِتَابٖ مُّبِينٍ ﴾

إذا عطف الشيء على نفسه، فهناك صفة جديدة منه، كما تقول فلان الشاعر والتاجر والكريم.

ووصف القرآن بأنه (قرآن وكتاب مبين) يدل على أن للقرآن صفتان:

* يقرأ من الصدور.
* يكتب في السطور[1].

﴿أُوْلَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ لَهُمۡ سُوٓءُ ٱلۡعَذَابِ وَهُمۡ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ هُمُ ٱلۡأَخۡسَرُونَ ٥﴾ (سورة النمل، الآية ٥)

* ﴿ٱلۡأَخۡسَرُونَ ﴾

الخاسر هو الذي خسر شيئًا واحداً، أما الأخسر فهو الذي خسر أكثر من شيء، فخسرانه هو دخول النار، وحرمانه من الجنة[2].

﴿إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا سَـَٔاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ ءَاتِيكُم بِشِهَابٖ قَبَسٖ لَّعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ٧﴾ (سورة النمل، الآية ٧)

* القاعدة في قصص الأنبياء عَلَيۡهِمُ ٱلسَّلَامُ ليس استيفاؤها، وإنما لحيصل التثبيت بها، لأنه لو أوردها كاملة لوقع التثبت مرة واحدة واكتفى بذلك،

---

(١) (في المطبوع١٧/ ١٠٧٢٨)

(٢) (في المطبوع١٧/ ١٠٧٣٧)

أما وهي تأتي في كل مرة بصور جديدة، وحكاية جديدة لم يذكرها من قبل، فهذا يكون تثبيتًا آخر[(١)].

* ﴿إِذۡ قَالَ مُوسَىٰ لِأَهۡلِهِۦٓ﴾

أهله هي زوجته، فكيف يقول لها امكثوا بصيغة الجمع؟

والجواب: إما أن يكون معه خدم، فهم في جملة أهله .

أو أن زوجته تقوم بجميع أعمال أهله، من الخدمة، وإنجاب الأبناء، ومساعدة ورعاية بيته وغير ذلك[(٢)].

﴿فَلَمَّا جَآءَهَا نُودِيَ أَنۢ بُورِكَ مَن فِي ٱلنَّارِ وَمَنۡ حَوۡلَهَا وَسُبۡحَٰنَ ٱللَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٨﴾

(سورة النمل، الآية ٨)

* قيل إن النار كانت في غصن من أغصان الشجرة، والنار تزداد اشتعالاً، والشجرة تزداد خضرة.

﴿وَأَلۡقِ عَصَاكَۚ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهۡتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنّٞ وَلَّىٰ مُدۡبِرٗا وَلَمۡ يُعَقِّبۡۚ يَٰمُوسَىٰ لَا تَخَفۡ إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ ٱلۡمُرۡسَلُونَ ١٠ إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ فَإِنِّي غَفُورٞ رَّحِيمٞ ١١﴾ (سورة النمل، الآيتين ١٠-١١)

* ﴿إِلَّا مَن ظَلَمَ ثُمَّ بَدَّلَ حُسۡنَۢا بَعۡدَ سُوٓءٖ﴾

هذا تعريض بموسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ لأنه سبق أن قال ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي ظَلَمۡتُ نَفۡسِي فَٱغۡفِرۡ لِي فَغَفَرَ لَهُۥٓۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلۡغَفُورُ ٱلرَّحِيمُ ١٦﴾ سورة القصص

(١) (في المطبوع١٧/ ١٠٧٣٨)
(٢) (في المطبوع١٧/ ١٠٧٤٠)

في موضوع قتل الفرعوني، وهذا امتنان من الله تعالى على موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ[١].

﴿فَلَمَّا جَآءَتْهُمْ ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً قَالُواْ هَٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ١٣﴾ (سورة النمل، الآية ١٣)

* ﴿ءَايَٰتُنَا مُبْصِرَةً﴾

كأن الآيات تلح على الناس أن يشاهدوها[٢].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ وَسُلَيْمَٰنَ عِلْمًا ۖ وَقَالَا ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ ٱلَّذِى فَضَّلَنَا عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّنْ عِبَادِهِ ٱلْمُؤْمِنِينَ ١٥﴾ (سورة النمل، الآية ١٥)

* ﴿عِلْمًا ۖ﴾

ذكر العلم ولم يذكر الملك، لأن العلم أفضل من الملك، والمرء يعيش بلا ملك، لكنه لا يعيش بلا علم في دينه ودنياه[٣].

﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ١٧﴾ (سورة النمل، الآية ١٧)

* **الحشر**: هو الإتيان من أمكنة بعيدة[٤].

* **يوزعون**: يمنعون، وكيف يمنعون وهم محشورون ؟ المنع للتوازن بين الرعية، فلا يذهب الأول لسليمان ويدخل عليه، قبل أن يأتي الأخير، فيكونون سواسية في الدخول على سليمان عَلَيْهِ السَّلَامُ[٥].

---

(١) (في المطبوع١٧/ ١٠٧٤٨)
(٢) (في المطبوع ١٧/ ١٠٧٥١)
(٣) (في المطبوع١٧/ ١٠٧٥٢)
(٤) (في المطبوع ١٧/ ١٠٧٥٦)
(٥) (في المطبوع١٧/ ١٠٧٥٧)

﴿ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكًا مِّن قَوْلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنْعَمْتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَدْخِلْنِي بِرَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾ ﴾
(سورة النمل، الآية ١٩)

* ﴿ أَوْزِعْنِيٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ﴾

أوزعني معناها امنعني، فكيف يطلب المنع؟

معناه أي امنعني عن الغفلة عن ذكرك وشكرك(١).

﴿أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِي يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ﴾ (سورة النمل، الآية ٢٥)

* ﴿ يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ ﴾

قال ذلك لأنه يستخرج رزقه من باطن الأرض، وليس ظاهرها، ولذلك كان منقاره طويلاً(٢).

﴿وَلَقَدْ أَرْسَلْنَآ إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا أَنِ ٱعْبُدُوا۟ ٱللَّهَ فَإِذَا هُمْ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴿٤٥﴾ ﴾ (سورة النمل، الآية ٤٥)

* ﴿ فَرِيقَانِ يَخْتَصِمُونَ ﴾

كان القياس أن يقول (فريقان يختصمان)، وهذا مثل قوله تعالى ﴿ وَإِن طَآئِفَتَانِ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱقْتَتَلُوا۟ ﴾ (سورة الحجرات، الآية ٩).

فكل أفراد طائفة اقتتلوا مع أفراد الطائفة الأخرى.

وهنا: كل فريق عبارة عن جماعة، والخصومة هنا ليست خصومة فرد، بل

(١) (في المطبوع١٧/ ١٠٧٦١)
(٢) (في المطبوع١٧/ ١٠٧٧٤)

هي خصومة جماعة لجماعة، ومثله قوله تعالى ﴿هَٰذَانِ خَصْمَانِ ٱخْتَصَمُوا۟ فِى رَبِّهِمْ﴾ (سورة الحج، الآية ١٩)[١].

﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ﴿٤٨﴾﴾ (سورة النمل، الآية ٤٨)

* ﴿يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ﴾

أي أنهم ليس لهم عمل صالح آخر، وأن طبيعتهم الفساد والإفساد، لأن الإنسان العادي يفسد شيئًا، ويصلح شيئًا آخر، كما في قوله تعالى ﴿خَلَطُوا۟ عَمَلًا صَٰلِحًا وَءَاخَرَ سَيِّئًا﴾ (سورة التوبة، ١٠٢)[٢].

﴿قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿٤٩﴾﴾ (سورة النمل، الآية ٤٩)

* ﴿قَالُوا۟ تَقَاسَمُوا۟ بِٱللَّهِ﴾

هم يريدون قتله، ويتقاسمون بالله الذي هو مرسل من عنده، وهذا شيء عجيب[٣].

﴿وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِم مَّطَرًا ۖ فَسَآءَ مَطَرُ ٱلْمُنذَرِينَ ﴿٥٨﴾ قُلِ ٱلْحَمْدُ لِلَّهِ وَسَلَٰمٌ عَلَىٰ عِبَادِهِ ٱلَّذِينَ ٱصْطَفَىٰٓ ۗ ءَآللَّهُ خَيْرٌ أَمَّا يُشْرِكُونَ ﴿٥٩﴾﴾ (سورة النمل، الآيتين ٥٨-٥٩)

* مناسبة هذه الآية في هذا الموضع بعد هلاك قوم لوط، أن الأرض حين تطهر من الفاسدين والأشرار، فهي نعمة تستحق الشكر والحمد، كما قال سبحانه

(١) (في المطبوع١٧/ ١٠٧٩٥)
(٢) (في المطبوع١٧/ ١٠٨٠٠)
(٣) (في المطبوع١٧/ ١٠٨٠١)

﴿فَقُطِعَ دَابِرُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ ظَلَمُواْۚ وَٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ رَبِّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ﴿٤٥﴾﴾ سورة الأنعام

* وفي قوله تعالى ﴿فَإِذَا ٱسۡتَوَيۡتَ أَنتَ وَمَن مَّعَكَ عَلَى ٱلۡفُلۡكِ فَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ ٱلَّذِي نَجَّىٰنَا مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٨﴾﴾ سورة المؤمنون

* فالله عَزَّوَجَلَّ يُحمد على هلاك الأشرار، ونجاة الأخيار[١].

﴿أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم مِّنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءٗ فَأَنۢبَتۡنَا بِهِۦ حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ مَّا كَانَ لَكُمۡ أَن تُنۢبِتُواْ شَجَرَهَآۗ أَءِلَٰهٞ مَّعَ ٱللَّهِۚ بَلۡ هُمۡ قَوۡمٞ يَعۡدِلُونَ ﴿٦٠﴾﴾ (سورة النمل، الآية ٦٠)

مناسبة الآيات لما قبلها.

* هذه الآيات تتكلم عن وحدانية الله تعالى، بعد هلاك أعداء الأنبياء، فأراد الله من المؤمنين أن يتذكروا القضية الأولى، وهي الإيمان بالله تعالى، ودلائل وحدانيته، فتنهض نفوسهم لمبارزة أعداء الله تعالى، لأن القضية قضية إيمانية، وليست مجرد نزهة[٢].

* ﴿حَدَآئِقَ ذَاتَ بَهۡجَةٖ﴾

أراد الله تعالى بهذه الآية أن يخبرنا أنه عَزَّوَجَلَّ اهتم بما يهذب الأرواح، ويرقق المشاعر، كما اهتم بضرورات الحياة من القمح والرطب وغيرها، فهذه الحدائق التي تهذب المشاعر والنفوس هي من الله تعالى، فانظروا إليها قبل أكلها، كما قال في آية أخرى ﴿ٱنظُرُوٓاْ إِلَىٰ ثَمَرِهِۦٓ إِذَآ أَثۡمَرَ وَيَنۡعِهِۦٓ﴾ (سورة الأنعام، الآية ٩٩)[٣].

---

(١) (في المطبوع١٧/ ١٠٨٠٧)

(٢) (في المطبوع١٧/ ١٠٨١٢)

(٣) (في المطبوع١٧/ ١٠٨١٣)

* ﴿فَأَنۢبَتۡنَا﴾

الآية بدأت بضمير الفرد ﴿أَمَّنۡ خَلَقَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضَ وَأَنزَلَ لَكُم﴾ ثم جاء بضمير الفاعلين في قوله ﴿فَأَنۢبَتۡنَا﴾، فهو سبحانه يذكر ما يخصه، ولا يشاركه فيه أحد، ويذكر أيضـًا ما يكون للخلق جهد فيه، فالحدائق مثلاً هناك من حرث، وهناك من سقى، وهناك من بذر، وغيرها من الأعمال[(١)].

﴿وَمَا مِنۡ غَآئِبَةٖ فِي ٱلسَّمَآءِ وَٱلۡأَرۡضِ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٍ ٧٥﴾ (سورة النمل، الآية ٧٥)

* ﴿غَآئِبَةٖ﴾

* التاء هنا ليست تاء التأنيث، بل هي تاء المبالغة كقولك علامة[(٢)].

﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ أَخۡرَجۡنَا لَهُمۡ دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ أَنَّ ٱلنَّاسَ كَانُواْ بِـَٔايَٰتِنَا لَا يُوقِنُونَ ٨٢﴾ (سورة النمل، الآية ٨٢)

* ﴿وَإِذَا وَقَعَ ٱلۡقَوۡلُ عَلَيۡهِمۡ﴾

الوقع: الشيء الشديد .

وكل وقع في القرآن هو وقع شديد، إلا في قوله تعالى ﴿وَمَن يَخۡرُجۡ مِنۢ بَيۡتِهِۦ مُهَاجِرًا إِلَى ٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ يُدۡرِكۡهُ ٱلۡمَوۡتُ فَقَدۡ وَقَعَ أَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ١٠٠﴾ سورة النساء[(٣)].

* ﴿دَآبَّةٗ مِّنَ ٱلۡأَرۡضِ تُكَلِّمُهُمۡ﴾

والمعنى أنهم لم يسمعوا من البشر الذين هم مثلهم، فكان عليهم أن يسمعوا

(١) (في المطبوع١٧/ ١٠٨١٤)
(٢) (في المطبوع١٧/ ١٠٨٤٢)
(٣) (في المطبوع١٧/ ١٠٨٥٠)

من دابة، والدابة أقل منهم، وهذا من باب التحقير لهم[١].

﴿أَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّا جَعَلۡنَا ٱلَّيۡلَ لِيَسۡكُنُواْ فِيهِ وَٱلنَّهَارَ مُبۡصِرًاۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٨٦﴾ (سورة النمل، الآية ٨٦)

* جاء بهذه الآيات التي تتحدث عن الكون، بعد الكلام عن الآخرة، ليبين أنه لا عذر لهم في إنكار الآخرة، وهذه الآيات أمام أعينهم، تدل على وحدانية الله تعالى[٢].

﴿إِنَّمَآ أُمِرۡتُ أَنۡ أَعۡبُدَ رَبَّ هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا وَلَهُۥ كُلُّ شَيۡءٖۖ وَأُمِرۡتُ أَنۡ أَكُونَ مِنَ ٱلۡمُسۡلِمِينَ ٩١﴾ (سورة النمل، الآية ٩١)

* مناسبة هذه الآية لما قبلها ﴿مَن جَآءَ بِٱلۡحَسَنَةِ فَلَهُۥ خَيۡرٞ مِّنۡهَا وَهُم مِّن فَزَعٖ يَوۡمَئِذٍ ءَامِنُونَ ٨٩ وَمَن جَآءَ بِٱلسَّيِّئَةِ فَكُبَّتۡ وُجُوهُهُمۡ فِي ٱلنَّارِ هَلۡ تُجۡزَوۡنَ إِلَّا مَا كُنتُمۡ تَعۡمَلُونَ ٩٠﴾

* أنكم كما أمرتم بالتكاليف والأحكام، فإني لا أتميز عنكم بشيء، فأنا ملتزمٌ بها كما أنتم ملتزمون بها، لا فرق بيني وبينكم[٣].

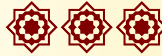
* ﴿هَٰذِهِ ٱلۡبَلۡدَةِ ٱلَّذِي حَرَّمَهَا﴾

الحكمة من تحريم القتال في الأشهر الحرم، هي أن يتذوق الناس حلاوة السلام، ويراجعوا أنفسهم، ويتأملوا في دعوة هذا الدين فيؤمنوا به[٤].

(١) (في المطبوع ١٧/ ١٠٨٥١)
(٢) (في المطبوع١٧/ ١٠٨٥٤)
(٣) (في المطبوع١٧/ ١٠٨٦٢)
(٤) (في المطبوع١٧/ ١٠٨٦٤)

﴿وَقُلِ ٱلۡحَمۡدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمۡ ءَايَٰتِهِۦ فَتَعۡرِفُونَهَاۚ وَمَا رَبُّكَ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعۡمَلُونَ ﴿٩٣﴾﴾ (سورة النمل، الآية ٩٣)

* بعد أن عبدت ربك وتلوت القرآن، وعرفت الأحكام والخير والشر، فعليك أن تحمد الله تعالى فجاءت نهاية السورة بهذه الآيات، حثّاً على حمد الله وشكره[١].



(١) (في المطبوع١٧/ ١٠٨٦٦)

﴿ سُورَةُ القَصَصِ ﴾

﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ۝٦﴾ (سورة القصص، الآية ٦)

* ﴿وَجُنُودَهُمَا﴾

هل كان لهامان جنود؟

قد يكون له جنود خاصين به .

أو هم جنود فرعون، لكنهم يأتمرون بأمر هامان، الذي هو أمر فرعون، أو يكون لهامان سلطة شبيهة بفرعون(١).

﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِي وَلَا تَحْزَنِيٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ۝٧﴾ (سورة القصص، الآية ٧)

في الآية :

* **أمران:** أرضعيه، ألقيه
* **نهيان:** لا تخافي، لا تحزني
* **خبران وبشارتان:** رادوه عليك، جاعلوه من المرسلين .
* ﴿وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ﴾

أي أن الحفظ ليس لأجلك، بل إن له مهمة أعظم، وهي الرسالة(٢).

---

(١) (في المطبوع١٧/ ١٠٨٧٧)

(٢) (في المطبوع١٧/ ١٠٨٨٢)

﴿وَقَالَتِ ٱمۡرَأَتُ فِرۡعَوۡنَ قُرَّتُ عَيۡنٖ لِّي وَلَكَۖ لَا تَقۡتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوۡ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدٗا وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ٩﴾ (سورة القصص، الآية ٩)

* قيل إن فرعون وافق على بقاء موسى لرغبة زوجته، ورغبة ابنته، التي كانت برصاء، ورأت في منامها أن شفاءها بشيء يخرج من البحر، فلما جاء موسى أخذت من ريقه ووضعته على جلدها فشفيت، وتمسكتا به، فوافق فرعون على ذلك، وفي هذا إشارة إلى تأثير الزوجة والولد على صاحب الأمر، لأجل هذا نزه الله تعالى نفسه عن ذلك، أن يؤثر عليه أحد، و تكون هناك مراكز قوى تغير من أمره كما قال تعالى ﴿وَأَنَّهُۥ تَعَٰلَىٰ جَدُّ رَبِّنَا مَا ٱتَّخَذَ صَٰحِبَةٗ وَلَا وَلَدٗا ٣﴾ سورة الجن[١].

﴿وَقَالَتۡ لِأُخۡتِهِۦ قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ بِهِۦ عَن جُنُبٖ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ١١﴾ (سورة القصص، الآية ١١)

* ﴿فَبَصُرَتۡ بِهِۦ﴾

معناها رأته، ولكن معنى الإبصار يختلف عن معنى الرؤية، فالإبصار أنها رأته دون أن يرى أحد أنها رأته، وهذا عكس الرؤيا، بدليل قول الله تعالى عن السامري ﴿قَالَ بَصُرۡتُ بِمَا لَمۡ يَبۡصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضۡتُ قَبۡضَةٗ مِّنۡ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذۡتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتۡ لِي نَفۡسِي ٩٦﴾ سورة طه[٢].

* ﴿قُصِّيهِۖ فَبَصُرَتۡ﴾

ولم يقل (قصيه فقصته فبصرت به) وهو يدل على سرعة في الامتثال، وتلهف

(١) (في المطبوع١٧/ ١٠٨٨٤-١٠٨٨٥)
(٢) (في المطبوع١٧/ ١٠٨٩٣)

على معرفة حال موسى عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ[١].

﴿ وَدَخَلَ ٱلۡمَدِينَةَ عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيۡنِ يَقۡتَتِلَانِ هَٰذَا مِن شِيعَتِهِۦ وَهَٰذَا مِنۡ عَدُوِّهِۦۖ فَٱسۡتَغَٰثَهُ ٱلَّذِي مِن شِيعَتِهِۦ عَلَى ٱلَّذِي مِنۡ عَدُوِّهِۦ فَوَكَزَهُۥ مُوسَىٰ فَقَضَىٰ عَلَيۡهِۖ قَالَ هَٰذَا مِنۡ عَمَلِ ٱلشَّيۡطَٰنِۖ إِنَّهُۥ عَدُوّٞ مُّضِلّٞ مُّبِينٞ ١٥ ﴾ (سورة القصص، الآية ١٥)

* ﴿عَلَىٰ حِينِ غَفۡلَةٖ مِّنۡ أَهۡلِهَا﴾

وقت القيلولة، ولم يدخلها ليلاً، ليتبين له الطريق، وكان ممنوعًا عليهم دخول مدن بني إسرائيل[٢].

﴿وَلَمَّا تَوَجَّهَ تِلۡقَآءَ مَدۡيَنَ قَالَ عَسَىٰ رَبِّيٓ أَن يَهۡدِيَنِي سَوَآءَ ٱلسَّبِيلِ ٢٢﴾ (سورة القصص، الآية ٢٢)

دعاؤه هذا يدل على أنه لم يكن يقصد مدين، لكنه الطريق الذي وجده وهو خارج من مصر، وانتهى به إلى مدين[٣].

﴿ وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةٗ مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ٢٣﴾ (سورة القصص، الآية ٢٣)

نأخذ من هذه الآية ما يتعلق بعمل المرأة :

* أن المرأة لا تختلط مع الرجال للعمل .

---

(١) (في المطبوع١٧/ ١٠٨٩٢)
(٢) (في المطبوع١٧/ ١٠٨٩٧)
(٣) (في المطبوع١٧/ ١٠٩٠٢)

* أنها إن عملت معهم، فتعمل للضرورة فقط .

* أن هذه الضرورة تقدر بقدرها، لا تتجاوزها للتوسع في هذا الأمر[١] .

﴿فَجَآءَتۡهُ إِحۡدَىٰهُمَا تَمۡشِي عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ قَالَتۡ إِنَّ أَبِي يَدۡعُوكَ لِيَجۡزِيَكَ أَجۡرَ مَا سَقَيۡتَ لَنَاۚ فَلَمَّا جَآءَهُۥ وَقَصَّ عَلَيۡهِ ٱلۡقَصَصَ قَالَ لَا تَخَفۡۖ نَجَوۡتَ مِنَ ٱلۡقَوۡمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ٢٥﴾ (سورة القصص، الآية ٢٥)

* ﴿عَلَى ٱسۡتِحۡيَآءٖ﴾

أي على غير رغبة منها، فهي لا تحب أن تكلم رجلاً أجنبياً عنها .

﴿قَالَتۡ إِحۡدَىٰهُمَا يَٰٓأَبَتِ ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُۖ إِنَّ خَيۡرَ مَنِ ٱسۡتَـٔۡجَرۡتَ ٱلۡقَوِيُّ ٱلۡأَمِينُ ٢٦﴾

(سورة القصص، الآية ٢٦)

* ﴿ٱسۡتَـٔۡجِرۡهُ﴾

دل على أنها لا تحب الخروج، بل إنها فرحت بوجود رجل يكفيها مؤنة الخروج والعمل[٢] .

﴿قَالَ إِنِّيٓ أُرِيدُ أَنۡ أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ عَلَىٰٓ أَن تَأۡجُرَنِي ثَمَٰنِيَ حِجَجٖۖ فَإِنۡ أَتۡمَمۡتَ عَشۡرٗا فَمِنۡ عِندِكَۖ وَمَآ أُرِيدُ أَنۡ أَشُقَّ عَلَيۡكَۚ سَتَجِدُنِيٓ إِن شَآءَ ٱللَّهُ مِنَ ٱلصَّٰلِحِينَ ٢٧﴾ (سورة القصص، الآية ٢٧)

* ﴿أُنكِحَكَ إِحۡدَى ٱبۡنَتَيَّ هَٰتَيۡنِ﴾

لما رأى الأب أن موسى سيكون أجيراً، ويتردد على البيت، ويرى البنتين،

(١) (في المطبوع١٧/ ١٠٩٠٤)

(٢) (في المطبوع١٧/ ١٠٩٠٨)

فرأى من الخير له ولموسى أن يزوجه إحدى بنتيه، ليرفع الحرج عنه وعن موسى[١].

﴿فَلَمَّا قَضَىٰ مُوسَى ٱلۡأَجَلَ وَسَارَ بِأَهۡلِهِۦٓ ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ ٢٩﴾ (سورة القصص، الآية ٢٩)

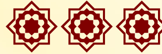
* ﴿ءَانَسَ مِن جَانِبِ ٱلطُّورِ نَارٗاۖ قَالَ لِأَهۡلِهِ ٱمۡكُثُوٓاْ إِنِّيٓ ءَانَسۡتُ نَارٗا﴾)

رؤيته للنار دون أهله يدل على أنه رأى ناراً غير عادية، بحيث لم يراها أهله[٢].

* ﴿لَّعَلِّيٓ ءَاتِيكُم مِّنۡهَا بِخَبَرٍ أَوۡ جَذۡوَةٖ مِّنَ ٱلنَّارِ لَعَلَّكُمۡ تَصۡطَلُونَ﴾

يدل على أحد أمرين:

* أنهم ربما كانوا ضائعين.
* أنهم كانوا في برد شديد يستدفئون من النار[٣].



(١) (في المطبوع١٧/ ١٠٩٠٩)
(٢) (في المطبوع١٨/ ١٩٠١٢)
(٣) (في المطبوع١٨/ ١٠٩١٣)

سُورَةُ العَنكَبُوتِ

﴿فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِۦٓ إِلَّآ أَن قَالُواْ ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنجَىٰهُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلنَّارِۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٢٤﴾﴾ (سورة العنكبوت، الآية ٢٤)

* ﴿ٱقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ﴾

الاختلاف في القول يحتمل ثلاثة أوجه:

* القول بالقتل هو لكبارهم، والتحريق لصغارهم
* التحريق بمعنى القتل، فلعله إن مسه حر النار أن يتراجع.
* أن القولين منهم جميعاً، فمنهم من ينادي بالقتل، ومنهم من ينادي بالحرق[1].

* ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَأَيَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ﴾

هنا قال ﴿لَأَيَٰتٍ﴾ وفي قصة نوح قال ﴿وَجَعَلْنَٰهَآ ءَايَةً لِّلْعَٰلَمِينَ﴾ (سورة العنكبوت، الآية ١٥)

وذلك لأن نوح صنع السفينة أمامهم، وكان يعلم ويعلمون ما الذي سيقع.

أما إبراهيم فقد وقع كل شيء بدون علم أحد، لا من إبراهيم ولا من قومه[2].

﴿قَالَ إِنَّ فِيهَا لُوطًاۚ قَالُواْ نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَن فِيهَاۖ لَنُنَجِّيَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥٓ إِلَّا ٱمْرَأَتَهُۥ كَانَتْ مِنَ ٱلْغَٰبِرِينَ ﴿٣٢﴾﴾ (سورة العنكبوت، الآية ٣٢)

---

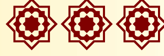
(١) (في المطبوع١٨/ ١١١٢٦)
(٢) (في المطبوع١٨/ ١١١٢٧)

* ﴿ٱلۡغَـٰبِرِينَ﴾

وصفت أنها من الغابرين، والغابر يحتمل معنيين:

* الذهاب، فهي ذاهبة مع أهل العذاب فيما ينالهم .

* البقاء، فهي باقية مع أهل العذاب، ولن تذهب مع لوطٍ وأهله، وهذا الوصف من بدائع القرآن[١].



(١) (في المطبوع١٨/ ١١١٤٨)

﴿ سُورَةُ الرُّومِ ﴾

﴿ ٱللَّهُ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ ثُمَّ إِلَيۡهِ تُرۡجَعُونَ ﴿١١﴾ ﴾ (سورة الروم، الآية ١١)

* ﴿ يَبۡدَؤُاْ ٱلۡخَلۡقَ ﴾

الفعل ﴿يَبۡدَؤُاْ﴾ جاءت بالمضارع، إشارة إلى أن خلق الله مستمر، ولا يتوقف[١].

﴿ فَأَقِمۡ وَجۡهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفٗاۚ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ٱلَّتِي فَطَرَ ٱلنَّاسَ عَلَيۡهَاۚ لَا تَبۡدِيلَ لِخَلۡقِ ٱللَّهِۚ ذَٰلِكَ ٱلدِّينُ ٱلۡقَيِّمُ وَلَٰكِنَّ أَكۡثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعۡلَمُونَ ﴿٣٠﴾ ﴾ (سورة الروم، الآية ٣٠)

* ﴿ فِطۡرَتَ ٱللَّهِ ﴾

جاءت بالنصب، والأصل أن تأتي بالضم، والسبب أنها نصبت بفعلٍ تقديره الزم فطرة الله التي فطر الناس عليها[٢].

﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ فَرِحُواْ بِهَاۖ وَإِن تُصِبۡهُمۡ سَيِّئَةُۢ بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ إِذَا هُمۡ يَقۡنَطُونَ ﴿٣٦﴾ ﴾ (سورة الروم، الآية ٣٦)

* ﴿ وَإِذَآ أَذَقۡنَا ٱلنَّاسَ رَحۡمَةٗ ﴾

في الرحمة جاءت بـ (إذا) التي تفيد التحقيق و الكثرة، وفي المصيبة جاء بـ (إن) التي تفيد الشك والقلة، وهذا ما يشاهده الإنسان في حياته، فالنعم كثيرة، والمصائب قليلة[٣].

---

(١) (في المطبوع١٨/ ١١٣٣٠)
(٢) (في المطبوع١٨/ ١١٤١٧)
(٣) (في المطبوع١٨/ ١١٤٤٣)

* ﴿بِمَا قَدَّمَتۡ أَيۡدِيهِمۡ﴾

في الرحمة لم يذكر السبب، وفي المصيبة ذكر السبب، وهو الذنوب، لأن الرحمة فضل منه، والمصيبة منكم وبسبب أعمالكم[١].

﴿أَوَلَمۡ يَرَوۡاْ أَنَّ ٱللَّهَ يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّقَوۡمٖ يُؤۡمِنُونَ ٣٧﴾ (سورة الروم، الآية ٣٧)

* ﴿يَبۡسُطُ ٱلرِّزۡقَ لِمَن يَشَآءُ وَيَقۡدِرُ﴾

في البسط قال لمن يشاء، حتى يطمع الجميع في البسط، وفي التقدير لم يقل لمن يشاء، ليفرق بينهما، وتبعد الظن عن أن يصيبك القدر في الرزق[٢].

﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِۚ ذَٰلِكَ خَيۡرٞ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجۡهَ ٱللَّهِۖ وَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡمُفۡلِحُونَ ٣٨﴾ (سورة الروم، الآية ٣٨)

* ﴿فَـَٔاتِ ذَا ٱلۡقُرۡبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلۡمِسۡكِينَ وَٱبۡنَ ٱلسَّبِيلِ﴾

هؤلاء عطاؤهم من غير الزكاة ورتبهم حسب الأهمية[٣].

﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ فِي ٱلۡبَرِّ وَٱلۡبَحۡرِ بِمَا كَسَبَتۡ أَيۡدِي ٱلنَّاسِ لِيُذِيقَهُم بَعۡضَ ٱلَّذِي عَمِلُواْ لَعَلَّهُمۡ يَرۡجِعُونَ ٤١﴾ (سورة الروم، الآية ٤١)

* ﴿ظَهَرَ ٱلۡفَسَادُ﴾

الظهور: رؤية ما لم يكن مرئياً، فهو كان موجوداً، لكن أهل الفساد أظهروه،

(١) (في المطبوع١٨/ ١١٤٤٤)
(٢) (في المطبوع١٨/ ١١٤٤٩)
(٣) (في المطبوع١٨/ ١١٤٥١)

كانوا يخفونه حتى ظهر رغماً عنهم .

وتأتي (ظهر) بمعنى غلب كما قال تعالى ﴿فَأَصْبَحُوا۟ ظَـٰهِرِينَ ١٤﴾ سورة الصف

وتأتي بمعنى العلو كما قال تعالى ﴿فَمَا ٱسْطَـٰعُوٓا۟ أَن يَظْهَرُوهُ﴾ (سورة الكهف، الآية ٩٧

أي يعلوه[١].

﴿مَن كَفَرَ فَعَلَيْهِ كُفْرُهُۥ ۖ وَمَنْ عَمِلَ صَـٰلِحًا فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ ٤٤﴾ (سورة الروم، الآية ٤٤

جاء بالكفر ولم يأت بالإيمان، وإنما جاء بثمرته وهو العمل الصالح[٢].

* ﴿فَلِأَنفُسِهِمْ يَمْهَدُونَ﴾

بالجمع والأصل أن يقول (لنفسه يمهد) والسبب أن المؤمن يعمل الصالحات لنفسه ولذريته كما في قوله ﴿وَٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَٱتَّبَعَتْهُمْ ذُرِّيَّتُهُم بِإِيمَـٰنٍ أَلْحَقْنَا بِهِمْ ذُرِّيَّتَهُمْ وَمَآ أَلَتْنَـٰهُم مِّنْ عَمَلِهِم مِّن شَىْءٍ ۚ كُلُّ ٱمْرِئٍۭ بِمَا كَسَبَ رَهِينٌ ٢١﴾ سورة الطور[٣].

وفيها معنى آخر، فهم يمهدون لأنفسهم فراشاً في الآخرة بعملهم الصالح، كما يمهد الفراش للطفل[٤].

﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا لَّظَلُّوا۟ مِنۢ بَعْدِهِۦ يَكْفُرُونَ ٥١﴾ (سورة الروم، الآية ٥١

* ﴿وَلَئِنْ أَرْسَلْنَا رِيحًا﴾

* جاءت بإن التي تدل على القلة.

* جاءت بالماضي الذي يدل على الانتهاء، وفي الخير جاءت بالمضارع

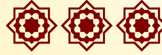
(١) (في المطبوع١٨/ ١١٤٧١)
(٢) (في المطبوع١٨/ ١١٤٨٨)
(٣) (في المطبوع١٨/ ١١٤٩٢)
(٤) (في المطبوع١٨/ ١١٤٩٣)

الذي يدل على التجدد والاستمرار كما قال تعالى ﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى يُرْسِلُ ٱلرِّيَـٰحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَيَبْسُطُهُۥ فِى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ يَشَآءُ وَيَجْعَلُهُۥ كِسَفًا فَتَرَى ٱلْوَدْقَ يَخْرُجُ مِنْ خِلَـٰلِهِۦ ۖ فَإِذَآ أَصَابَ بِهِۦ مَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦٓ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ ﴿٤٨﴾﴾ (سورة الروم، الآية ٤٨)

* جاءت مفردة (ريحًا).
* وهذا يدل على قلتها، وأن الأصل هو إرسال الريح بالخير[(١)].

﴿ٱللَّهُ ٱلَّذِى خَلَقَكُم مِّن ضَعْفٍ ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ ضَعْفٍ قُوَّةً ثُمَّ جَعَلَ مِنۢ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً ۚ يَخْلُقُ مَا يَشَآءُ ۖ وَهُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْقَدِيرُ ﴿٥٤﴾﴾ (سورة الروم، الآية ٥٤)

بعد أن تكلم عن الآيات الكونية، شرع يتكلم عن الآيات التي في نفوس الناس[(٢)].



(١) (في المطبوع١٨/ ١١٥١٩)
(٢) (في المطبوع١٨/ ١١٥٢٨)

﴿ سُورَةُ لُقْمَانَ ﴾

﴿الٓمٓ ﴿١﴾ تِلۡكَ ءَايَٰتُ ٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡحَكِيمِ ﴿٢﴾ هُدٗى وَرَحۡمَةٗ لِّلۡمُحۡسِنِينَ ﴿٣﴾﴾ (سورة لقمان، الآيات ١-٣)

القرآن وصف بأنه قرآن يحفظ في الصدور، وكتاب يحفظ في السطور، وفرقان يفرق بين الحق والباطل[(١)].

والقرآن هدى لمن كان ضالاً فيهديه، ورحمة لكي لا يضل أحدٌ، كقوله تعالى ﴿قُلۡ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُواْ هُدٗى وَشِفَآءٞۚ﴾ (سورة فصلت، الآية ٤٤)[(٢)].

﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ أَنِ ٱشۡكُرۡ لِلَّهِۚ وَمَن يَشۡكُرۡ فَإِنَّمَا يَشۡكُرُ لِنَفۡسِهِۦۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ ٱللَّهَ غَنِيٌّ حَمِيدٞ ﴿١٢﴾﴾ (سورة لقمان، الآية ١٢)

* ﴿وَلَقَدۡ ءَاتَيۡنَا لُقۡمَٰنَ ٱلۡحِكۡمَةَ﴾

قبلها تكلم الله عَزَّوَجَلَّ عن آياته في الكون التي أوجد للإنسان قوامه، وهنا شرع يتكلم عما أوجده الله في الإنسان، ما يقيم به قيمه وأخلاقه.

لقمان الصحيح أنه لم يكن نبياً، بل هو رجل صالح، وتسمية سورة في القرآن باسمه يدل على أن الإنسان إذا اعتدل مع الله تعالى وأخلص في طاعته، فإن الله يفيض عليه من فضله الواسع، فيكون له ذكر مع الأنبياء والمرسلين[(٣)].

لقمان كان رجلاً أسود، شفاهه غليظة، عاش في زمن داوود عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ[(٤)].

(١) (في المطبوع١٨/ ١١٥٦٨)
(٢) (في المطبوع١٨/ ١١٥٧١)
(٣) (في المطبوع١٩/ ١١٦١٥)
(٤) (في المطبوع١٩/ ١١٦١٣-١١٦١٧)

* ﴿غَنِيٌّ حَمِيدٌ﴾

جاءت كلمة ﴿حَمِيدٌ﴾ بعد ﴿غَنِيٌّ﴾ حتى يعلم الكافر أن الله لم يقطع نعمه عليه وهو كافر، فيحمد الله على هذه النعمة(١).

﴿وَإِذْ قَالَ لُقْمَٰنُ لِٱبْنِهِۦ وَهُوَ يَعِظُهُۥ يَٰبُنَىَّ لَا تُشْرِكْ بِٱللَّهِ ۖ إِنَّ ٱلشِّرْكَ لَظُلْمٌ عَظِيمٌ ﴿١٣﴾﴾ (سورة لقمان، الآية ١٣)

الأب ينصح ابنه لأمرين:

* أنه الشخص الوحيد الذي يحب أن يكون أفضل منه .
* أنه يتمنى أن يحصل ابنه على ما لم يحصل عليه هو من الخير(٢).

* ﴿يَٰبُنَىَّ﴾

بالترقيق ولم يقله بالفتح ﴿يَٰبُنَىَّ﴾.

وصغره تصغير تلطيف، لأنه بحاجة إلى النصح والتوجيه، لا يكبر عنهما(٣).

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ وَفِصَٰلُهُۥ فِى عَامَيْنِ أَنِ ٱشْكُرْ لِى وَلِوَٰلِدَيْكَ إِلَىَّ ٱلْمَصِيرُ ﴿١٤﴾ وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا ۖ وَصَاحِبْهُمَا فِى ٱلدُّنْيَا مَعْرُوفًا ۖ وَٱتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَىَّ ۚ ثُمَّ إِلَىَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿١٥﴾﴾ (سورة لقمان، الآيتين ١٤-١٥)

هذه الوصية هي من كلام الله عَزَّوَجَلَّ وليست من كلام لقمان، بدليل قوله تعالى ﴿وَإِن جَٰهَدَاكَ عَلَىٰٓ أَن تُشْرِكَ بِى﴾، فكان من إكرام الله تعالى للقمان أن ساق

(١) (في المطبوع١٩/ ١١٦٣٤)
(٢) (في المطبوع١٩/ ١١٦٣٦)
(٣) (في المطبوع١٩/ ١١٦٣٦)

الوصية بعد وصيته، فجاءت وكأنها حكاية عنه[(١)].

* ﴿ وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ ﴾

وردت (إحسانًا) في خمسة مواضع من القرآن الكريم، ووردت (حُسنا) مرة واحدة في العنكبوت. ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ حُسْنًاۖ وَإِن جَٰهَدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِۦ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَآۚ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٨﴾﴾ سورة العنكبوت.

وهنا وردت الوصية بدون (إحسانًا) و(حسنا)

والفرق بينهما:

حسنا: هي مبالغة، وقد جاءت في مسألة أصعب، وهي دعوته إلى الكفر، فيأتي بالحسن في أعلى تأكيداته، وهو (حُسنا) وليس (إحسانا)[(٢)].

* ﴿حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾

الوصية أكثرها للأم، لأن عمل الأم للابن يكون قبل أن يدرك ذلك، فهي تقوم بالرضاع والخدمة والإطعام وغيرها، أما عمل الأب لابنه فهو يكون بعد إدراكه، فهو يرى فضل أبيه، ولم ير فضل أمه لصغره وعدم إدراكه، من أجل ذلك كله كانت الوصية بالأم أعظم من الوصية بالأب[(٣)].

* ﴿وَهْنًا عَلَىٰ وَهْنٍ ﴾

أي ضعفًا على ضعف، فهي ضعيفة والحمل زادها ضعفًا[(٤)].

---

(١) (في المطبوع١٩/ ١١٦٣٨)
(٢) (في المطبوع١٩/ ١١٦٤٠)
(٣) (في المطبوع١٩/ ١١٦٤١)
(٤) (في المطبوع١٩/ ١١٦٤١)

﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾ ﴾
(سورة لقمان، الآية ١٩)

* ﴿ وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ﴾

جاء بهذين الأمرين، لأن الإنسان يسعى إلى مطلوبه، إما ماشياً، أو يناديه بصوته، وعليه في الحالين أن يكون معتدلاً فيهما[(١)].

﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ إِلَيْنَا مَرْجِعُهُمْ فَنُنَبِّئُهُم بِمَا عَمِلُوٓا۟ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌۢ بِذَاتِ ٱلصُّدُورِ ﴿٢٣﴾ ﴾ (سورة لقمان، الآية ٢٣)

* ﴿ وَمَن كَفَرَ فَلَا يَحْزُنكَ كُفْرُهُۥٓ ﴾

الله عَلِم أن نبيه صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ يتمنى لو آمنت أمته كلها، فتأتي هذه الآيات تواسيه، وكل عتب في القرآن للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، هو لصالحه وليس عليه[(٢)].

﴿ أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ كُلٌّ يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى وَأَنَّ ٱللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ ﴿٢٩﴾ ﴾ (سورة لقمان، الآية ١)

* ﴿يُولِجُ ٱلَّيْلَ فِى ٱلنَّهَارِ وَيُولِجُ ٱلنَّهَارَ فِى ٱلَّيْلِ وَسَخَّرَ ٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ﴾

في الليل والنهار جاء بالفعل المضارع ﴿يُولِجُ﴾ لأنه عملية يومية، وفي الشمس والقمر جاء بالفعل الماضي ﴿ وَسَخَّرَ ﴾ أي سُخِر مرة واحدة، واستقر على ذلك[(٣)].

* ﴿يَجْرِىٓ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى﴾

---

(١) (في المطبوع١٩/ ١١٦٧٦)
(٢) (في المطبوع١٩/ ١١٧١٠)
(٣) (في المطبوع١٩/ ١١٧٤٠)

﴿إِلَىٰٓ أَجَلٖ مُّسَمّٗى﴾: يعطينا صورته وهو يمشي، قبل وصوله إلى الأجل.

لأجل مسمى: يعطينا صورته وقد وصل الأجل[١].

﴿أَلَمۡ تَرَ أَنَّ ٱلۡفُلۡكَ تَجۡرِي فِي ٱلۡبَحۡرِ بِنِعۡمَتِ ٱللَّهِ لِيُرِيَكُم مِّنۡ ءَايَٰتِهِۦٓۚ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَأٓيَٰتٖ لِّكُلِّ صَبَّارٖ شَكُورٖ ٣١﴾ (سورة لقمان، الآية ٣١)

* ﴿صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾

صبر لما رأى الأهوال في البحر، ثم شكر الله تعالى على نعمته، التي لم يرها من قبل[٢].

* ﴿صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾

تقديم الصبر على الشكر، يفهم منه أن الإنسان إذا صبر على مصاعب البحث والاستنباط والعمل، فإنه تظهر له نعم كثيرة سيؤدي شكرها[٣].

﴿وَإِذَا غَشِيَهُم مَّوۡجٞ كَٱلظُّلَلِ دَعَوُاْ ٱللَّهَ مُخۡلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ فَلَمَّا نَجَّىٰهُمۡ إِلَى ٱلۡبَرِّ فَمِنۡهُم مُّقۡتَصِدٞۚ وَمَا يَجۡحَدُ بِـَٔايَٰتِنَآ إِلَّا كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ ٣٢﴾ (سورة لقمان، الآية ٣٢)

* ﴿كُلُّ خَتَّارٖ كَفُورٖ﴾

الختار هو الغدار، وجاءت مقابلة لقوله ﴿صَبَّارٖ شَكُورٖ﴾[٤].

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ٱتَّقُواْ رَبَّكُمۡ وَٱخۡشَوۡاْ يَوۡمٗا لَّا يَجۡزِي وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ وَلَا مَوۡلُودٌ هُوَ جَازٍ عَن وَالِدِهِۦ شَيۡـًٔاۚ إِنَّ وَعۡدَ ٱللَّهِ حَقّٞۖ فَلَا تَغُرَّنَّكُمُ ٱلۡحَيَوٰةُ ٱلدُّنۡيَا وَلَا يَغُرَّنَّكُم بِٱللَّهِ

---

(١) (في المطبوع١٩/ ١١٧٤١)
(٢) (في المطبوع١٩/ ١١٧٥١)
(٣) (في المطبوع١٩/ ١١٧٥١)
(٤) (في المطبوع ١٩/ ١١٧٥٤)

ٱلْغَرُورُ ﴿٣٣﴾ (سورة لقمان، الآية ٣٣)

* ﴿وَالِدٌ عَن وَلَدِهِۦ﴾

بدأ بالأب قبل الابن، لأن الأب أكثر حنانًا بالابن من الابن بالأب[1].

وختم السورة بهذه الآيات لئلا يتوهم الآباء بعد أن أمر الله أبناءهم في أول السورة بالإحسان إليهم، أنهم قد ينفعونهم في الآخرة[2].

* ﴿وَلَا مَوْلُودٌ﴾

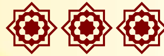
مولود أبلغ في التعبير من كلمة (ولد) لأن المولود لا تطلق إلا على الابن مباشرة، أما (الولد) فتشمل الابن، وابن الابن (الحفيد)[3].

﴿إِنَّ ٱللَّهَ عِندَهُۥ عِلْمُ ٱلسَّاعَةِ وَيُنَزِّلُ ٱلْغَيْثَ وَيَعْلَمُ مَا فِى ٱلْأَرْحَامِ ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا ۖ وَمَا تَدْرِى نَفْسٌۢ بِأَىِّ أَرْضٍ تَمُوتُ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌۢ ﴿٣٤﴾﴾

(سورة لقمان، الآية ٣٤)

* ﴿إِنَّ ٱللَّهَ عَلِيمٌ خَبِيرٌ﴾

ختم بهذه الصفات بعد أن ذكر الموت والساعة والرزق، لكي يثق العبد بربه تَبَارَكَ وَتَعَالَى وبأفعاله، وأنه عليم خبير بما يصلحكم، وما يصلح لكم[4].



(١) (في المطبوع١٩/ ١١٧٥٨)
(٢) (في المطبوع١٩/ ١١٧٥٧)
(٣) (في المطبوع١٩/ ١١٧٥٨)
(٤) (في المطبوع١٩/ ١١٧٧١)

سُورَةُ السَّجْدَةِ

﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم مَّلَكُ ٱلْمَوْتِ ٱلَّذِى وُكِّلَ بِكُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ ﴿١١﴾﴾ (سورة السجدة، الآية ١١)

* ﴿قُلْ يَتَوَفَّىٰكُم﴾

التوفي: أخذ الشيء كاملاً غير منقوص .

ولهذا عبر الله تعالى عن رفع عيسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ أنه توفاه، فقال سبحانه ﴿إِذْ قَالَ ٱللَّهُ يَٰعِيسَىٰٓ إِنِّى مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَىَّ﴾ (سورة آل عمران، الآية ٥٥).

أي كاملاً غير ناقص، وهذا يدحض تماماً فكرة الصلب، فهو رفعه كاملاً بلا نقص أو عيب[١].

﴿وَلَوْ تَرَىٰٓ إِذِ ٱلْمُجْرِمُونَ نَاكِسُوا۟ رُءُوسِهِمْ عِندَ رَبِّهِمْ رَبَّنَآ أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا فَٱرْجِعْنَا نَعْمَلْ صَٰلِحًا إِنَّا مُوقِنُونَ ﴿١٢﴾﴾ (سورة السجدة، الآية ١٢)

* ﴿أَبْصَرْنَا وَسَمِعْنَا﴾

قدم البصر هنا لأنه في الآخرة يرى ويبصر أهوالها، ثم بعد ذلك يتكلم عنها، بخلاف الآيات الأخرى التي قدمت السمع على البصر[٢].

﴿فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّآ أُخْفِىَ لَهُم مِّن قُرَّةِ أَعْيُنٍ جَزَآءًۢ بِمَا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٧﴾﴾ (سورة السجدة، الآية ١٧)

---

(١) (في المطبوع١٩/ ١١٨١٥)
(٢) (في المطبوع١٩/ ١١٨١٩)

لم يجعل لنعيم الجنة اسماً، بل هو شيء مفاجئ، لم يخطر على قلب بشر، ولم تره عين، ولم تسمع به أذن، وما جاء إنما هو أمثلة ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِى وُعِدَ ٱلْمُتَّقُونَ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ أُكُلُهَا دَآئِمٌ وَظِلُّهَا تِلْكَ عُقْبَى ٱلَّذِينَ ٱتَّقَوا۟ وَّعُقْبَى ٱلْكَٰفِرِينَ ٱلنَّارُ ﴿٣٥﴾﴾ سورة الرعد

فهذه أمثلة والأمثلة ليست كالحقيقة[1].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا مُوسَى ٱلْكِتَٰبَ فَلَا تَكُن فِى مِرْيَةٍ مِّن لِّقَآئِهِۦ وَجَعَلْنَٰهُ هُدًى لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ﴿٢٣﴾﴾ (سورة السجدة، الآية ٢٣)

* ﴿مِّن لِّقَآئِهِۦ﴾

﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ سورة الزخرف، وهو قد التقى بموسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ في ليلة الإسراء .

وهذا يفسر قوله تعالى ﴿وَسْـَٔلْ مَنْ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ مِن رُّسُلِنَآ أَجَعَلْنَا مِن دُونِ ٱلرَّحْمَٰنِ ءَالِهَةً يُعْبَدُونَ ﴿٤٥﴾﴾ سورة الزخرف

أو تفسر آية الزخرف بأن السؤال لمؤمني أهل الكتاب، مثل عبدالله بن سلام رَضِيَ ٱللَّهُ عَنْهُ[2].

﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ ٱلْقِيَٰمَةِ فِيمَا كَانُوا۟ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ ﴿٢٥﴾﴾

(سورة السجدة، الآية ٢٥)

* ﴿إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ﴾

جاء بـ﴿هُوَ﴾ وكان ممكناً أن يقول (إن ربك يفصل بينهم)

(١) (في المطبوع١٩/ ١١٨٣٤)
(٢) (في المطبوع١٩/ ١١٨٤٩-١١٨٥٠)

ولكنه جاء به لتأكيد الاختصاص، أي الفصل له وحده، ونفي إمكانية الفصل لغيره[١].

﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِن قَبْلِهِم مِّنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ ﴿٢٦﴾ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ فَنُخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْعَامُهُمْ وَأَنفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ ﴿٢٧﴾﴾ (سورة السجدة، الآيتين ٢٦-٢٧)

* ﴿أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا﴾
* ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ﴾

اختلاف الصيغتين:

الأولى بالماضي، والثانية بالمضارع، لأن الهلاك أمر ماض قد وقع، فعبر عنه بالماضي، أما سوق الماء فهو متكرر، يقع مرة بعد مرة، فعبر عنه بالمضارع[٢].

﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ﴿٢٨﴾ قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾﴾ (سورة السجدة، الآيتين ٢٨-٢٩)

* ﴿وَيَقُولُونَ مَتَىٰ هَٰذَا الْفَتْحُ﴾

* سؤالهم هذا ليس عن الزمن، فهو جاء على سبيل الاستهزاء والاستبعاد، فجاء الجواب كذلك، لم يأت عن الزمن كما سألوا، بل جاء بالوعيد والتهديد لهم ﴿لَا يَنفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ ﴿٢٩﴾﴾[٣].



(١) (في المطبوع١٩/ ١١٨٥٢)
(٢) (في المطبوع١٩/ ١١٨٦٧)
(٣) (في المطبوع١٩/ ١١٨٧٣)

﴿ سُورَةُ الأَحْزَابِ ﴾

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ ۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ عَلِيمًا حَكِيمًا ﴿١﴾﴾ (سورة الأحزاب، الآية ١)

* ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ ٱتَّقِ ٱللَّهَ﴾

أمر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ بالتقوى، له معنيان:

١) أي استمر على تقواك لله، كقوله تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوٓا۟ ءَامِنُوا۟﴾ (سورة النساء، ١٣٦).

٢) تقوى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ تختلف عن تقوى غيره، فالمقصد من الأمر له أن استمر في مقامات الإحسان التي أنت فيها[(١)].

* ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ وَٱلْمُنَٰفِقِينَ﴾

* ﴿وَلَا تُطِعِ ٱلْكَٰفِرِينَ﴾

الله علم أن الكفار سيطلبون من نبيه أموراً، فنهاه عن طاعتهم، لأنه هو الذي يأمر فيطاع، لا أن يؤمر فيطيع، والله يريد أن يقطع الطريق عليهم، لأنه إنْ أطاعهم فإن ذلك مدعاة للشكيك في دينه ورسالته، لأنه يكون قد استجاب لهم وأطاعهم[(٢)].

﴿وَتَوَكَّلْ عَلَى ٱللَّهِ ۚ وَكَفَىٰ بِٱللَّهِ وَكِيلًا ﴿٣﴾﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٣)

(١) (في المطبوع١٩/ ١١٨٨٨)

(٢) (في المطبوع١٩/ ١١٩٠٩-١١٩١٠).

لا تظن أنهم ينصرونك ويؤيدنك، فلا تركن لأقوالهم، بل اركن لله تعالى، وتوكل عليه[١].

﴿يَٰنِسَآءَ ٱلنَّبِيِّ مَن يَأْتِ مِنكُنَّ بِفَٰحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ يُضَٰعَفْ لَهَا ٱلْعَذَابُ ضِعْفَيْنِ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرًا ﴿٣٠﴾ ۞ وَمَن يَقْنُتْ مِنكُنَّ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ وَتَعْمَلْ صَٰلِحًا نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ وَأَعْتَدْنَا لَهَا رِزْقًا كَرِيمًا ﴿٣١﴾﴾ (سورة الأحزاب، الآيتين ٣٠-٣١)

* ﴿يُضَٰعَفْ لَهَا﴾
* ﴿نُّؤْتِهَآ أَجْرَهَا﴾

في العذاب لم يواجه بالخطاب، وإنما جاء بالفعل المضارع ﴿يُضَٰعَفْ﴾، وهذا من رحمته تعالى بخلقه ولطفه في القول.

وفي الأجر جاء بخطاب المواجهة ﴿نُّؤْتِهَآ﴾[٢].

﴿وَإِذْ تَقُولُ لِلَّذِىٓ أَنْعَمَ ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ أَمْسِكْ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَٱتَّقِ ٱللَّهَ وَتُخْفِى فِى نَفْسِكَ مَا ٱللَّهُ مُبْدِيهِ وَتَخْشَى ٱلنَّاسَ وَٱللَّهُ أَحَقُّ أَن تَخْشَىٰهُ ۖ فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ مِّنْهَا وَطَرًا زَوَّجْنَٰكَهَا لِكَىْ لَا يَكُونَ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِىٓ أَزْوَٰجِ أَدْعِيَآئِهِمْ إِذَا قَضَوْا۟ مِنْهُنَّ وَطَرًا ۚ وَكَانَ أَمْرُ ٱللَّهِ مَفْعُولًا ﴿٣٧﴾﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٣٧)

* ﴿فَلَمَّا قَضَىٰ زَيْدٌ﴾

ذكر الله زيد بن حارثة في القرآن دون غيره من الصحابة، وقد كان رفض العودة مع أهله يوم وجدوه في مكة، واختار البقاء مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فصار معروفا بزيد بن محمد، فلما حرم التبني بقوله تعالى ﴿مَّا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَآ أَحَدٍ مِّن رِّجَالِكُمْ وَلَٰكِن

(١) (في المطبوع١٩/ ١١٩١٠)
(٢) (في المطبوع١٩/ ١٢٠١٤)

رَّسُولَ ٱللَّهِ وَخَاتَمَ ٱلنَّبِيِّـۧنَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ بِكُلِّ شَيۡءٍ عَلِيمٗا ﴿٤٠﴾﴾ سورة الأحزاب، خسر اسمه زيد بن محمد، وعاد إلى زيد بن حارثة، فخسر أبوة النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ، وشرف الانتساب إليه، فعوضه الله تعالى شيئاً أعظم من ذلك، فذكر اسمه صريحاً في القرآن، يتلى إلى يوم القيامة(١).

﴿يَـٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَحۡلَلۡنَا لَكَ أَزۡوَٰجَكَ ٱلَّـٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ وَمَا مَلَكَتۡ يَمِينُكَ مِمَّآ أَفَآءَ ٱللَّهُ عَلَيۡكَ وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ ٱلَّـٰتِي هَاجَرۡنَ مَعَكَ وَٱمۡرَأَةٗ مُّؤۡمِنَةً إِن وَهَبَتۡ نَفۡسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنۡ أَرَادَ ٱلنَّبِيُّ أَن يَسۡتَنكِحَهَا خَالِصَةٗ لَّكَ مِن دُونِ ٱلۡمُؤۡمِنِينَۗ قَدۡ عَلِمۡنَا مَا فَرَضۡنَا عَلَيۡهِمۡ فِيٓ أَزۡوَٰجِهِمۡ وَمَا مَلَكَتۡ أَيۡمَـٰنُهُمۡ لِكَيۡلَا يَكُونَ عَلَيۡكَ حَرَجٞۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورٗا رَّحِيمٗا ﴿٥٠﴾﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٥٠)

* ﴿وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّـٰتِكَ وَبَنَاتِ خَالِكَ وَبَنَاتِ خَـٰلَـٰتِكَ﴾

جاء بالمفرد لكلمة (عم) وبالجمع للعمات والخالات، والسبب أن كلمة (عم) هي اسم جنس يشمل المفرد والجمع، أما العمات والخالات، فهي جمع لأنها ليست اسم جنس(٢).

* ﴿ٱلَّـٰتِيٓ ءَاتَيۡتَ أُجُورَهُنَّ﴾

دل على أن النبي صَلَّىٱللَّهُعَلَيۡهِوَسَلَّمَ كان يفعل الأفضل، وهو تقديم المهر كاملاً لأزواجه، قبل الدخول عليهن(٣).

﴿لَّا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ وَلَآ أَن تَبَدَّلَ بِهِنَّ مِنۡ أَزۡوَٰجٖ وَلَوۡ أَعۡجَبَكَ حُسۡنُهُنَّ إِلَّا

(١) (في المطبوع ٤/ ٢٠١٨)
(٢) (في المطبوع١٩/ ١٢١٠٥)
(٣) (في المطبوع١٩/ ١٢١٠٢)

مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَۗ وَكَانَ ٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ رَّقِيبًا ﴿٥٢﴾ ﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٥٢)

* ﴿لَا يَحِلُّ لَكَ ٱلنِّسَآءُ مِنۢ بَعۡدُ﴾

استثنيت الأمة في عدد الزوجات وهو أربع زوجات في وقت واحد، واستثني النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ في المعدود وهو تسع، فلا يجوز له أن يتزوج غير زوجاته اللاتي معه، بينما يجوز لفرد من أمته أن يتزوج أربعاً أخريات بعد فراغ ذمته من الأربع السابقات، وهكذا يستطيع أن يكرر الأمر أكثر من مرة، ولكن الأمر بالنسبة للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد انتهى، فلو ماتت إحدى زوجاته أو طلقها، فإنه لا يجوز له الزواج بغيرها بنص هذه الآية، فمن هنا يتضح أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد ضيق عليه في شأن الزواج، ووسع لأمته فيه، لا كما يظن ويعتقد البعض أن النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قد أطلقت يده في النساء، يتزوج كيفما شاء صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ[1].

﴿لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ وَٱلۡمُرۡجِفُونَ فِي ٱلۡمَدِينَةِ لَنُغۡرِيَنَّكَ بِهِمۡ ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ فِيهَآ إِلَّا قَلِيلٗا ﴿٦٠﴾﴾ (سورة الأحزاب، الآية ١)

* ﴿لَّئِن لَّمۡ يَنتَهِ ٱلۡمُنَٰفِقُونَ وَٱلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ﴾

المنافقون هم الذين في قلوبهم مرض، وليسوا طائفة أخرى، بل هذه صفة من صفاتهم، كما قال الله عنهم ﴿فِي قُلُوبِهِم مَّرَضٞ فَزَادَهُمُ ٱللَّهُ مَرَضٗا﴾ (سورة البقرة، الآية ١٠).

ومثل قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ تَبَوَّءُو ٱلدَّارَ وَٱلۡإِيمَٰنَ﴾ (سورة الحشر، الآية ٩).

فهم أنفسهم[2].

---

(١) (في المطبوع١٩/ ١٢١١٨)

(٢) (في المطبوع١٩/ ١٢١٧٤)

﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ عَلَى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلْجِبَالِ فَأَبَيْنَ أَن يَحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ مِنْهَا وَحَمَلَهَا ٱلْإِنسَٰنُ إِنَّهُۥ كَانَ ظَلُومًا جَهُولًا ﴿٧٢﴾ ﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٧٢)

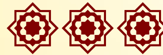
* ﴿ إِنَّا عَرَضْنَا ٱلْأَمَانَةَ ﴾

المقصود بالأمانة هي حرية الاختيار بين الكفر والإيمان، وبين فعل الطاعة والمعصية، وقد اختارت السموات والأرض والجبال ألا يدخلن في الاختيار، واكتفين باختيار واحد وهو الإيمان والطاعة، وتحمل الإنسان الاختيار بين الأمرين[١].

﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ وَٱلْمُشْرِكِينَ وَٱلْمُشْرِكَٰتِ وَيَتُوبَ ٱللَّهُ عَلَى ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ ۗ وَكَانَ ٱللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًۢا ﴿٧٣﴾ ﴾ (سورة الأحزاب، الآية ٧٣)

* ﴿ لِّيُعَذِّبَ ٱللَّهُ ٱلْمُنَٰفِقِينَ وَٱلْمُنَٰفِقَٰتِ ﴾

قدم المنافقين لأنهم أشد عداوة للمؤمنين من الكافرين[٢].



(١) (في المطبوع٢٠/ ١٢٢١٢)
(٢) (في المطبوع٢٠/ ١٢٢٢٠)

﴿ سُورَةُ سَبَإٍ ﴾

﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ عَٰلِمِ ٱلۡغَيۡبِۖ لَا يَعۡزُبُ عَنۡهُ مِثۡقَالُ ذَرَّةٖ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَلَا فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ وَلَآ أَكۡبَرُ إِلَّا فِي كِتَٰبٖ مُّبِينٖ ٣ ﴾ (سورة سبأ، الآية ٣)

* ﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَأۡتِينَا ٱلسَّاعَةُۖ قُلۡ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ ﴾

هم أنكروا الساعة، فكان الجواب أن يكون ﴿لَتَأۡتِيَنَّكُمۡ﴾ ويقف عند هذا، لكنه أضاف علمه بما كانوا يعلمون.

والسبب أنه رد عليهم إنكارهم للساعة، ورد على سبب قولهم هذا، وهو تخوفهم من الساعة، بسبب أعمالهم في الدنيا، وعدم استعدادهم للآخرة[(١)].

* ﴿وَلَآ أَصۡغَرُ مِن ذَٰلِكَ﴾

في هذا قطع للطريق على من يفكر بما هو أصغر من (الذرة) فيظن أن علم الله تعالى لا يحيط بها[(٢)].

* ﴿وَلَآ أَكۡبَرُ﴾

شبهة وجوابها:

إذا كان الله يمتن علينا بعلم ما هو أصغر من الذرة، فلماذا يذكر ما هو أكبر منها، لأن من علم الصغير علم ما هو أكبر منه؟

والجواب: أن هذا أسلوب من بدائع القرآن فكما لا تحيط علماً بما هو أصغر

(١) (في المطبوع٢٠/ ١٢٢٣٨)
(٢) (في المطبوع٢٠/ ١٢٢٤٠)

من الذرة لعجزك وقصورك، فإن أيضـاً هناك أموراً عظيمة وكبيرة لا يصلها إدراكك الله تعالى عليم بها[١].

﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ مِنَّا فَضْلًا ۖ يَٰجِبَالُ أَوِّبِى مَعَهُۥ وَٱلطَّيْرَ ۖ وَأَلَنَّا لَهُ ٱلْحَدِيدَ ﴿١٠﴾﴾ (سورة سبأ، الآية ١)

* ﴿وَلَقَدْ ءَاتَيْنَا دَاوُۥدَ﴾

جاء بداوود عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ بعد قوله ﴿إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُّنِيبٍ ﴿٩﴾﴾ سورة سبأ.

وداوود من العباد المنيبين.

ثم جاء بسليمان بعده، لأنه كذلك من العباد المنيبين[٢].

﴿أَنِ ٱعْمَلْ سَٰبِغَٰتٍ وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ ۖ وَٱعْمَلُوا۟ صَٰلِحًا ۖ إِنِّى بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ﴿١١﴾﴾

(سورة سبأ، الآية ١١)

* ﴿وَقَدِّرْ فِى ٱلسَّرْدِ﴾

إشارة من الله تعالى أن الله يراقب أعمالكم ويراها، وهذا إن كان خطابـاً لنبي، والنبي لا يعصي ربه، فكيف ببقية العباد، فعليهم أن يتقنوا أعمالهم ويحسنوها[٣].

﴿فَلَمَّا قَضَيْنَا عَلَيْهِ ٱلْمَوْتَ مَا دَلَّهُمْ عَلَىٰ مَوْتِهِۦٓ إِلَّا دَآبَّةُ ٱلْأَرْضِ تَأْكُلُ مِنسَأَتَهُۥ ۖ فَلَمَّا خَرَّ تَبَيَّنَتِ ٱلْجِنُّ أَن لَّوْ كَانُوا۟ يَعْلَمُونَ ٱلْغَيْبَ مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ ﴿١٤﴾﴾ (سورة سبأ، الآية ١٤)

---

(١) في المطبوع٢٠/ ١٢٢٤٣)

(٢) في المطبوع٢٠/ ١٢٢٦٨)

(٣) في المطبوع٢٠/ ١٢٢٧٤)

* ﴿مَا لَبِثُوا۟ فِى ٱلْعَذَابِ ٱلْمُهِينِ﴾

خدمتهم للبشر وهم كانوا يرون أنفسهم خيراً من البشر هو إهانة لهم[١].

﴿لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ فِى مَسْكَنِهِمْ ءَايَةٌ ۖ جَنَّتَانِ عَن يَمِينٍ وَشِمَالٍ ۖ كُلُوا۟ مِن رِّزْقِ رَبِّكُمْ وَٱشْكُرُوا۟ لَهُۥ ۚ بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ ﴿١٥﴾﴾ (سورة سبأ، الآية ١٥)

جاء بقصة سبأ بعد قصة سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لإن أشهر قصة لسليمان كانت مع ملكة سبأ، في دعوتهم للتوحيد، فناسب أن يأتي بقصة سبأ، بعد ذكر سليمان عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[٢].

* ﴿بَلْدَةٌ طَيِّبَةٌ وَرَبٌّ غَفُورٌ﴾

﴿طَيِّبَةٌ﴾ أي بلا جهدٍ كبير للإنسان، وليس فيه مشقة[٣].

﴿وَمَآ أَرْسَلْنَٰكَ إِلَّا كَآفَّةً لِّلنَّاسِ بَشِيرًا وَنَذِيرًا وَلَٰكِنَّ أَكْثَرَ ٱلنَّاسِ لَا يَعْلَمُونَ ﴿٢٨﴾﴾ (سورة سبأ، الآية ٢٨)

* ﴿كَآفَّةً﴾

كافة الأصل أنها (كاف)، ولكنها جاءت للمبالغة، وتحمل معنيين:

* إن الرسالة كافة لكل معاني الخير.
* إنك كاف لجميع أجناس الناس[٤].

---

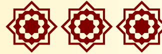
(١) (في المطبوع ٢٠/ ١٢٢٨٧)
(٢) (في المطبوع ٢٠/ ١٢٢٨٨)
(٣) (في المطبوع ٢٠/ ١٢٢٩٥)
(٤) (في المطبوع ٢٠/ ١٢٣٢٩-١٢٣٣٠)

﴿قُلْ إِنَّ رَبِّي يَبْسُطُ ٱلرِّزْقَ لِمَن يَشَآءُ مِنْ عِبَادِهِۦ وَيَقْدِرُ لَهُۥ ۚ وَمَآ أَنفَقْتُم مِّن شَىْءٍ فَهُوَ يُخْلِفُهُۥ ۖ وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ ﴿٣٩﴾﴾ (سورة سبأ، الآية ٣٩)

* ﴿وَهُوَ خَيْرُ ٱلرَّٰزِقِينَ﴾

وخيرية الله في الرزق تظهر في أربعة أمور:

* إنه رزقك قبل أن يخلقك.
* إنه رزقه لا يتأخر عن وقت الحاجة إليه .
* إنه لا يحاسبك على ما رزقك .
* إنه لا يريد منك جزاءً ولا شكوراً[1].



(١) (في المطبوع٢٠/ ١٢٣٦٠)

سُورَةُ فَاطِرٍ

﴿وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ ﴿١٩﴾ وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ ﴿٢٠﴾ وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ ﴿٢١﴾ وَمَا يَسْتَوِي ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُۚ إِنَّ ٱللَّهَ يُسْمِعُ مَن يَشَآءُۖ وَمَآ أَنتَ بِمُسْمِعٍ مَّن فِي ٱلْقُبُورِ ﴿٢٢﴾﴾ (سورة فاطر، الآيات ١٩-٢٢)

* ﴿ٱلْأَعْمَىٰ وَٱلْبَصِيرُ﴾ ﴿وَلَا ٱلظُّلُمَٰتُ وَلَا ٱلنُّورُ﴾
* ﴿وَلَا ٱلظِّلُّ وَلَا ٱلْحَرُورُ﴾ ﴿ٱلْأَحْيَآءُ وَلَا ٱلْأَمْوَٰتُ﴾

في الأربعة الأولى بدأ بالأعمى والظلمات، وفي الأربعة الثانية بدأ بالظل والأحياء.

وكان القياس أن يبدأ بالأموات وبالحرور (في الأربعة الثانية)

لكن القصد مختلف ..

فهو بدأ بالأعمى والظلمات، إشارة لحال المسلمين قبل البعثة، فهم كانوا عمياناً فأبصروا، وكانوا في ظلامٍ، ثم جاءهم النور، فإذا حصل لهم هذا، كانوا أحياءً غير أمواتٍ، وكانوا في الظل لا في الحرور[1].

﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ أَنزَلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءً فَأَخْرَجْنَا بِهِۦ ثَمَرَٰتٍ مُّخْتَلِفًا أَلْوَٰنُهَاۚ وَمِنَ ٱلْجِبَالِ جُدَدٌۢ بِيضٌ وَحُمْرٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهَا وَغَرَابِيبُ سُودٌ ﴿٢٧﴾﴾ (سورة فاطر، الآية ٢٧)

* ﴿فَأَخْرَجْنَا﴾

الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَىٰ إذا ذكر شيئاً من مخلوقاته مما لعبيده يدٌ فيها، فإنه سبحانه

(١) (في المطبوع٢٠/ ١٢٤٨١)

يذكرهم فيها، إنصافاً منه سبحانه لعبيده، في عملهم من البذر والسقي وغيرها، والله تعالى إنما يريد بذلك أنه كما أنصف عباده فيما لهم، فإنه يريد منهم أن ينصفوه في صفاته وأفعاله .

﴿ لِيُوَفِّيَهُمْ أُجُورَهُمْ وَيَزِيدَهُم مِّن فَضْلِهِۦٓ إِنَّهُۥ غَفُورٌ شَكُورٌ ﴿٣٠﴾ ﴾ (سورة فاطر، الآية ٣٠)

* ﴿غَفُورٌ شَكُورٌ﴾

شكور لعباده الذين تصدقوا بأموالهم على عباده الفقراء، فهو يشكر لهم هذا الفعل[١].

﴿ جَنَّٰتُ عَدْنٍ يَدْخُلُونَهَا يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا ۖ وَلِبَاسُهُمْ فِيهَا حَرِيرٌ ﴿٣٣﴾ ﴾

(سورة فاطر، الآية ٣٣)

* ﴿أَسَاوِرَ مِن ذَهَبٍ﴾

جمع الأساور: لأن هذا لباس الأكابر في الدنيا، من الملوك وغيرهم، وعبر هنا بجمع الجمع (سوار أسورة أساور) دليل على كثرتها[٢].

* ﴿وَلُؤْلُؤًا﴾

جاء لهم بنعيم من البحر، كما جاءهم بنعيم من البر[٣].

* ﴿وَلِبَاسُهُمْ﴾

جاءت مفردة، لأنه لو قال (ألبسة) لظن أنها تكون للحر والبرد، لكنه لباس

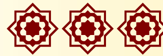
(١) (في المطبوع ٢٠/ ١٢٥٠٤)
(٢) (في المطبوع ١٢٥١٨)
(٣) (في المطبوع ٢٠/ ١٢٥١٩)

واحد، لأنه لا برد، ولا حر فيها[١].

﴿ ٱلَّذِىٓ أَحَلَّنَا دَارَ ٱلْمُقَامَةِ مِن فَضْلِهِۦ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴿٣٥﴾ ﴾

(سورة فاطر، الآية ٣٥)

* ﴿نَصَبٌ وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا لُغُوبٌ ﴾.
* ﴿نَصَبٌ﴾: تعب الجسد.
* ﴿ لُغُوبٌ ﴾: تعب الصدور[٢].



(١) (في المطبوع ٢٠/ ١٢٥١٩)
(٢) (في المطبوع ٢٠/ ١٢٥٢٢)

سُورَةُ يسٓ

﴿يسٓ ١ وَٱلۡقُرۡءَانِ ٱلۡحَكِيمِ ٢﴾ (سورة يس، الآيتين ١-٢)

* ﴿يسٓ﴾

الحروف الهجائية ثمانية عشر حرفًا.

ذكر منها في الحروف المقطعة أربعة عشر حرفاً كالتالي:

* تسعة حروف في الأول (أ.ب.ت.ث.ج.ح.خ.د.ذ.): أخذ منها حرفين (الألف، الحاء) وترك سبعة .

* عشرة حروف في الوسط (ر.ز.س.ش.ص.ض.ط.ظ.ع.غ.): أخذ منها الحروف المهملة وترك المعجمة (فأخذ الراء وترك الزاي، وأخذ السين وترك الشين، وأخذ الصاد وترك الضاد، وأخذ الطاء وترك الظاء وأخذ العين وترك الغين) .

* تسعة حروف في الأخير: (ف.ق.ك.ل.م.ن.ه.و.ي) أخذ منها سبعة وترك اثنين، فأخذ (القاف، الكاف، اللام،الميم، النون، الهاء، الياء) وترك الفاء والواو.

وهذا كله لحكمة لا يعلمها إلا الله عَزَّوَجَلَّ[(١)].

﴿إِن كَانَتۡ إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ فَإِذَا هُمۡ خَٰمِدُونَ ٢٩﴾ (سورة يس، الآية ٢٩)

* ﴿إِلَّا صَيۡحَةٗ وَٰحِدَةٗ﴾

(١) (في المطبوع٢٠/ ١٢٥٦٢)

١- واحدة فهي كافية، لإن التكرار يفيد الضعف، لإنه لم يكتف بالأولى، فاحتاج الثانية .

٢- صيحة واحدة، كأن الأمر لا يستحق أكثر من واحدة[١].

﴿ وَإِن كُلٌّ لَّمَّا جَمِيعٌ لَّدَيۡنَا مُحۡضَرُونَ ٣٢ ﴾ (سورة يس، الآية ٣٢)

جاء بكل وجميع، ولكل معناها :

* ﴿كُلٌّ﴾: يأتون أفراداً، كل فردٍ يأتي وحده.
* ﴿جَمِيعٌ﴾: يأتون جماعات .
* ﴿مُحۡضَرُونَ﴾: ليس حاضراً، بل محضراً، فهناك من يحضره[٢].

﴿ وَجَعَلۡنَا فِيهَا جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ وَفَجَّرۡنَا فِيهَا مِنَ ٱلۡعُيُونِ ٣٤ ﴾ (سورة يس، الآية ٣٤)

* ﴿جَنَّٰتٖ مِّن نَّخِيلٖ وَأَعۡنَٰبٖ﴾
* ذكر النخل ولم يذكر ثمرته الرطب.
* وذكر العنب الثمرة ولم يذكر شجرته الكرم .

والسبب :

* أن النخيل فوائده كثيرة، وليست في ثمرته فقط، في جريده وخوصه وغيرها.
* أما العنب فليس لشجرته فائدة أخرى[٣].

---

(١) (في المطبوع٢٠/ ١٢٦٣٥)
(٢) (في المطبوع٢٠/ ١٢٦٤٢)
(٣) (في المطبوع ٢٠/١٢٦٤٨)

﴿ هُمۡ وَأَزۡوَٰجُهُمۡ فِي ظِلَٰلٍ عَلَى ٱلۡأَرَآئِكِ مُتَّكِـُٔونَ ﴿٥٦﴾ ﴾ (سورة يس، الآية ٥٦)

* ﴿فِي ظِلَٰلٍ﴾

ليس في الجنة شمس، فالمقصود بالظلال:

* إما أنهم مكرمون كما هو في الدنيا.
* أو في ظل الله تعالى[١].

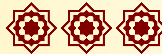
* ﴿مُتَّكِـُٔونَ﴾

دليل على أنهم مرتاحون في جلستهم[٢].

﴿ لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ وَلَهُم مَّا يَدَّعُونَ ﴿٥٧﴾ ﴾ (سورة يس، الآية ٥٧)

* ﴿لَهُمۡ فِيهَا فَٰكِهَةٞ﴾

أكل أهل الجنة أكل تفكهٍ وتمتع، وليس عن حاجة أو جوع[٣].



(١) (في المطبوع٢٠/ ١٢٦٨٢)
(٢) (في المطبوع٢٠/ ١٢٦٨٢)
(٣) (في المطبوع٢٠/ ١٢٦٨٣)

﴿ سُورَةُ الصَّافَّاتِ ﴾

﴿قَالُوٓاْ إِنَّكُمۡ كُنتُمۡ تَأۡتُونَنَا عَنِ ٱلۡيَمِينِ ٢٨﴾ (سورة الصافات، الآية ٢٨)

* ﴿ٱلۡيَمِينِ﴾

إما بالقوة والإكراه، أو عن طريق الإغراءات والأمنيات(١).

﴿أَذَٰلِكَ خَيۡرٞ نُّزُلًا أَمۡ شَجَرَةُ ٱلزَّقُّومِ ٦٢ إِنَّا جَعَلۡنَٰهَا فِتۡنَةٗ لِّلظَّٰلِمِينَ ٦٣ إِنَّهَا شَجَرَةٞ تَخۡرُجُ فِيٓ أَصۡلِ ٱلۡجَحِيمِ ٦٤ طَلۡعُهَا كَأَنَّهُۥ رُءُوسُ ٱلشَّيَٰطِينِ ٦٥﴾ (سورة الصافات، الآيات ٦٢-٦٥)

شبهةٌ وجوابها.

يزعم بعضهم أنكم أيها المسلمون تقولون أن القرآن كتاب البلاغة والفصاحة، فكيف يذكر شجرة الزقوم، ويصف طلعها كأنه رؤوس الشياطين، ونحن لم نر شجرة الزقوم، ولم نر رؤوس الشياطين، فكيف يشبه مجهولاً بمجهول؟

■ **والجواب:**

أن هذا من باب ترك المجال لكل التخيلات، والتصورات في نفوس الناس عن بشاعة هذه الشجرة، ولكل إنسان تصوره الخاص عن هذه البشاعة، وما يؤثر في شخصٍ قد لا يؤثر في غيره، وإنما تؤثر فيه صورة أخرى، وهذا هو عين البلاغة، حيث ترك المجال لتخيل هيئة هذه الشجرة، لتصور كل مستمع لهذه الآيات، تصوراً يختلف عن تصور غيره(٢).

---

(١) (في المطبوع ٢٠/ ١٢٧٦٣)

(٢) (في المطبوع ٢٠/ ١٢٧٧٧)

﴿ وَإِنَّ لُوطًا لَّمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٣﴾ ﴾ (سورة الصافات، الآية ١٣٣)

لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، من أكثر الأنبياء ذكراً في القرآن الكريم، حتى أنه ذُكِر أكثر من عيسى بن مريم، فقد ذكر عيسى خمساً وعشرين مرة، وأما لوط فقد ذكر سبعاً وعشرين مرة .

والسبب أن مهمة لوط عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ كانت من أشد المهام، وهي تعديل سلوك القوم الذين شذوا عن الطبيعة البشرية، في موضوع التناسل والنكاح، وردهم إلى الخلق الحسن، والتكاثر الطبيعي[١].

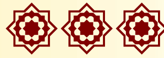
﴿ وَأَرْسَلْنَٰهُ إِلَىٰ مِاْئَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾ ﴾ (سورة الصافات، الآية ١٤٧)

* ﴿أَوْ يَزِيدُونَ﴾

يزيدون هنا ليست شكاً أو جهلاً، بل هي للتأكيد، أي أنهم لا ينقصون عن المائة ألفٍ، وهذا الاستعمال شائع في لغة العرب[٢].

﴿ فَٱسْتَفْتِهِمْ أَلِرَبِّكَ ٱلْبَنَاتُ وَلَهُمُ ٱلْبَنُونَ ﴿١٤٩﴾ ﴾ (سورة الصافات، الآية ١٤٩)

هذا أسلوب التقرير لمن كان واثقاً من قوله وعلمه[٣].



(١) (في المطبوع ٢٠/ ١٢٨٣١)

(٢) (في المطبوع ٢٠/ ١٢٨٤٧)

(٣) (في المطبوع ٢١/ ١٢٨٥٠)

سُورَةُ صٓ

﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ١٧ إِنَّا سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ بِٱلۡعَشِيِّ وَٱلۡإِشۡرَاقِ ١٨﴾ (سورة ص، الآيتين ١٧-١٨)

* ﴿سَخَّرۡنَا ٱلۡجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحۡنَ﴾

أي أن تسبيحهن موافق لتسبيحه فلو قال الله قلن الله، ولو قال الحمد لله قلن الحمد لله، وإلا فإن الجبال هي كبقية المخلوقات تسبح بحمد الله كما قال تعالى ﴿تُسَبِّحُ لَهُ ٱلسَّمَٰوَٰتُ ٱلسَّبۡعُ وَٱلۡأَرۡضُ وَمَن فِيهِنَّۚ وَإِن مِّن شَيۡءٍ إِلَّا يُسَبِّحُ بِحَمۡدِهِۦ وَلَٰكِن لَّا تَفۡقَهُونَ تَسۡبِيحَهُمۡۚ إِنَّهُۥ كَانَ حَلِيمًا غَفُورًا ٤٤﴾ سورة الإسراء[1].

﴿ٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَا يَقُولُونَ وَٱذۡكُرۡ عَبۡدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلۡأَيۡدِۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ١٧﴾ (سورة ص، الآية ١٧)

* ﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُۖ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ٣٠﴾

في سورة البقرة ذكر داوود وسليمان عَلَيۡهِمَا ٱلسَّلَامُ أول مرة في قوله تعالى: ﴿وَٱتَّبَعُواْ مَا تَتۡلُواْ ٱلشَّيَٰطِينُ عَلَىٰ مُلۡكِ سُلَيۡمَٰنَۖ وَمَا كَفَرَ سُلَيۡمَٰنُ وَلَٰكِنَّ ٱلشَّيَٰطِينَ كَفَرُواْ يُعَلِّمُونَ ٱلنَّاسَ ٱلسِّحۡرَ وَمَآ أُنزِلَ عَلَى ٱلۡمَلَكَيۡنِ بِبَابِلَ هَٰرُوتَ وَمَٰرُوتَۚ وَمَا يُعَلِّمَانِ مِنۡ أَحَدٍ حَتَّىٰ يَقُولَآ إِنَّمَا نَحۡنُ فِتۡنَةٞ فَلَا تَكۡفُرۡۖ فَيَتَعَلَّمُونَ مِنۡهُمَا مَا يُفَرِّقُونَ بِهِۦ بَيۡنَ ٱلۡمَرۡءِ وَزَوۡجِهِۦۚ وَمَا هُم بِضَآرِّينَ بِهِۦ مِنۡ أَحَدٍ إِلَّا بِإِذۡنِ ٱللَّهِۚ وَيَتَعَلَّمُونَ مَا يَضُرُّهُمۡ وَلَا يَنفَعُهُمۡۚ وَلَقَدۡ عَلِمُواْ لَمَنِ ٱشۡتَرَىٰهُ مَا لَهُۥ فِي ٱلۡأٓخِرَةِ مِنۡ خَلَٰقٖۚ وَلَبِئۡسَ مَا شَرَوۡاْ بِهِۦٓ أَنفُسَهُمۡۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ١٠٢﴾ (سورة البقرة، الآية ١٠٢).

(١) (في المطبوع ٢١/ ١٢٩٠٢)

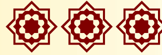
وفي قوله تعالى: ﴿ فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ۗ وَلَوْلَا دَفْعُ ٱللَّهِ ٱلنَّاسَ بَعْضَهُم بِبَعْضٍ لَّفَسَدَتِ ٱلْأَرْضُ وَلَٰكِنَّ ٱللَّهَ ذُو فَضْلٍ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٥١﴾ ﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٥١).

وهنا في سورة ص يذكران آخر مرة في القرآن، ولا يذكران بعد ذلك[(١)].

﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ لَأُغْوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٨٢﴾ ﴾ (سورة ص، الآية ٨٢)

* ﴿ قَالَ فَبِعِزَّتِكَ ﴾

أقسم إبليس بعزة الله تعالى، لعلمه أن الله غني عن خلقه، وليس بحاجة لهم، لأنه لو كان محتاجاً لخلقه، لما أذن لإبليس أن يتسلط عليهم[(٢)].



(١) (في المطبوع ٢١/ ١٢٩٢٨)

(٢) (في المطبوع ٢١/ ١٣٠٠٤)

سُورَةُ الزُّمَرِ

﴿وَأُمِرْتُ لِأَنْ أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ ۝١٢﴾ (سورة الزمر، الآية ١٢)

* ﴿أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ﴾

إذا فعلت فعلاً حسناً فبين للناس أنك فعلته لإن الإسلام أمرك بهذا، فإن لهذا التصرف أثره الحسن في نفوس الآخرين[١].

﴿بَلِ اللَّهَ فَاعْبُدْ وَكُن مِّنَ الشَّاكِرِينَ ۝٦٦﴾ (سورة الزمر، الآية ٦٦)

* ﴿اللَّهَ فَاعْبُدْ﴾

تقديم المفعول ﴿اللَّهَ﴾ على الفعل ﴿فَاعْبُدْ﴾ يفيد القصر، أي لا تعبدوا إلا الله[٢].

﴿وَوُفِّيَتْ كُلُّ نَفْسٍ مَّا عَمِلَتْ وَهُوَ أَعْلَمُ بِمَا يَفْعَلُونَ ۝٧٠﴾ (سورة الزمر، الآية ٧٠)

* ﴿يَفْعَلُونَ﴾

الفرق بين العمل والفعل:

* **العمل**: يشمل القول والفعل.
* **الفعل**: يشمل عمل الجوارح[٣].



(١) (في المطبوع ٢٢/ ١٣٥٩٠)
(٢) (في المطبوع ٢١/ ١٣٢٣٢)
(٣) (في المطبوع ٢١/ ١٣٢٤٩)

سُورَةُ غَافِرٍ

﴿ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِۚ وَمَن تَقِ ٱلسَّيِّـَٔاتِ يَوۡمَئِذٖ فَقَدۡ رَحِمۡتَهُۥۚ وَذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡعَظِيمُ ٩﴾ (سورة غافر، الآية ٩)

* ﴿ وَقِهِمُ ٱلسَّيِّـَٔاتِ ﴾

أي عقوبة السيئات(١).

﴿قَالُواْ رَبَّنَآ أَمَتَّنَا ٱثۡنَتَيۡنِ وَأَحۡيَيۡتَنَا ٱثۡنَتَيۡنِ فَٱعۡتَرَفۡنَا بِذُنُوبِنَا فَهَلۡ إِلَىٰ خُرُوجٖ مِّن سَبِيلٖ ١١﴾ (سورة غافر، الآية ١١)

الموت هنا هو ما قبل الحياة، فما هو قبل الحياة يسمى موتـاً(٢).

﴿رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ذُو ٱلۡعَرۡشِ يُلۡقِي ٱلرُّوحَ مِنۡ أَمۡرِهِۦ عَلَىٰ مَن يَشَآءُ مِنۡ عِبَادِهِۦ لِيُنذِرَ يَوۡمَ ٱلتَّلَاقِ ١٥﴾ (سورة غافر، الآية ١٥)

* ﴿ رَفِيعُ ٱلدَّرَجَٰتِ ﴾

﴿ رَفِيعُ ﴾ تأتي على وزن فعيل، وتأتي بمعنى:

* يرفع غيره، كما يرفع بعض الخلق على بعض.
* مرتفع بذاته عن الآخرين(٣).

(١) (في المطبوع ٢١/ ١٣٣١٦)
(٢) (في المطبوع ٢١/ ١٣٣١٨)
(٣) (في المطبوع ٢١/ ١٣٣٢٥)

﴿وَقَالَ مُوسَىٰٓ إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ لَّا يُؤْمِنُ بِيَوْمِ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٧﴾﴾ (سورة غافر، الآية ٢٧)

* ﴿إِنِّي عُذْتُ بِرَبِّي وَرَبِّكُم﴾

لما استعاذ موسى بربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ، بعث الله له من يدافع عنه من أهل فرعون ﴿وَقَالَ رَجُلٌ مُّؤْمِنٌ مِّنْ ءَالِ فِرْعَوْنَ يَكْتُمُ إِيمَٰنَهُۥٓ أَتَقْتُلُونَ رَجُلًا أَن يَقُولَ رَبِّيَ ٱللَّهُ وَقَدْ جَآءَكُم بِٱلْبَيِّنَٰتِ مِن رَّبِّكُمْ ۖ وَإِن يَكُ كَٰذِبًا فَعَلَيْهِ كَذِبُهُۥ ۖ وَإِن يَكُ صَادِقًا يُصِبْكُم بَعْضُ ٱلَّذِي يَعِدُكُمْ ۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ مُسْرِفٌ كَذَّابٌ ﴿٢٨﴾﴾ سورة غافر[1].

* ﴿مِّن كُلِّ مُتَكَبِّرٍ﴾

قال ﴿مُتَكَبِّرٍ﴾ ولم يقل (فرعون)، ويحتمل ذلك أمران:

* أن كلمة ﴿مُتَكَبِّرٍ﴾ تشمل جميع المتكبرين، فرعون وغيره.
* أن موسى عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ راعى مع فرعون حق التربية القديمة، فلم يذكره بالاسم، و إنما بالصفة التي تشمله هو وغيره[2].

﴿وَيَٰقَوْمِ إِنِّيٓ أَخَافُ عَلَيْكُمْ يَوْمَ ٱلتَّنَادِ ﴿٣٢﴾﴾ (سورة غافر، الآية ٣٢)

* ﴿يَوْمَ ٱلتَّنَادِ﴾

تشمل معنيين:

* التباعد، أي يبتعد بعضهم عن بعض.
* المناداة، ينادي بعضهم على بعض[3].

---

(١) في المطبوع ٢١/ ١٣٣٥٩)
(٢) في المطبوع ٢١/ ١٣٣٥٧)
(٣) في المطبوع ١٣٣٧٢)

﴿ ٱللَّهُ ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ قَرَارًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً وَصَوَّرَكُمْ فَأَحْسَنَ صُوَرَكُمْ وَرَزَقَكُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ ۚ ذَٰلِكُمُ ٱللَّهُ رَبُّكُمْ ۖ فَتَبَارَكَ ٱللَّهُ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٦٤﴾ ﴾ (سورة غافر، الآية ٦٤)

* ﴿ وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً ﴾

إذا ذكر الله تعالى خلقه للسماء قال: ﴿بِنَآءً﴾ كما في البقرة ﴿ٱلَّذِى جَعَلَ لَكُمُ ٱلْأَرْضَ فِرَٰشًا وَٱلسَّمَآءَ بِنَآءً﴾ (سورة البقرة، الآية ٢٢).

وإذا ذكر عمل الإنسان في الأرض قال: ﴿بُنْيَٰنًا﴾، ﴿فَقَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا﴾ (سورة الكهف، الآية٢١) وقوله ﴿قَالُوا۟ ٱبْنُوا۟ لَهُۥ بُنْيَٰنًا فَأَلْقُوهُ فِى ٱلْجَحِيمِ ﴿٩٧﴾﴾ سورة الصافات، وقوله ﴿يَزَالُ بُنْيَٰنُهُمُ ٱلَّذِى بَنَوْا۟ رِيبَةً فِى قُلُوبِهِمْ إِلَّآ أَن تَقَطَّعَ قُلُوبُهُمْ﴾ (سورة التوبة، الآية ١١٠) وقوله ﴿فَأَتَى ٱللَّهُ بُنْيَٰنَهُم مِّنَ ٱلْقَوَاعِدِ﴾ سورة النحل.

والسبب:

أن البنيان ترى فيه فواصل في أجزائه، وتميزاً بين لبنات بنائه، أما السماء خلق الله، ووصفها بالبناء ليدل على أنها بناءٌ محكم متماسك في أجزائها وتفاصيلها، كأنها بناءٌ واحد.

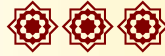
﴿ وَلَكُمْ فِيهَا مَنَٰفِعُ وَلِتَبْلُغُوا۟ عَلَيْهَا حَاجَةً فِى صُدُورِكُمْ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴿٨٠﴾ ﴾ (سورة غافر، الآية ٨٠)

* ﴿ وَعَلَيْهَا وَعَلَى ٱلْفُلْكِ تُحْمَلُونَ ﴾

الفلك نركب فيها، والأنعام نركب عليها، وهنا غلب ما يتعلق بالأنعام على ما يتعلق بالفلك لأمرين :

* تغليب لخلق الله تعالى على ما صنعه خلقه، فالأنعام من خلق الله، والفلك من صنع البشر.

* إن العرب لم تكن تعرف الفلك، وإنما تعرف الأنعام، فغلب ما يعرفونه على مالا يعرفونه[1].



(١) (في المطبوع ٢٢/ ١٣٨٥٨)

﴿ سُورَةُ فُصِّلَتْ ﴾

﴿ فَأَمَّا عَادٌ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ وَقَالُوا۟ مَنْ أَشَدُّ مِنَّا قُوَّةً ۖ أَوَلَمْ يَرَوْا۟ أَنَّ ٱللَّهَ ٱلَّذِى خَلَقَهُمْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُمْ قُوَّةً ۖ وَكَانُوا۟ بِـَٔايَٰتِنَا يَجْحَدُونَ ﴿١٥﴾ ﴾ (سورة فصلت، الآية ١٥)

* ﴿ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ فِى ٱلْأَرْضِ بِغَيْرِ ٱلْحَقِّ ﴾

يدل على جواز الاستكبار بالحق، وهو الذي يحكم بين الناس، ويردعهم عن الظلم، ويردهم إلى الصواب(١).

﴿ فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا صَرْصَرًا فِىٓ أَيَّامٍ نَّحِسَاتٍ لِّنُذِيقَهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَلَعَذَابُ ٱلْـَٔاخِرَةِ أَخْزَىٰ ۖ وَهُمْ لَا يُنصَرُونَ ﴿١٦﴾ ﴾ (سورة فصلت، الآية ١٦)

* ﴿ رِيحًا صَرْصَرًا ﴾

الصرصر: الريح الباردة التي تحرق ما أمامها، وهذا يدل على قدرة الله تعالى، وأن قدرته لا تخضع للقوانين العلمية(٢).

﴿ وَأَمَّا ثَمُودُ فَهَدَيْنَٰهُمْ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ عَلَى ٱلْهُدَىٰ فَأَخَذَتْهُمْ صَٰعِقَةُ ٱلْعَذَابِ ٱلْهُونِ بِمَا كَانُوا۟ يَكْسِبُونَ ﴿١٧﴾ ﴾ (سورة فصلت، الآية ١٧)

* ﴿ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ٱلْعَمَىٰ ﴾

لم يقل: (أحبوا) فزيادة السين في ﴿ فَٱسْتَحَبُّوا۟ ﴾ تدل على تكلفهم محبة الضلال والعمى(٣).

---

(١) (في المطبوع ٢٢/ ١٣٥٢٣)
(٢) (في المطبوع ٢٢/ ١٣٥٢٥)
(٣) (في المطبوع ٢٢/ ١٣٥٢٩)

﴿حَتَّىٰٓ إِذَا مَا جَآءُوهَا شَهِدَ عَلَيۡهِمۡ سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم بِمَا كَانُواْ يَعۡمَلُونَ ٢٠﴾

(سورة فصلت، الآية ٢٠)

* ﴿سَمۡعُهُمۡ وَأَبۡصَٰرُهُمۡ وَجُلُودُهُم﴾

جاء بالسمع والبصر لأنهما أكثر ما يتعلق بهما أحكام التكليف، من سماع الوحي ورؤية الآيات، ولم يأت بغيرهما كالأنف مثلاً لقلة ما يتعلق به من تكاليف، ثم جاء بالجلود التي تشمل الجميع، السمع والبصر وغيرهما[١].

﴿سَنُرِيهِمۡ ءَايَٰتِنَا فِي ٱلۡأٓفَاقِ وَفِيٓ أَنفُسِهِمۡ حَتَّىٰ يَتَبَيَّنَ لَهُمۡ أَنَّهُ ٱلۡحَقُّۗ أَوَلَمۡ يَكۡفِ بِرَبِّكَ أَنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَيۡءٖ شَهِيدٌ ٥٣﴾ (سورة فصلت، الآية ٥٣)

* ﴿سَنُرِيهِمۡ﴾

﴿سَنُرِيهِمۡ﴾: تأتي لما يقع في مستقبل الأيام.

* **أولم يروا**: تأتي لما وقع مستقبلاً

* **سوف**: تأتي لما سيقع في الآخرة[٢].



(١) (في المطبوع ٢٢/ ١٣٥٣٣)

(٢) (في المطبوع ٢٢/ ١٣٦٦٩)

﴿ سُورَةُ الشُّورَىٰ ﴾

﴿وَلَوْ شَآءَ ٱللَّهُ لَجَعَلَهُمْ أُمَّةً وَٰحِدَةً وَلَٰكِن يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ ۚ وَٱلظَّٰلِمُونَ مَا لَهُم مِّن وَلِىٍّ وَلَا نَصِيرٍ ﴿٨﴾﴾ (سورة الشورى، الآية ٨)

* ﴿يُدْخِلُ مَن يَشَآءُ فِى رَحْمَتِهِۦ﴾

* في الرحمة قال: ﴿مَن يَشَآءُ﴾ أي يدخلون الجنة برحمته لا بعملهم .

* وفي العذاب لم يقل ﴿مَن يَشَآءُ﴾ لأنهم إنما يدخلون النار بأعمالهم[١].

﴿شَرَعَ لَكُم مِّنَ ٱلدِّينِ مَا وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ وَمَا وَصَّيْنَا بِهِۦٓ إِبْرَٰهِيمَ وَمُوسَىٰ وَعِيسَىٰٓ ۖ أَنْ أَقِيمُوا۟ ٱلدِّينَ وَلَا تَتَفَرَّقُوا۟ فِيهِ ۚ كَبُرَ عَلَى ٱلْمُشْرِكِينَ مَا تَدْعُوهُمْ إِلَيْهِ ۚ ٱللَّهُ يَجْتَبِىٓ إِلَيْهِ مَن يَشَآءُ وَيَهْدِىٓ إِلَيْهِ مَن يُنِيبُ ﴿١٣﴾﴾ (سورة الشورى، الآية ١٣)

* ﴿وَصَّىٰ بِهِۦ نُوحًا وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾

بدأ بنوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، لأنه أول الرسل في عموميات الدين.

قال في وصية الأنبياء ﴿وَمَا وَصَّيْنَا﴾ وفيما يخص النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: ﴿وَٱلَّذِىٓ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ﴾ .

ففي الأنبياء استخدم (ما) الموصولة .

وفي النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ استخدم (الذي) وهي أم الموصولات، والمعنى أن مع النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أنواع الخير كله[٢].

---

(١) (في المطبوع ٢٢/ ١٣٧٠٥)

(٢) (في المطبوع ٢٢/ ١٣٧٢٦)

﴿ذَٰلِكَ ٱلَّذِي يُبَشِّرُ ٱللَّهُ عِبَادَهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِۗ قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰۗ وَمَن يَقۡتَرِفۡ حَسَنَةٗ نَّزِدۡ لَهُۥ فِيهَا حُسۡنًاۚ إِنَّ ٱللَّهَ غَفُورٞ شَكُورٌ ٢٣﴾

(سورة الشورى، الآية ٢٣)

* ﴿قُل لَّآ أَسۡـَٔلُكُمۡ عَلَيۡهِ أَجۡرًا﴾

أي أن ما أدعوكم إليه يستحق أن آخذ عليه أجراً، ومع ذلك، فإني لا آخذ عليه أجراً[١].

* ﴿إِلَّا ٱلۡمَوَدَّةَ فِي ٱلۡقُرۡبَىٰ﴾

تحتمل معنيين:

* أي لقرابتي فيكم فلا تؤذوني.
* أو لا تؤذوا قرابتي[٢].

﴿وَلَوۡ بَسَطَ ٱللَّهُ ٱلرِّزۡقَ لِعِبَادِهِۦ لَبَغَوۡاْ فِي ٱلۡأَرۡضِ وَلَٰكِن يُنَزِّلُ بِقَدَرٖ مَّا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ بِعِبَادِهِۦ خَبِيرُۢ بَصِيرٞ ٢٧﴾ (سورة الشورى، الآية ٢٧)

* ﴿لِعِبَادِهِۦ﴾

في آياتٍ أخرى يقول تعالى ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱذۡكُرُواْ نِعۡمَتَ ٱللَّهِ عَلَيۡكُمۡ إِذۡ هَمَّ قَوۡمٌ أَن يَبۡسُطُوٓاْ إِلَيۡكُمۡ أَيۡدِيَهُمۡ فَكَفَّ أَيۡدِيَهُمۡ عَنكُمۡۖ وَٱتَّقُواْ ٱللَّهَۚ وَعَلَى ٱللَّهِ فَلۡيَتَوَكَّلِ ٱلۡمُؤۡمِنُونَ ١١﴾ سورة المائدة، ويقول ﴿لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَيَّ يَدَكَ لِتَقۡتُلَنِي مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٖ يَدِيَ إِلَيۡكَ لِأَقۡتُلَكَۖ إِنِّيٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلۡعَٰلَمِينَ ٢٨﴾ سورة المائدة.

---

(١) (في المطبوع ٢٢/ ١٣٧٦٣)

(٢) (في المطبوع ٢٢/ ١٣٧٦٣-١٣٧٦٤)

۞ والفرق بين الاستعمالين:

* أن (إلى) تكون لنفع الباسط، وليس المبسوط له.
* و(اللام) يكون النفع للمبسوط له، وليس الباسط، وهذا هو بسط الله عَزَّوَجَلَّ لخلقه.

﴿وَٱلَّذِينَ إِذَآ أَصَابَهُمُ ٱلۡبَغۡيُ هُمۡ يَنتَصِرُونَ ﴿٣٩﴾ وَجَزَٰٓؤُاْ سَيِّئَةٖ سَيِّئَةٞ مِّثۡلُهَاۖ فَمَنۡ عَفَا وَأَصۡلَحَ فَأَجۡرُهُۥ عَلَى ٱللَّهِۚ إِنَّهُۥ لَا يُحِبُّ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٤٠﴾ وَلَمَنِ ٱنتَصَرَ بَعۡدَ ظُلۡمِهِۦ فَأُوْلَٰٓئِكَ مَا عَلَيۡهِم مِّن سَبِيلٍ ﴿٤١﴾ إِنَّمَا ٱلسَّبِيلُ عَلَى ٱلَّذِينَ يَظۡلِمُونَ ٱلنَّاسَ وَيَبۡغُونَ فِي ٱلۡأَرۡضِ بِغَيۡرِ ٱلۡحَقِّۚ أُوْلَٰٓئِكَ لَهُمۡ عَذَابٌ أَلِيمٞ ﴿٤٢﴾ وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿٤٣﴾﴾

(سورة الشورى، الآيات ٣٩-٤٣)

* ﴿وَلَمَن صَبَرَ وَغَفَرَ إِنَّ ذَٰلِكَ لَمِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ﴾
* في سورة لقمان قال تعالى: ﴿يَٰبُنَيَّ أَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ وَأۡمُرۡ بِٱلۡمَعۡرُوفِ وَٱنۡهَ عَنِ ٱلۡمُنكَرِ وَٱصۡبِرۡ عَلَىٰ مَآ أَصَابَكَۖ إِنَّ ذَٰلِكَ مِنۡ عَزۡمِ ٱلۡأُمُورِ ﴿١٧﴾﴾ سورة لقمان
* فآية الشورى فيها زيادة اللام ﴿وَلَمَن﴾ وفي آية لقمان بدون اللام ﴿مِنۡ﴾
* **وسبب الاختلاف**: أن الآية الأولى ذكر فيها الصبر والغفران، والغفران لا يكون إلا ضد غريم أو خصم لك، فإنك تصبر عليه وتغفر له، فزاد حرف اللام ترغيباً للعفو والصبر، وتأكيداً عليه[1].

﴿أَوۡ يُزَوِّجُهُمۡ ذُكۡرَانٗا وَإِنَٰثٗاۖ وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًاۚ إِنَّهُۥ عَلِيمٞ قَدِيرٞ ﴿٥٠﴾﴾ (سورة الشورى، الآية ٥٠)

---

(١) (في المطبوع ٢٢/ ١٣٨٠٧)

* ﴿وَيَجۡعَلُ مَن يَشَآءُ عَقِيمًا﴾

من رضي بقدر الله له، وسلم له دون اعتراض، بعث الله له أناسًا يخدمونه، دون أن يتعب في العثور عليهم والبحث عنهم .



﴿ سُورَةُ الزُّخْرُفِ ﴾

﴿ أَفَنَضْرِبُ عَنكُمُ ٱلذِّكْرَ صَفْحًا أَن كُنتُمْ قَوْمًا مُّسْرِفِينَ ۝٥ وَكَمْ أَرْسَلْنَا مِن نَّبِيٍّ فِي ٱلْأَوَّلِينَ ۝٦ ﴾ (سورة الزخرف، الآيتين ٥-٦)

* بعد الوعظ ذكر سير الأمم من قبلهم، وأنه لم تنتصر أمة على نبيها، فأنتم كذلك لن تنتصروا على نبيكم صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ(١).

﴿وَٱلَّذِي نَزَّلَ مِنَ ٱلسَّمَآءِ مَآءَۢ بِقَدَرٍ فَأَنشَرْنَا بِهِۦ بَلْدَةً مَّيْتًاۚ كَذَٰلِكَ تُخْرَجُونَ ۝١١﴾ (سورة الزخرف، الآية ١١)

* ﴿مَّيْتًا﴾

* ميّتًا بالتشديد أي ستؤول إلى الموت.

* ميتًا بالسكون فهي ميتة حقيقية(٢).

﴿وَكَذَٰلِكَ مَآ أَرْسَلْنَا مِن قَبْلِكَ فِي قَرْيَةٍ مِّن نَّذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَآ إِنَّا وَجَدْنَآ ءَابَآءَنَا عَلَىٰٓ أُمَّةٍ وَإِنَّا عَلَىٰٓ ءَاثَٰرِهِم مُّقْتَدُونَ ۝٢٣ ۞ قَٰلَ أَوَلَوْ جِئْتُكُم بِأَهْدَىٰ مِمَّا وَجَدتُّمْ عَلَيْهِ ءَابَآءَكُمْۖ قَالُوٓاْ إِنَّا بِمَآ أُرْسِلْتُم بِهِۦ كَٰفِرُونَ ۝٢٤ فَٱنتَقَمْنَا مِنْهُمْۖ فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ ٱلْمُكَذِّبِينَ ۝٢٥ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ إِنَّنِي بَرَآءٌ مِّمَّا تَعْبُدُونَ ۝٢٦﴾ (سورة الزخرف، الآيات ٢٣-٢٦)

* ﴿ وَإِذْ قَالَ إِبْرَٰهِيمُ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِۦٓ ﴾

---

(١) (في المطبوع ٢٢/ ١٣٨٥٠)
(٢) (في المطبوع ٢٢/ ١٣٨٥٦)

جاء بذكر إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ بعدما ذكر اتباعهم لأبآءهم، وأنهم مهتدون ومقتدون بهم، فذّكرهم بأبيهم إبراهيم الذي جاء بدين التوحيد، وأنهم لو كانوا صادقين في اتباع الآباء، لاتبعوا أباهم إبراهيم عَلَيْهِ السَّلَامُ[١].

﴿ أَهُمْ يَقْسِمُونَ رَحْمَتَ رَبِّكَ ۚ نَحْنُ قَسَمْنَا بَيْنَهُم مَّعِيشَتَهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ۚ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ لِّيَتَّخِذَ بَعْضُهُم بَعْضًا سُخْرِيًّا ۗ وَرَحْمَتُ رَبِّكَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ ﴿٣٢﴾ ﴾ (سورة الزخرف، الآية ٣٢)

* ﴿ وَرَفَعْنَا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْضٍ دَرَجَاتٍ ﴾

كل واحد مرفوع بشيء يجيد عمله، والناس كلهم محتاجون لبعضهم البعض، حتى من يقومون بأعمال أقل، المجتمع بحاجة لهم، ولا يستغني عنهم، ولا يمكن لأحد أن يقوم بجميع أعمال الحياة[٢].

﴿ وَمَن يَعْشُ عَن ذِكْرِ الرَّحْمَٰنِ نُقَيِّضْ لَهُ شَيْطَانًا فَهُوَ لَهُ قَرِينٌ ﴿٣٦﴾ ﴾ (سورة الزخرف، الآية ٣٦)

* يقيض الله للإنسان ما يريد بحسب اهتمامه وأفكاره، فمن فكر بالحزن جلب الله إليه الحزن، ومن فكر بالخير جلب الله إليه الخير[٣].

﴿ وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مُوسَىٰ بِآيَاتِنَا إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَقَالَ إِنِّي رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ ﴿٤٦﴾ ﴾ (سورة الزخرف، الآية ٤٦)

* جاء هنا بذكر موسى عَلَيْهِ السَّلَامُ، لأنه سبق أن قالوا: ﴿ وَقَالُوا لَوْلَا نُزِّلَ هَٰذَا الْقُرْآنُ عَلَىٰ رَجُلٍ مِّنَ الْقَرْيَتَيْنِ عَظِيمٍ ﴿٣١﴾ ﴾.

---

(١) (في المطبوع ٢٢/ ١٣٨٨٠)
(٢) (في المطبوع ٢٢/ ١٣٨٨٨)
(٣) (في المطبوع ٢٢/ ١٣٨٩١)

❊ ليبين لهم شرف محمد صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيهم، فموسى لم يكن في قومه مثل النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فيهم، ومع ذلك فإن الله تعالى أرسله إلى من هو أعظم منهم، إلى فرعون الذي ادعى الألوهية[١].

﴿وَنَادَىٰ فِرْعَوْنُ فِي قَوْمِهِۦ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٥١﴾﴾ (سورة الزخرف، الآية ٥١)

❊ ﴿أَلَيْسَ لِي مُلْكُ مِصْرَ﴾

تتابع الآيات عليه، نقص السنين والثمرات وغيرها، خففت من دعوى الألوهية لديه، فصار يرجع إلى قومه يسألهم عن ملكه بعد أن كان إلهـًا[٢].

❊ ﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ تَجْرِي مِن تَحْتِيٓ﴾

كانت قصوره على الأنهار، والأنهار تجري من تحتها، وهذا يدل على السيطرة والتمكن[٣].

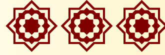
❊ ﴿وَهَٰذِهِ ٱلْأَنْهَٰرُ﴾

المعروف أن في مصر نهر واحد هو النيل، فأين هذي الأنهار؟

❊ **والجواب:** في تاريخ مصر القديم كان هناك خمسة أنهار مع نهر النيل، نهر الملك، ونهر دمياط، ونهر طولون، ونهر تنيّس، ونهر الخليج، وهناك رأي أن الفراعنة حفروا الأنهار الأربعة، لأنهم يريدون أن يجعلوا مصر مثل الجنة، والجنة ذُكر فيها أربعة أنهار في قوله تعالى ﴿مَّثَلُ ٱلْجَنَّةِ ٱلَّتِي وُعِدَ

(١) في المطبوع ٢٢/ ١٣٩٠١)
(٢) (في المطبوع ٢٢/ ١٣٩١٣)
(٣) (في المطبوع ٢٢/ ١٣٩١٨)

ٱلْمُتَّقُونَ ۖ فِيهَآ أَنْهَٰرٌ مِّن مَّآءٍ غَيْرِ ءَاسِنٍ وَأَنْهَٰرٌ مِّن لَّبَنٍ لَّمْ يَتَغَيَّرْ طَعْمُهُۥ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ خَمْرٍ لَّذَّةٍ لِّلشَّٰرِبِينَ وَأَنْهَٰرٌ مِّنْ عَسَلٍ مُّصَفًّى﴾ سورة محمد[1].



(١) (في المطبوع ٢٢/ ١٣٩١٧-١٣٩١٨)

﴿ سُورَةُ الدُّخَانِ ﴾

﴿ وَنَعۡمَةٖ كَانُواْ فِيهَا فَٰكِهِينَ ٢٧ ﴾ (سورة الدخان، الآية ٢٧)

* ﴿ وَنَعۡمَةٖ ﴾

وردت بالفتح مرتين في القرآن الكريم هنا وفي سورة المزمل ﴿ وَذَرۡنِي وَٱلۡمُكَذِّبِينَ أُوْلِي ٱلنَّعۡمَةِ وَمَهِّلۡهُمۡ قَلِيلًا ١١ ﴾ سورة المزمل.

وبالكسر وردت أربعـًا وثلاثين مرة.

والفرق بينهما :

* **بالفتح**: المقصود بها (المتنعم بها) فهي قد وجدت النعمة ووجد التنعم بها.
* **بالكسر**: وجدت النعمة، وقد يوجد التنعم بها، وقد لا يوجد التنعم بها، لمانعٍ من مرض أو كبر سنٍ أو غير ذلك من الموانع[(١)].

﴿ يَوۡمَ لَا يُغۡنِي مَوۡلًى عَن مَّوۡلٗى شَيۡـٔٗا وَلَا هُمۡ يُنصَرُونَ ٤١ ﴾ (سورة الدخان، الآية ٤١)

* في آية أخرى قال ﴿ لَن تَنفَعَكُمۡ أَرۡحَامُكُمۡ وَلَآ أَوۡلَٰدُكُمۡۚ يَوۡمَ ٱلۡقِيَٰمَةِ يَفۡصِلُ بَيۡنَكُمۡۚ وَٱللَّهُ بِمَا تَعۡمَلُونَ بَصِيرٞ ٣ ﴾ سورة الممتحنة
* وهنا تحدث عن الموالي لإن بعض الناس يكون له موالي، فهؤلاء أيضـًا لن يغنيه مواليه ولن يدافعوا عنه[(٢)].

---

(١) (في المطبوع ٢٢/ ١٤٠٠٣)

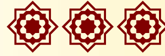
(٢) (في المطبوع ٢٢/ ١٤٠١٩)

﴿خُذُوهُ فَٱعۡتِلُوهُ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ ٤٧﴾ (سورة الدخان، الآية ٤٧)

* ﴿سَوَآءِ ٱلۡجَحِيمِ﴾

* أي وسط الجحيم، فهو أشد في العذاب من مجرد الإلقاء في الجحيم.

* في وسط الجحيم وليس في طرفها، حتى لا يكون له أمل في الخروج منها[١].



(١) (في المطبوع ٢٢/ ١٤٠٢٢)

سُورَةُ الجَاثِيَةِ

﴿فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ وَعَمِلُواْ ٱلصَّٰلِحَٰتِ فَيُدۡخِلُهُمۡ رَبُّهُمۡ فِي رَحۡمَتِهِۦۚ ذَٰلِكَ هُوَ ٱلۡفَوۡزُ ٱلۡمُبِينُ ٣٠﴾ (سورة الجاثية، الآية ٣٠)

* ﴿فِي رَحۡمَتِهِۦ﴾

ظرف ومظروف، وكأن العبد داخلٌ في رحمة الله، تحيط به الرحمة من كل مكان[١].

﴿وَلَهُ ٱلۡكِبۡرِيَآءُ فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ٣٧﴾ (سورة الجاثية، الآية ٣٧)

* ﴿وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ﴾

انتهت السورة بهاتين الصفتين للرحمن، وقد بدأت السورة بهما ﴿حمٓ ١ تَنزِيلُ ٱلۡكِتَٰبِ مِنَ ٱللَّهِ ٱلۡعَزِيزِ ٱلۡحَكِيمِ ٢﴾ سورة الجاثية

وهذا تأكيد على أن أفعال الله تعالى كلها لحكمة، واستغناء عن خلقه سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ[٢].



(١) (في المطبوع ٢٣/ ١٤١٢٧)

(٢) (في المطبوع ٢٣/ ١٤١٣٨)

﴿ سُورَةُ الأَحْقَافِ ﴾

﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا ۖ حَمَلَتْهُ أُمُّهُۥ كُرْهًا وَوَضَعَتْهُ كُرْهًا ۖ وَحَمْلُهُۥ وَفِصَٰلُهُۥ ثَلَٰثُونَ شَهْرًا ۚ حَتَّىٰٓ إِذَا بَلَغَ أَشُدَّهُۥ وَبَلَغَ أَرْبَعِينَ سَنَةً قَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِىٓ أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ ٱلَّتِىٓ أَنْعَمْتَ عَلَىَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَىَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَٰلِحًا تَرْضَىٰهُ وَأَصْلِحْ لِى فِى ذُرِّيَّتِىٓ ۖ إِنِّى تُبْتُ إِلَيْكَ وَإِنِّى مِنَ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٥﴾﴾ (سورة الأحقاف، الآية ١٥)

* ﴿وَوَصَّيْنَا ٱلْإِنسَٰنَ بِوَٰلِدَيْهِ إِحْسَٰنًا﴾

الوصية بالوالدين جاءت لعموم الناس، المسلم وغير المسلم، والحكمة من ذلك، أن يعرف حق من كانا سبباً في وجوده في الحياة، فيعرف بعد ذلك حق الله تعالى، الذي أوجده وأوجد والديه[١].

﴿أُو۟لَٰٓئِكَ ٱلَّذِينَ نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا۟ وَنَتَجَاوَزُ عَن سَيِّـَٔاتِهِمْ فِىٓ أَصْحَٰبِ ٱلْجَنَّةِ ۖ وَعْدَ ٱلصِّدْقِ ٱلَّذِى كَانُوا۟ يُوعَدُونَ ﴿١٦﴾﴾ (سورة الأحقاف، الآية ١٦)

* ﴿نَتَقَبَّلُ عَنْهُمْ﴾

الأصل أن تأتي (نتقبل منهم) ولكن جاءت ﴿عَنْهُمْ﴾ حتى يشمل توبته عن السيئات التي فعلها[٢].



(١) (في المطبوع ٢٣/ ١٤١٨٦)

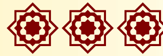
(٢) (في المطبوع ٢٣/ ١٤٢٠٢)

سُورَةُ مُحَمَّدٍ

﴿طَاعَةٌ وَقَوْلٌ مَّعْرُوفٌ ۚ فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ فَلَوْ صَدَقُوا اللَّهَ لَكَانَ خَيْرًا لَّهُمْ ﴿٢١﴾﴾ (سورة محمد، الآية ٢١)

* ﴿فَإِذَا عَزَمَ الْأَمْرُ﴾

لا يعزم الأمر عليك إلا إذا كان فيه خيّر لك، فالأمر هو الذي يعزم نفسه عليك[1].



(١) (في المطبوع ٢٣/ ١٤٣٣٠)

﴿ سُورَةُ الفَتْح ﴾

﴿لِّيُدْخِلَ ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ جَنَّٰتٍ تَجْرِى مِن تَحْتِهَا ٱلْأَنْهَٰرُ خَٰلِدِينَ فِيهَا وَيُكَفِّرَ عَنْهُمْ سَيِّـَٔاتِهِمْ ۚ وَكَانَ ذَٰلِكَ عِندَ ٱللَّهِ فَوْزًا عَظِيمًا ۝٥﴾ (سورة الفتح، الآية ٥)

* ﴿ٱلْمُؤْمِنِينَ وَٱلْمُؤْمِنَٰتِ﴾

المرأة عادةً لا تذكر في الآيات لأنها تدخل تبعًا للرجل، أما ذكرها هنا، ليبين أنه لا يشملها حكم الجهاد في سبيل الله، في قوله تعالى: ﴿وَيَنصُرَكَ ٱللَّهُ نَصْرًا عَزِيزًا ۝٣﴾ سورة الفتح[1].



(١) (في المطبوع ٢٣/ ١٤٣٨٣)

﴿ سُورَةُ قٓ ﴾

﴿ وَٱلنَّخْلَ بَاسِقَٰتٍ لَّهَا طَلْعٌ نَّضِيدٌ ﴿١٠﴾ ﴾ (سورة ق، الآية ١٠)

* ﴿ بَاسِقَٰتٍ ﴾

يعني طويلات، والنخل شجر يموت واقفًا، ولا تؤثر فيه الرياح كما تؤثر في غيره[١].

﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ مُعْتَدٍ مُّرِيبٍ ﴿٢٥﴾ ﴾ (سورة ق، الآية ٢٥)

* ﴿ مَّنَّاعٍ لِّلْخَيْرِ ﴾

هو كافر فأي خير يمنعه :

* يمنع الخير عن نفسه، الهداية وغيرها .
* يمنع الخير عن غيره.
* يمنع غيره من بذل الخير للآخرين .
* يسعى لامتلاك خير الغير بطرقٍ غير مشروعة، كالسرقة والرشوة وغيرها[٢].

﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ذَٰلِكَ يَوْمُ ٱلْخُلُودِ ﴿٣٤﴾ ﴾ (سورة ق، الآية ٣٤)

* ﴿ ٱدْخُلُوهَا بِسَلَٰمٍ ﴾

(سلام) تحتمل أمرين :

* أي دخولها وأنتم في حالة سلام لأنفسكم .

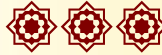
---

(١) (في المطبوع ٢٣/ ١٤٥١٣)
(٢) (في المطبوع ٢٣/ ١٤٥٢٧)

* سلموا على أهل الجنة من الملائكة الذين هم فيها يستقبلونكم[١].

* ﴿ذَٰلِكَ يَوۡمُ ٱلۡخُلُودِ﴾

جيء بالخلود لأن من أهل الجنة من عاش في نعمة وسلام في الدنيا، وما كان ينقصه من نعيم الدنيا إلا الخلود، فذكر هنا نعيم الخلود الذي كان ينقصه[٢].



(١) (في المطبوع ٢٣/ ١٤٥٣٦)
(٢) (في المطبوع ٢٣/ ١٤٥٣٦)

﴿ سُورَةُ الذَّارِيَاتِ ﴾

﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى جَنَّٰتٍ وَعُيُونٍ ﴿١٥﴾ ءَاخِذِينَ مَآ ءَاتَىٰهُمْ رَبُّهُمْ ۚ إِنَّهُمْ كَانُوا۟ قَبْلَ ذَٰلِكَ مُحْسِنِينَ
﴿١٦﴾ كَانُوا۟ قَلِيلًا مِّنَ ٱلَّيْلِ مَا يَهْجَعُونَ ﴿١٧﴾ وَبِٱلْأَسْحَارِ هُمْ يَسْتَغْفِرُونَ ﴿١٨﴾ وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ
لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿١٩﴾﴾ (سورة الذاريات، الآيات ١٥-١٩)

* ﴿وَفِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ﴾

هنا المقام مقام إحسان، والإحسان: فعل شيء من جنس ما أمرت به، مثل صلاة الليل، والصدقة، ولهذا سمى العلاقة مع الوالدين إحسانًا.

أما ما جاء في سورة المعارج من قوله تعالى ﴿وَٱلَّذِينَ فِىٓ أَمْوَٰلِهِمْ حَقٌّ مَّعْلُومٌ ﴿٢٤﴾ لِّلسَّآئِلِ وَٱلْمَحْرُومِ ﴿٢٥﴾﴾ سورة المعارج

فهو المفروض عليهم من زكاة أموالهم، فالأمر في المعارج هو الواجب عليهم، وفي سورة الذاريات هو إحسان وتطوع منهم، مع قيامهم بالواجب عليهم، وهذا أعلى درجة[1].

﴿وَفِىٓ أَنفُسِكُمْ ۚ أَفَلَا تُبْصِرُونَ ﴿٢١﴾﴾ (سورة الذاريات، الآية ٢١)

* أي أن مجرد نظرة بصيرة في أجسامكم وأرواحكم، تدلكم على طريق الإيمان[2].

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ ضَيْفِ إِبْرَٰهِيمَ ٱلْمُكْرَمِينَ ﴿٢٤﴾﴾ (سورة الذاريات، الآية ٢٤)

(١) (في المطبوع ٢٣/ ١٤٥٦٩)
(٢) (في المطبوع ٢٣/ ١٤٥٧٧)

* ﴿ضَيۡفِ﴾

سماهم ضيف (اسم جنس) إشارة إلى اهتمام إبراهيم عَلَيۡهِ ٱلسَّلَامُ بجميع ضيوفه على حد سواء، فلم يقدم أحداً على أحد، وهكذا ينبغي الاهتمام بالضيوف في المساواة في الترحيب بهم جميعاً[١].

﴿قَالَ فَمَا خَطۡبُكُمۡ أَيُّهَا ٱلۡمُرۡسَلُونَ ٣١﴾ (سورة الذاريات، الآية ٣١)

* ﴿خَطۡبُكُمۡ﴾

كلمة (الخطب) تأتي في الأمور العظيمة، جاءت هنا، وجاءت في قوله تعالى ﴿٢٣﴾ ﴿وَلَمَّا وَرَدَ مَآءَ مَدۡيَنَ وَجَدَ عَلَيۡهِ أُمَّةً مِّنَ ٱلنَّاسِ يَسۡقُونَ وَوَجَدَ مِن دُونِهِمُ ٱمۡرَأَتَيۡنِ تَذُودَانِۖ قَالَ مَا خَطۡبُكُمَاۖ قَالَتَا لَا نَسۡقِي حَتَّىٰ يُصۡدِرَ ٱلرِّعَآءُۖ وَأَبُونَا شَيۡخٞ كَبِيرٞ ٢٣﴾ (سورة القصص، الآية ٢٣)[٢].

﴿لِنُرۡسِلَ عَلَيۡهِمۡ حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ ٣٣﴾ (سورة الذاريات، الآية ٣٣)

* ﴿حِجَارَةٗ مِّن طِينٖ﴾

الحجارة غير الطين، فالحجارة قاسية، والطين لين، فكيف يجتمعان؟

والجواب: أنها حجارة أصلها طين، تطبخ على النار، فتكون قاسية بعد ذلك[٣].

﴿فَأَخَذۡنَٰهُ وَجُنُودَهُۥ فَنَبَذۡنَٰهُمۡ فِي ٱلۡيَمِّ وَهُوَ مُلِيمٞ ٤٠﴾ (سورة الذاريات، الآية ٤٠)

---

(١) (في المطبوع ٢٣/ ١٤٥٨٣)

(٢) (في المطبوع ٢٣/ ١٤٥٨٩)

(٣) (في المطبوع ٢٣/ ١٤٥٨٩)

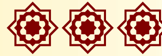
* ﴿وَهُوَ مُلِيمٌ﴾

فعل ما يُلام عليه[١].

﴿وَمَا خَلَقْتُ ٱلْجِنَّ وَٱلْإِنسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ ۝٥٦﴾ (سورة الذاريات، الآية ٥٦)

* ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾

اللام في ﴿لِيَعْبُدُونِ﴾ عائدة على الجن والإنس، وليست عائدة إلى الله عَزَّوَجَلَّ، لأن الله لا ينتفع بعبادتهم له، فهو غني عنهم وعن عبادتهم، وإنما النفع يكون لهم بعبادتهم لله عَزَّوَجَلَّ[٢].



(١) (في المطبوع ٢٣/ ١٤٥٩٩)

(٢) (في المطبوع ٢٣/ ١٤٦١٥)

﴿ سُورَةُ الطُّورِ ﴾

﴿ وَٱلطُّورِ ۝١ ﴾ (سورة الطور، الآية ١)

ورد الطور عشر مرات في القرآن الكريم، وهو المكان الذي كلم الله فيه موسى عَلَيْهِٱلسَّلَامُ(١).

﴿ وَٱلۡبَحۡرِ ٱلۡمَسۡجُورِ ۝٦ ﴾ (سورة الطور، الآية ٦)

لها معنيان:

- ملأه ماءً
- ملأه ناراً(٢).

﴿ قَالُوٓاْ إِنَّا كُنَّا قَبۡلُ فِيٓ أَهۡلِنَا مُشۡفِقِينَ ۝٢٦ ﴾ (سورة الطور، الآية ٢٦)

- ﴿ مُشۡفِقِينَ ﴾

أي خائفين من الله تعالى، محبة له وتعظيماً ألا نقوم بحقه كما ينبغي له عَزَّوَجَلَّ(٣).



(١) (في المطبوع ٢٣/ ١٤٦٢٩)
(٢) (في المطبوع ٢٣/ ١٤٦٣٠)
(٣) (في المطبوع ٢٣/ ١٤٦٤٦)

﴿ سُورَةُ النَّجْمِ ﴾

﴿ وَلَقَدْ رَءَاهُ نَزْلَةً أُخْرَىٰ ﴿١٣﴾ ﴾ (سورة النجم، الآية ١٣)

هو جبريل عَلَيْهِ السَّلَامُ، ورؤيته فيه تشريف لجبريل وللنبي صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، إذ جعل رؤية جبريل على هيئته الحقيقية من الآيات الكبرى[١].

﴿ تِلْكَ إِذًا قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴿٢٢﴾ ﴾ (سورة النجم، الآية ٢٢)

* ﴿ قِسْمَةٌ ضِيزَىٰ ﴾

لأن قسمتهم عجيبة، جاء بهذا اللفظ العجيب، الذي لم يتكرر في القرآن مرة أخرى[٢].

﴿ فَلِلَّهِ الْآخِرَةُ وَالْأُولَىٰ ﴿٢٥﴾ ﴾ (سورة النجم، الآية ٢٥)

قدم الآخرة لأنها هي محل النزاع، هل هناك آخرة أم لا؟[٣].

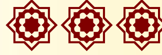
﴿ وَأَنَّهُ هُوَ أَضْحَكَ وَأَبْكَىٰ ﴿٤٣﴾ وَأَنَّهُ هُوَ أَمَاتَ وَأَحْيَا ﴿٤٤﴾ ﴾ (سورة النجم، الآيتين ٤٣-٤٤)

ذكر الله تعالى الضحك والبكاء مع الحياة والموت، والسبب أن الضحك والبكاء من إعجاز الله في خلقه كالحياة والموت، فلا يوجد عضو في الجسد هو عضو للضحك أو عضو للبكاء، كالعين للبصر والأذن للسماع، بل هما الضحك والبكاء مرتبطان بالشعور الذي خلقه الله تعالى في الإنسان، كالحياة والموت،

(١) (في المطبوع ٢٣/ ١٤٦٨٥)
(٢) (في المطبوع ٢٤/ ١٤٦٩٢)
(٣) (في المطبوع ٢٤/ ١٤٧٠٣)

لا يوجد عضو للحياة، ولا عضو للموت .

وكذلك فإن الضحك والبكاء صفتان يشترك فيهما جميع الناس، يضحكون مثل بعضهم، ويبكون مثل بعضهم، ليس هناك ضحك خاص بالعرب، أو ضحك خاص بالروم، وكذلك الأمر بالنسبة للموت[١].



(١) (في المطبوع ٢٤/ ١٤٧٣٠)

سُورَةُ القَمَرِ

﴿ٱقْتَرَبَتِ ٱلسَّاعَةُ وَٱنشَقَّ ٱلْقَمَرُ ۝١﴾ (سورة القمر، الآية ١)

* ﴿ٱلسَّاعَةُ﴾

السـاعة يقصد بها:

يوم القيامة ساعة كل إنسان، وهي موته، فمن مات فقد قامت قيامته[١].

﴿تَجْرِى بِأَعْيُنِنَا جَزَآءً لِّمَن كَانَ كُفِرَ ۝١٤﴾ (سورة القمر، الآية ١٤)

* ﴿لِّمَن كَانَ كُفِرَ﴾

* يراد بها إما نوح عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ، أي جزاءً لمن كفر به.
* يراد بها الكفار الذين كفروا برسالة نوحٍ عَلَيْهِ ٱلسَّلَامُ[٢].

﴿وَلَقَدْ يَسَّرْنَا ٱلْقُرْءَانَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِن مُّدَّكِرٍ ۝١٧﴾ (سورة القمر، الآية ١٧)

تكررت هذه الآية في هذه السورة، مع ذكر قصص الأنبياء، إشارة إلى هيمنة القرآن على الكتب السماوية الأخرى[٣].

﴿فَذُوقُواْ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝٣٩﴾ (سورة القمر، الآية ٣٩)

جاءت هنا بخلاف قوله تعالى: ﴿فَكَيْفَ كَانَ عَذَابِى وَنُذُرِ ۝٢١﴾ إشارة إلى أن جريمتهم أعظم، وعقابهم أشد[٤].

(١) في المطبوع ٢٤/ ١٤٧٤٨)
(٢) في المطبوع ٢٤/ ١٤٧٤٨)
(٣) في المطبوع ٢٤/ ١٤٧٨٢)
(٤) في المطبوع ٢٤/ ١٤٧٨٤)

﴿ سُورَةُ الرَّحۡمَٰنِ ﴾

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١﴾ (سورة الرحمن، الآية ١)

بدأت سورة الرحمن بهذه الصفة العظيمة لله تعالى، بعد أن انتهت سورة القمر بقوله تعالى: ﴿فِي مَقۡعَدِ صِدۡقٍ عِندَ مَلِيكٖ مُّقۡتَدِرِۭ ٥٥﴾ سورة القمر.

إشارة إلى رحمة الرب سُبۡحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ، الذي كما أن من صفاته الملك والقدرة، فإن من صفته الرحمة بخلقه(١).

الرحمان جاء في التفسير أنه رحمان بالخلق في الدنيا، فرحمته تشمل المؤمن والكافر، أما الرحيم فهي خاصة بالمؤمنين، وقيل خاصة بالآخرة(٢).

﴿ٱلرَّحۡمَٰنُ ١ عَلَّمَ ٱلۡقُرۡءَانَ ٢ خَلَقَ ٱلۡإِنسَٰنَ ٣ عَلَّمَهُ ٱلۡبَيَانَ ٤ ٱلشَّمۡسُ وَٱلۡقَمَرُ بِحُسۡبَانٖ ٥ وَٱلنَّجۡمُ وَٱلشَّجَرُ يَسۡجُدَانِ ٦ وَٱلسَّمَآءَ رَفَعَهَا وَوَضَعَ ٱلۡمِيزَانَ ٧ أَلَّا تَطۡغَوۡاْ فِي ٱلۡمِيزَانِ ٨ وَأَقِيمُواْ ٱلۡوَزۡنَ بِٱلۡقِسۡطِ وَلَا تُخۡسِرُواْ ٱلۡمِيزَانَ ٩﴾

(سورة الرحمن، الآيات ١-٩)

جاء بالميزان في هذه الآيات، لتنبيه الإنسان الذي يريد أن تستقيم حياته كما استقامت كواكب الكون بانتظام أن يقيم العدل ولا يظلم أحداً فتستقيم له الحياة كما استقامت هذه الكواكب(٣).

(١) (في المطبوع ٢٤/ ١٤٧٩٦)

(٢) (في المطبوع ٢٤/ ١٤٨٠٠)

(٣) (في المطبوع ٢٤/ ١٤٨١٣)

﴿يَخْرُجُ مِنْهُمَا ٱللُّؤْلُؤُ وَٱلْمَرْجَانُ ﴿٢٢﴾﴾ (سورة الرحمن، الآية ٢٢)

أي بمجموعهما، لأن المعروف أنهما يخرج من الماء المالح[1].

﴿وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ جَنَّتَانِ ﴿٤٦﴾﴾ (سورة الرحمن، الآية ٤٦)

* ﴿وَمِن دُونِهِمَا جَنَّتَانِ ﴿٦٢﴾﴾
* ﴿جَنَّتَانِ﴾

لماذا جنتان؟

لأن الله قد أعد لكل إنسان جنةً إن آمن، وناراً إن كفر، وجنة الكافرين يرثها المؤمنون، وهذا تفسير قوله تعالى: ﴿وَتِلْكَ ٱلْجَنَّةُ ٱلَّتِىٓ أُورِثْتُمُوهَا بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ ﴿٧٢﴾﴾ (سورة الزخرف، الآية ٧٢)[2].



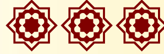
(١) (في المطبوع ٢٤/ ١٤٨٢٤)

(٢) (في المطبوع ٢٤/ ١٤٨٣٥)

سُورَةُ الوَاقِعَةِ

﴿أَفَرَءَيْتُمُ ٱلنَّارَ ٱلَّتِى تُورُونَ ۝٧١ ءَأَنتُمْ أَنشَأْتُمْ شَجَرَتَهَآ أَمْ نَحْنُ ٱلْمُنشِـُٔونَ ۝٧٢ نَحْنُ
جَعَلْنَٰهَا تَذْكِرَةً وَمَتَٰعًا لِّلْمُقْوِينَ ۝٧٣﴾ (سورة الواقعة، الآيات ٧١-٧٣)

لم يذكر نهاية النار، كما ذكر نهاية ما سبقها من الماء والحرث والمني، حتى تبقى عظة وتخويفًا للناس، وعبرة لهم[١].



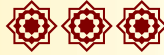
(١) (في المطبوع ٢٤/ ١٤٨٧٧)

سُورَةُ المُجَادلَةِ

﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ يُحَآدُّونَ ٱللَّهَ وَرَسُولَهُۥ كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡۚ وَقَدۡ أَنزَلۡنَآ ءَايَٰتِۭ بَيِّنَٰتٖۚ وَلِلۡكَٰفِرِينَ عَذَابٞ مُّهِينٞ ٥﴾ (سورة المجادلة، الآية ٥)

* ﴿كُبِتُواْ كَمَا كُبِتَ ٱلَّذِينَ مِن قَبۡلِهِمۡ﴾

هزموا بالصدمة، وهم ليسوا أول الناس في ذلك، بل أمم قبلهم كذلك[1].



(١) (في المطبوع ٢٤/ ١٤٩٩٥)

سُورَةُ الحَشْرِ

﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَمَا فِي ٱلۡأَرۡضِۖ وَهُوَ ٱلۡعَزِيزُ ٱلۡحَكِيمُ ١﴾ (سورة الحشر، الآية ١)

المناسبة بين سورة الحشر وسورة المجادلة.

* نهاية سورة المجادلة ذكرت فريقين، حزب الله، وحزب الشيطان، وذكرت أوصافهم .
* وفي سورة الحشر تطبيق عملي لهذين الفريقين، فريقٌ كان من حزب الشيطان، وماذا حل به .
* وفريقٌ كان من حزب الله، وماذا وقع له[١].



(١) (في المطبوع ٢٤/ ١٥٠٣٧)

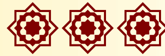
سُورَةُ الصَّفِّ

﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ٣﴾ (سورة الصف، الآيتين ٢-٣)

* ﴿مَا لَا تَفۡعَلُونَ﴾

الفرق بين العمل والفعل .

* **العمل**: عمل باللسان والجوارح .
* **الفعل**: عمل الجوارح دون عمل عمل اللسان[١].



(١) (في المطبوع ٢٤/ ١٥١٦٥)

سُورَةُ التَّحْرِيمِ

﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ
مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ
مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ
ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ
﴿١١﴾ وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ
بِكَلِمَٰتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِۦ وَكَانَتْ مِنَ ٱلْقَٰنِتِينَ ﴿١٢﴾﴾ (سورة التحريم، الآيات ١٠-١٢)

* إذا ذكر الله تعالى قصة بأسماء أصحابها وأعيانهم، فهي قصة لا تتكرر ومثالها قوله تعالى ﴿وَمَرْيَمَ ٱبْنَتَ عِمْرَٰنَ ٱلَّتِىٓ أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا﴾ فهي قصة غير قابلة للتكرار.

* إذا ذكر الله تعالى قصة بلا أسماء ولا أماكن، فهي قابلة للتكرار، مثاله قوله تعالى عن امرأة نوح وامرأة لوط وامرأة فرعون. ﴿ضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ كَفَرُوا۟ ٱمْرَأَتَ نُوحٍ وَٱمْرَأَتَ لُوطٍ ۖ كَانَتَا تَحْتَ عَبْدَيْنِ مِنْ عِبَادِنَا صَٰلِحَيْنِ فَخَانَتَاهُمَا فَلَمْ يُغْنِيَا عَنْهُمَا مِنَ ٱللَّهِ شَيْـًٔا وَقِيلَ ٱدْخُلَا ٱلنَّارَ مَعَ ٱلدَّٰخِلِينَ ﴿١٠﴾ وَضَرَبَ ٱللَّهُ مَثَلًا لِّلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ ٱمْرَأَتَ فِرْعَوْنَ إِذْ قَالَتْ رَبِّ ٱبْنِ لِى عِندَكَ بَيْتًا فِى ٱلْجَنَّةِ وَنَجِّنِى مِن فِرْعَوْنَ وَعَمَلِهِۦ وَنَجِّنِى مِنَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١١﴾﴾.

* والمقصود بالتكرار أنها يمكن أن تقع لأحد، تشابه ظروفه ظروف أصحاب القصة[١].

---

(١) (في المطبوع ٢/ ١٠٣٢)

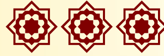
سُورَةُ المُرْسَلَاتِ

﴿وَجَعَلْنَا فِيهَا رَوَاسِيَ شَامِخَاتٍ وَأَسْقَيْنَاكُم مَّاءً فُرَاتًا ﴿٢٧﴾﴾ (سورة المرسلات، الآية ٢٧)

* ﴿وَأَسْقَيْنَاكُم﴾

الفرق بين سقى وأسقى.

* **سقى**: سقاهم ماءً يشربونه الآن، كقوله تعالى ﴿وَسَقَاهُمْ رَبُّهُمْ شَرَابًا طَهُورًا ﴿٢١﴾﴾ سورة الإنسان، وقوله تعالى ﴿فَسَقَىٰ لَهُمَا ثُمَّ تَوَلَّىٰ إِلَى الظِّلِّ فَقَالَ رَبِّ إِنِّي لِمَا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ فَقِيرٌ ﴿٢٤﴾﴾ سورة القصص
* **أسقى**: أوجد لهم ماءً يشربونه بعد حين، مثل آية المرسلات .



﴿ سُورَةُ النَّبَإِ ﴾

❁ المناسبة بين سورة النبأ، وسورتي المرسلات والإنسان .

سورة المرسلات بدأت بالقسم على ﴿وَٱلْمُرْسَلَٰتِ عُرْفًا ۝١﴾ سورة المرسلات، وانتهت إلى قوله ﴿وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا يَوْمُ ٱلْفَصْلِ ۝١٤﴾ سورة المرسلات.

فجاءت سورة النبأ لتوضح ما هو يوم الفصل .

سورة المرسلات تحدثت عن عذاب أهل النار، وفصلت فيه، ولم تتعرض لنعيم أهل الجنة إلا في قوله تعالى ﴿إِنَّ ٱلْمُتَّقِينَ فِى ظِلَٰلٍ وَعُيُونٍ ۝٤١﴾ سورة المرسلات.

وسورة الإنسان تعرضت لنعيم أهل الجنة بالتفصيل، ولم تتعرض لعذاب أهل النار إلا في قوله تعالى ﴿إِنَّآ أَعْتَدْنَا لِلْكَٰفِرِينَ سَلَٰسِلَا۟ وَأَغْلَٰلًا وَسَعِيرًا ۝٤﴾ سورة الإنسان.

فجاءت سورة النبأ بعدهما، وتكلمت عن الفريقين كما قال تعالى ﴿جَزَآءً وِفَاقًا ۝٢٦﴾ سورة النبأ.

📖 ﴿عَمَّ يَتَسَآءَلُونَ ۝١﴾ (سورة النبأ، الآية ١)

❊ مادة تساءل تختلف عن مادة سأل .

❊ سأل هو سائل يبحث عن إجابة.

❊ تساءل هو سائل يبحث عن إجابة، ومسئول أيضـًا يُطلب منه إجابة أيضـًا، فهو سائل ومسئول في ذات الوقت. فكأنهم مجتمعون في مكان واحد يتساءلون بينهم .

﴿وَسُيِّرَتِ ٱلْجِبَالُ فَكَانَتْ سَرَابًا ﴿٢٠﴾﴾ (سورة النبأ، الآية ٢٠)

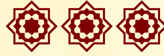
* ﴿سَرَابًا﴾

ورد في آياتٍ أخرى قوله تعالى ﴿وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلْجِبَالِ فَقُلْ يَنسِفُهَا رَبِّى نَسْفًا ﴿١٠٥﴾ فَيَذَرُهَا قَاعًا صَفْصَفًا ﴿١٠٦﴾ لَّا تَرَىٰ فِيهَا عِوَجًا وَلَآ أَمْتًا ﴿١٠٧﴾﴾ سورة طه

وقوله تعالى ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلْأَرْضُ وَٱلْجِبَالُ وَكَانَتِ ٱلْجِبَالُ كَثِيبًا مَّهِيلًا ﴿١٤﴾﴾ سورة المزمل

والجمع بينهما:

* إما أن يكون النسف بمعنى التسيير.
* أو أن الجبال منها ما يقع عليه النسف، ومنها ما يقع عليه التسيير فيكون سرابـًا، وذلك بحسب اختلاف طبيعة الجبال.
* والمآل كله إلى زوال هذه الجبال الصامدة أمام الأعين .



﴿ سُورَةُ النَّازِعَاتِ ﴾

المناسبة بين سورة المنازعات وسورة النبأ .

* جاءت سورة النبأ لتبين حال القيامة بالشهادة، وجاءت سورة النازعات لتبين حال القيامة بالقسم .

* وسورة النبأ تكلمت عن الساعة، ولم تتكلم عما يسبق الآخرة من انقلاب في الكون، فجاءت سورة النازعات لتبين ذلك .

﴿يَوْمَ تَرْجُفُ ٱلرَّاجِفَةُ ﴿٦﴾﴾ (سورة النازعات، الآية ٦)

* كأن الله سُبْحَانَهُۥ وَتَعَالَىٰ أمدها بقوة فتصبح راجفة بعد أن كانت مرجوفة .

﴿قُلُوبٌ يَوْمَئِذٍ وَاجِفَةٌ ﴿٨﴾ أَبْصَـٰرُهَا خَـٰشِعَةٌ ﴿٩﴾﴾ (سورة النازعات، الآيتين ٨-٩)

* ﴿ أَبْصَـٰرُهَا ﴾

قال ﴿ أَبْصَـٰرُهَا ﴾، ولم يقل (أبصارهم) ليبين أن خوف القلب يسري في الجسد كله، فتصبح الأبصار خاشعة بما جرى في القلب .

﴿هَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿١٥﴾ إِذْ نَادَىٰهُ رَبُّهُۥ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٦﴾ ٱذْهَبْ إِلَىٰ فِرْعَوْنَ إِنَّهُۥ طَغَىٰ ﴿١٧﴾ فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ ﴿١٨﴾ وَأَهْدِيَكَ إِلَىٰ رَبِّكَ فَتَخْشَىٰ ﴿١٩﴾﴾ (سورة النازعات، الآيات ١٥-١٩)

* الطغيان تجاوز الحد في الظلم، ومع ذلك يأمر نبيه بأن يخاطبه بقوله: ﴿فَقُلْ هَل لَّكَ إِلَىٰٓ أَن تَزَكَّىٰ﴾ مع أن المناسب للطغيان خطاب فيه شدةٌ وقوة.

* والسبب في ذلك أن الله أرسله هاديًا، وليس معاقبًا، وفرعون قد تعود

على لين الخطاب من أتباعه، فخاطبه بما تعود عليه، لعله أن يهتدي ويقبل منه.

﴿ءَأَنتُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمِ ٱلسَّمَآءُ ۚ بَنَىٰهَا ﴿٢٧﴾ رَفَعَ سَمْكَهَا فَسَوَّىٰهَا ﴿٢٨﴾ وَأَغْطَشَ لَيْلَهَا وَأَخْرَجَ ضُحَىٰهَا ﴿٢٩﴾ وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾ أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾﴾ (سورة النازعات، الآيات ٢٧-٣١)

* ﴿وَٱلْأَرْضَ بَعْدَ ذَٰلِكَ دَحَىٰهَآ ﴿٣٠﴾﴾

في سورة فصلت قال تعالى ﴿قُلْ أَئِنَّكُمْ لَتَكْفُرُونَ بِٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْأَرْضَ فِى يَوْمَيْنِ وَتَجْعَلُونَ لَهُۥٓ أَندَادًا ۚ ذَٰلِكَ رَبُّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٩﴾ وَجَعَلَ فِيهَا رَوَٰسِىَ مِن فَوْقِهَا وَبَٰرَكَ فِيهَا وَقَدَّرَ فِيهَآ أَقْوَٰتَهَا فِىٓ أَرْبَعَةِ أَيَّامٍ سَوَآءً لِّلسَّآئِلِينَ ﴿١٠﴾ ثُمَّ ٱسْتَوَىٰٓ إِلَى ٱلسَّمَآءِ وَهِىَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلْأَرْضِ ٱئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَآ أَتَيْنَا طَآئِعِينَ ﴿١١﴾﴾ سورة فصلت

ففي فصلت خلق الأرض أولاً، وفي النازعات خلقها ثانياً، فكيف يجمع بينهما؟

والجواب أن (بعد) تحتمل معنيين:

* بعدية ذكر، أي بعد ذكر السماء يذكر الأرض.
* بعدية حدث، أي أن خلق الأرض مر بمرحلتين، المرحلة الأولى: خلق مادتها، والمرحلة الثانية: أعدها للحياة بدليل قوله تعالى ﴿أَخْرَجَ مِنْهَا مَآءَهَا وَمَرْعَىٰهَا ﴿٣١﴾﴾.



﴿ سُورَةُ عَبَسَ ﴾

❁ المناسبة بين سورة عبس وسورة النازعات.

سورة النازعات انتهت بقوله تعالى: ﴿إِنَّمَآ أَنتَ مُنذِرُ مَن يَخْشَىٰهَا ۝٤٥﴾ سورة النازعات

وفي سورة عبس ذكر الفريقين، فريق نفعهم إنذارك، وفريق لم ينفعهم إنذارك.

﴿عَبَسَ وَتَوَلَّىٰٓ ۝١﴾ (سورة عبس، الآية ١)

العتب للنبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، أنه اختار الطريق الصعب للهداية، فأتعب نفسه، وكلفها ما يشق عليه.

قال ﴿عَبَسَ﴾ ولم يقل (عبست)، فلم يأت بأسلوب المواجهة، ليبين لنا إخلاص النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فتلطف ربه معه في أسلوب الخطاب.

﴿بِأَيْدِى سَفَرَةٍ ۝١٥﴾ (سورة عبس، الآية ١٥)

❁ يحتمل معنيين:

* هم الملائكة، فهم سفرة بين الله وبين خلقه يبلغون هذا القرآن.
* هم أهل القرآن وتجويده، وضبطه وقرآءته، وقواعده وكل ما يتعلق بالقرآن في تبليغه للناس .

﴿ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ۝٢١﴾ (سورة عبس، الآية ٢١)

* قال ﴿فَأَقْبَرَهُۥ﴾ ولم يقل (قبره) لإن (قبره) أي دفنه وتولى قبره بنفسه، أما ﴿فَأَقْبَرَهُۥ﴾ علّم غيره كيف يقبره .

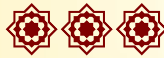
﴿قُتِلَ ٱلۡإِنسَٰنُ مَآ أَكۡفَرَهُۥ ١٧﴾ (سورة عبس، الآية ١٧)

(ما أكفره) تأتي على معنيين:

* التعجب من كفره .
* الإنكار عليه، والإنكار يؤول إلى التعجب .

﴿يَوۡمَ يَفِرُّ ٱلۡمَرۡءُ مِنۡ أَخِيهِ ٣٤ وَأُمِّهِۦ وَأَبِيهِ ٣٥ وَصَٰحِبَتِهِۦ وَبَنِيهِ ٣٦ لِكُلِّ ٱمۡرِيٕٖ مِّنۡهُمۡ يَوۡمَئِذٖ شَأۡنٞ يُغۡنِيهِ ٣٧﴾ (سورة عبس، الآيات ٣٤-٣٧)

وسبب فراره منهم حتى لا يؤاخذ بحقوقهم التي قصر فيها معهم، فحق الأخ في الهداية، وحق الوالدين في البر، وكذلك حق الصاحبة والأولاد في الرعاية والمسئولية والنصح.



﴿ سُورَةُ المُطَفِّفِينَ ﴾

﴿وَيْلٌ لِّلْمُطَفِّفِينَ ۝١﴾ (سورة المطففين، الآية ١)

* دعاء عليهم، وهو خبر أنه واقع عليهم.

﴿وَمَا أَدْرَاكَ مَا سِجِّينٌ ۝٨ كِتَابٌ مَّرْقُومٌ ۝٩﴾ (سورة المطففين، الآية ١)

* ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾

﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾: يخبرك، وقد أخبرك.

وإذا جاءت ﴿وَمَا أَدْرَاكَ﴾ فإنه سيخبرك، وإذا جاءت ﴿وَمَا يُدْرِيكَ﴾ فإنه لا يخبرك، مثل قوله تعالى: ﴿وَمَا يُدْرِيكَ لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ قَرِيبًا ۝٦٣﴾ سورة الأحزاب

* ﴿كِتَابٌ مَّرْقُومٌ﴾

الكتاب المرقوم: هو كتاب موثق فيه أعمال الفجار، وهذا الكتاب له علامة يعرف بها، وهو محفوظ لا يزور ولا يغير .

﴿وَمَا يُكَذِّبُ بِهِ إِلَّا كُلُّ مُعْتَدٍ أَثِيمٍ ۝١٢﴾ (سورة المطففين، الآية ١٢)

* ﴿أَثِيمٍ﴾

الأثيم: هو الذي اعتاد الإثم، فصار له سجيةً وطبيعة.

﴿كَلَّا ۖ بَلْ ۜ رَانَ عَلَىٰ قُلُوبِهِم مَّا كَانُوا يَكْسِبُونَ ۝١٤ كَلَّا إِنَّهُمْ عَن رَّبِّهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّمَحْجُوبُونَ ۝١٥﴾

(سورة المطففين، الآيتين ١٤-١٥)

* ﴿لَّمَحْجُوبُونَ﴾

جاءت ﴿لَّمَحۡجُوبُونَ﴾ بعد قوله ﴿رَانَ﴾ فالإنسان الذي اختار الرين على قلبه بفعل المعاصي والآثام، فقد حجب عن نفسه عن ربه تَبَارَكَ وَتَعَالَىٰ يوم القيامة، فمن حجب عن نفسه ما جاء عن الله تعالى، يكون جزاؤه أن يحجب عن الله تعالى يوم القيامة .

﴿وَمَآ أَدۡرَىٰكَ مَا عِلِّيُّونَ ١٩ كِتَٰبٞ مَّرۡقُومٞ ٢٠﴾ (سورة المطففين، الآيتين ١٩-٢٠)

* ﴿مَّرۡقُومٞ﴾

﴿مَّرۡقُومٞ﴾: يمتنع أن ينفلت منه شيء، وهذا معنى يُفرح، لإن السياق سياق فرح يريد المؤمن ألا يخرج منه شيء، وهناك في كتاب الفجار يتمنى لو الفاجر لو خرج من الكتاب شيء أو غاب عنه شيء، فالفاجر في حزن، والمؤمن في فرح.

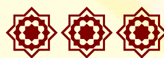
﴿إِنَّ ٱلَّذِينَ أَجۡرَمُواْ كَانُواْ مِنَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ يَضۡحَكُونَ ٢٩﴾ (سورة المطففين، الآية ٢٩)

* ﴿يَضۡحَكُونَ﴾

قال ﴿يَضۡحَكُونَ﴾ ولم يقل (يتضاحكون) فصار الضحك منهم على المؤمنين سجية وطبعًا فيهم .

﴿فَٱلۡيَوۡمَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ مِنَ ٱلۡكُفَّارِ يَضۡحَكُونَ ٣٤﴾ (سورة المطففين، الآية ٣٤)

الآيات في القرآن تتكلم عن أن انتصار المؤمنين من أعدائهم يكون في الآخرة لا في الدنيا، وفي ذلك تربية للمؤمنين أن تكون الآخرة هي غايتهم وقصدهم.



﴿ سُورَةُ الضُّحَىٰ ﴾

﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ مَا وَدَّعَكَ رَبُّكَ وَمَا قَلَىٰ ﴿٣﴾ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ
﴿٤﴾ وَلَسَوۡفَ يُعۡطِيكَ رَبُّكَ فَتَرۡضَىٰٓ ﴿٥﴾ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا
فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ فَأَمَّا ٱلۡيَتِيمَ فَلَا تَقۡهَرۡ ﴿٩﴾ وَأَمَّا ٱلسَّآئِلَ فَلَا تَنۡهَرۡ
﴿١٠﴾ وَأَمَّا بِنِعۡمَةِ رَبِّكَ فَحَدِّثۡ ﴿١١﴾ ﴾ (سورة الضحى، الآيات ١-١١)

﴿ وَٱلضُّحَىٰ ﴿١﴾ وَٱلَّيۡلِ إِذَا سَجَىٰ ﴿٢﴾ ﴾ (سورة الضحى، الآيتين ١-٢)

مهما طال الليل، فإن النهار سيأتي، وما وقع من انقطاع للوحي عن النبي صَلَّىٰٱللَّهُعَلَيْهِوَسَلَّمَ في الفترة المعروفة بفترة انقطاع الوحي، إنما هي كبقاء الليل الذي سيأتي بعده النهار فيرفع ظلامه وسواده، ويشبه عَزَّوَجَلَّ فتور الوحي وعودته كحركة الليل والنهار، فبعد شدة الوحي كان لا بد من سكون تهدأ فيه نفسه وتشتاق للوحي مرة أخرى، كما الليل سكون، كان التوقف سكوناً ثم يعود كما يعود الضحى بعد الليل[(١)].

﴿ وَلَلۡأٓخِرَةُ خَيۡرٞ لَّكَ مِنَ ٱلۡأُولَىٰ ﴿٤﴾ ﴾ (سورة الضحى، الآية ٤)

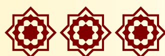
أي عودة الوحي خير لك من بدايته، لأنك في بدايته لم تكن مستعداً له، فجاء فوق طاقتك وجهدك، أما الآن فأنت مستعد له ومتشوق له[(٢)].

﴿ أَلَمۡ يَجِدۡكَ يَتِيمٗا فَـَٔاوَىٰ ﴿٦﴾ وَوَجَدَكَ ضَآلّٗا فَهَدَىٰ ﴿٧﴾ وَوَجَدَكَ عَآئِلٗا فَأَغۡنَىٰ ﴿٨﴾ ﴾
(سورة الضحى، الآيات ٦-٨)

---

(١) (في المطبوع ٩/ ٥٦٦١)
(٢) (في المطبوع ٩٠ ١٢١٠)

يُعدد الله تعالى نعمه على عبده صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وكيف كان يرعاه ويحفظه قبل أن يكون نبيًا، فكيف يتركه أو يتخلى عنه أو ينقطع عنه وحيه ونصره وقد صار نبيه ورسوله للناس كافة .



﴿ سُورَةُ العَلَق ﴾

﴿أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يَنْهَىٰ ﴿٩﴾﴾ (سورة العلق، الآية ٩)

إذا جاءت ﴿أَرَءَيْتَ﴾ فهي تدل على أن أمراً عجيباً سيرد ذكره .



﴿ سُورَةُ العَادِيَات ﴾

﴿ وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾
فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾ إِنَّ ٱلْإِنسَـٰنَ لِرَبِّهِۦ لَكَنُودٌ ﴿٦﴾ وَإِنَّهُۥ عَلَىٰ ذَٰلِكَ لَشَهِيدٌ ﴿٧﴾
وَإِنَّهُۥ لِحُبِّ ٱلْخَيْرِ لَشَدِيدٌ ﴿٨﴾ ۞ أَفَلَا يَعْلَمُ إِذَا بُعْثِرَ مَا فِى ٱلْقُبُورِ ﴿٩﴾ وَحُصِّلَ مَا فِى
ٱلصُّدُورِ ﴿١٠﴾ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾﴾ (سورة العاديات، الآيات ١-١١)

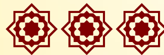


سُورَةُ القَارِعَةِ

﴿ ٱلْقَارِعَةُ ﴿١﴾ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٢﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا ٱلْقَارِعَةُ ﴿٣﴾ يَوْمَ يَكُونُ ٱلنَّاسُ
كَٱلْفَرَاشِ ٱلْمَبْثُوثِ ﴿٤﴾ وَتَكُونُ ٱلْجِبَالُ كَٱلْعِهْنِ ٱلْمَنفُوشِ ﴿٥﴾ فَأَمَّا مَن
ثَقُلَتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٦﴾ فَهُوَ فِي عِيشَةٍ رَّاضِيَةٍ ﴿٧﴾ وَأَمَّا مَنْ خَفَّتْ مَوَٰزِينُهُۥ ﴿٨﴾
فَأُمُّهُۥ هَاوِيَةٌ ﴿٩﴾ وَمَآ أَدْرَىٰكَ مَا هِيَهْ ﴿١٠﴾ نَارٌ حَامِيَةٌۢ ﴿١١﴾ ﴾ (سورة القارعة، الآيات ١-١١)

﴿ إِنَّ رَبَّهُم بِهِمْ يَوْمَئِذٍ لَّخَبِيرٌۢ ﴿١١﴾ ﴾ (سورة العاديات، الآية ١١)

جاءت سورة القارعة بعد سورة العاديات، مناسبة لنهاية سورة العاديات، ليروا نهاية أعمالهم .



سُورَةُ المَاعُونِ

﴿ أَرَءَيْتَ ٱلَّذِى يُكَذِّبُ بِٱلدِّينِ ﴿١﴾ فَذَٰلِكَ ٱلَّذِى يَدُعُّ ٱلْيَتِيمَ ﴿٢﴾ وَلَا
يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴿٣﴾ فَوَيْلٌ لِّلْمُصَلِّينَ ﴿٤﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ عَن صَلَاتِهِمْ سَاهُونَ
﴿٥﴾ ٱلَّذِينَ هُمْ يُرَآءُونَ ﴿٦﴾ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴿٧﴾ ﴾ (سورة الماعون، الآيات ١-٧)



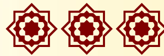
﴿ سُورَةُ الكَوْثَرِ ﴾

﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ١ فَصَلِّ لِرَبِّكَ وَٱنْحَرْ ٢ إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ٣﴾ (سورة الكوثر، الآيات ١-٣)

* آيات سورة الكوثر مقابلة لآيات سورة الماعون، وهذا يسمى (ارتباط التقابل)
* العطاء في ﴿إِنَّآ أَعْطَيْنَٰكَ ٱلْكَوْثَرَ ١﴾ يقابل البخل في ﴿ وَيَمْنَعُونَ ٱلْمَاعُونَ ﴾
* الإخلاص في ﴿ فَصَلِّ لِرَبِّكَ ﴾ يقابل الرياء في ﴿هُمْ يُرَآءُونَ ﴾
* النحر في ﴿وَٱنْحَرْ﴾ يقابل المنع في ﴿ وَلَا يَحُضُّ عَلَىٰ طَعَامِ ٱلْمِسْكِينِ ﴾

﴿إِنَّ شَانِئَكَ هُوَ ٱلْأَبْتَرُ ٣﴾ (سورة الكوثر، الآية ٣)

جعل الكفار بقاء الذكر بكثرة الولد، فجعل الله تعالى النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ أعظم الناس ذكراً، وأسلم أبناؤهم واتبعوا النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وتركوا آباءهم، فانقطع ذكرهم، وبقي ذكر النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ .



﴿ سُورَةُ الكَافِرُونَ ﴾

﴿قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ١ لَآ أَعْبُدُ مَا تَعْبُدُونَ ٢ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ
٣ وَلَآ أَنَا۠ عَابِدٌ مَّا عَبَدتُّمْ ٤ وَلَآ أَنتُمْ عَٰبِدُونَ مَآ أَعْبُدُ ٥ لَكُمْ دِينُكُمْ وَلِىَ دِينِ
٦﴾ (سورة الكافرون، الآيات ١-٦)

مناسبة السورة:

جاءت لقطع العلاقة بين النبي صَلَّى ٱللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، وبين الكافرين، في أمرٍ لا رجعةَ عنه ولا إمكانية لحدوث تحولٍ فيه، كما يقع في بقية العلاقات بين الناس، وهو عبادة الله عَزَّوَجَلَّ .

* ﴿ قُلْ ﴾

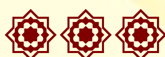
أنا إنما مبلغ في هذا الشأن، وليس الأمر أمري، ولا القرار قراري، بل هو أمر الله من الله تعالى أبلغه كما أمرني، لا أنقص منه حرفًا واحداً .

* ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾

جاء بالنداء البعيد، لبعد مقالتهم عن المنطق والحق .

* ﴿ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾

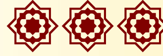
ناداهم بالصفة القبيحة الملازمة لهم ﴿ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴾ ولم يناده‍م (الذين كفروا) لقبح رأيهم وفكرتهم.



سُورَةُ النَّصۡرِ

﴿إِذَا جَآءَ نَصۡرُ ٱللَّهِ وَٱلۡفَتۡحُ ١ وَرَأَيۡتَ ٱلنَّاسَ يَدۡخُلُونَ فِي دِينِ ٱللَّهِ أَفۡوَاجٗا ٢ فَسَبِّحۡ بِحَمۡدِ رَبِّكَ وَٱسۡتَغۡفِرۡهُۚ إِنَّهُۥ كَانَ تَوَّابَۢا ٣﴾ (سورة النصر، الآيات ١-٣)

جاءت سورة النصر ودخول الناس في دين الله أفواجًا، بعد مقالة أولئك الكفار، الذين كانوا يريدون التضييق على هذا الدين، ومنع انتشاره وتوسعه .

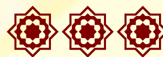


سُورَةُ المَسَدِ

﴿تَبَّتۡ يَدَآ أَبِي لَهَبٖ وَتَبَّ ١ مَآ أَغۡنَىٰ عَنۡهُ مَالُهُۥ وَمَا كَسَبَ ٢ سَيَصۡلَىٰ نَارٗا ذَاتَ لَهَبٖ ٣ وَٱمۡرَأَتُهُۥ حَمَّالَةَ ٱلۡحَطَبِ ٤ فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ ٥﴾ (سورة المسد، الآيات ١-٥)

* ﴿فِي جِيدِهَا حَبۡلٞ مِّن مَّسَدِۭ﴾

الجيد هو الموضع الذي تضع فيه المرأة زينتها، ليراه الناس، فكان لها ذلك أيضًا في الآخرة .



﴿ سُورَةُ الإِخْلَاصِ ﴾

﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ ① ٱللَّهُ ٱلصَّمَدُ ② لَمْ يَلِدْ وَلَمْ يُولَدْ ③ وَلَمْ
يَكُن لَّهُۥ كُفُوًا أَحَدٌۢ ④﴾ (سورة الإخلاص، الآيات ١-٤)

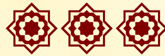
* ﴿قُلْ هُوَ ٱللَّهُ أَحَدٌ﴾

* ﴿قُلْ﴾

تدل على أن القرآن قولي، وليس كما يقول بعضهم أنه كلام معنوي، أو كلام نفسي .

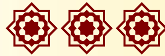
* ﴿هُوَ﴾

ضمير الغائب، يدل على أن الله غيب وليس بمشهد، وعظمته في غيبيته، لأنه لو كان مشهداً، لكان مقدوراً على إدراكه، ولو أدركناه لم يناسب أن يكون إلهـاً.



﴿ سُورَةُ الفَلَقِ ﴾

📖 ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلْفَلَقِ ۝١ مِن شَرِّ مَا خَلَقَ ۝٢ وَمِن شَرِّ غَاسِقٍ إِذَا وَقَبَ ۝٣
وَمِن شَرِّ ٱلنَّفَّـٰثَـٰتِ فِى ٱلْعُقَدِ ۝٤ وَمِن شَرِّ حَاسِدٍ إِذَا حَسَدَ ۝٥﴾ (سورة
الفلق، الآيات ١-٥)



﴿ سُورَةُ النَّاسِ ﴾

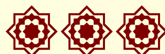
📖 ﴿قُلْ أَعُوذُ بِرَبِّ ٱلنَّاسِ ۝١ مَلِكِ ٱلنَّاسِ ۝٢ إِلَـٰهِ ٱلنَّاسِ ۝٣ مِن شَرِّ
ٱلْوَسْوَاسِ ٱلْخَنَّاسِ ۝٤ ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ ۝٥ مِنَ ٱلْجِنَّةِ
وَٱلنَّاسِ ۝٦﴾ (سورة الناس، الآيات ١-٦)

سورة الفلق جاءت في الاستعاذة بالله من الشرور التي هي خارج إرادتنا وقدرتنا، فهذه هي المصائب، وعلمنا في السورتين كيف نستعيذ به عَزَّوَجَلَّ من هذه الشرور.

سورة الناس جاءت في الاستعاذة من الشرور التي تنشأ منا، وتكون بإرادتنا واختيارنا.

📖 ﴿ٱلَّذِى يُوَسْوِسُ فِى صُدُورِ ٱلنَّاسِ﴾ (سورة الناس، الآية ٥)

هو يوسوس، ليخرجك عن منهج الله الذي أراده لك، فإذا طاوعته فإن تكون قد جلبته لنفسك .



الفهرس

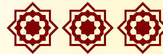
الموضـــــــــــــــــــوع	الصفحة
المقدمة	٥
سُورَةُ الفَاتِحَةِ	١١
سُورَةُ البَقَرَةِ	١٤
سُورَةُ آلِ عِمۡرَانَ	٣٩
سُورَةُ النِّسَاءِ	٥٠
سُورَةُ المَائِدَةِ	٥٧
سُورَةُ الأَنۡعَامِ	٦٥
سُورَةُ الأَعۡرَافِ	٧١
سُورَةُ الأَنفَالِ	٧٧
سُورَةُ التَّوۡبَةِ	٨٦
سُورَةُ يُونُسَ	٩٤
سُورَةُ هُودٍ	٩٧
سُورَةُ يُوسُفَ	١٠٠
سُورَةُ الرَّعۡدِ	١٠٤
سُورَةُ الحِجۡرِ	١٠٥
سُورَةُ النَّحۡلِ	١٠٦
سُورَةُ الإِسۡرَاءِ	١٠٩
سُورَةُ الكَهۡفِ	١٢١
سُورَةُ مَرۡيَمَ	١٣٣
سُورَةُ طه	١٤٠

É

الموضـــــــــــــــــوع	الصفحة
سُورَةُ الأَنبِيَاءِ	١٥٦
سُورَةُ الحَجِّ	١٦٤
سُورَةُ المُؤمِنُونَ	١٧٢
سُورَةُ النُّورِ	١٧٦
سُورَةُ الفُرقَانِ	١٧٩
سُورَةُ الشُّعَرَاءِ	١٨٣
سُورَةُ النَّملِ	١٩٠
سُورَةُ القَصَصِ	١٩٩
سُورَةُ العَنكَبُوتِ	٢٠٤
سُورَةُ الرُّومِ	٢٠٦
سُورَةُ لُقمَانَ	٢١٠
سُورَةُ السَّجدَةِ	٢١٦
سُورَةُ الأَحزَابِ	٢١٩
سُورَةُ سَبَإٍ	٢٢٤
سُورَةُ فَاطِرٍ	٢٢٨
سُورَةُ يسٓ	٢٣١
سُورَةُ الصَّافَّاتِ	٢٣٤
سُورَةُ صٓ	٢٣٦
سُورَةُ الزُّمَرِ	٢٣٨
سُورَةُ غَافِرٍ	٢٣٩
سُورَةُ فُصِّلَت	٢٤٣

الموضـــــــــــــــوع	الصفحة
سُورَةُ الشُّورَىٰ	٢٤٥
سُورَةُ الزُّخْرُفِ	٢٤٩
سُورَةُ الدُّخَانِ	٢٥٣
سُورَةُ الجَاثِيَةِ	٢٥٥
سُورَةُ الأَحْقَافِ	٢٥٦
سُورَةُ مُحَمَّدٍ	٢٥٧
سُورَةُ الفَتْحِ	٢٥٨
سُورَةُ قٓ	٢٥٩
سُورَةُ الذَّارِيَاتِ	٢٦١
سُورَةُ الطُّورِ	٢٦٤
سُورَةُ النَّجْمِ	٢٦٥
سُورَةُ القَمَرِ	٢٦٧
سُورَةُ الرَّحْمَٰنِ	٢٦٨
سُورَةُ الوَاقِعَةِ	٢٧٠
سُورَةُ المُجَادِلَةِ	٢٧١
سُورَةُ الحَشْرِ	٢٧٢
سُورَةُ الصَّفِّ	٢٧٣
سُورَةُ التَّحْرِيمِ	٢٧٤
سُورَةُ المُرْسَلَاتِ	٢٧٥
سُورَةُ النَّبَإِ	٢٧٦
سُورَةُ النَّازِعَاتِ	٢٧٨

الموضوع	الصفحة
سُورَةُ عَبَسَ	٢٨٠
سُورَةُ المُطَفِّفِينَ	٢٨٢
سُورَةُ الضُّحَى	٢٨٤
سُورَةُ العَلَقِ	٢٨٦
سُورَةُ العَادِيَاتِ	٢٨٦
سُورَةُ القَارِعَةِ	٢٨٧
سُورَةُ المَاعُونِ	٢٨٧
سُورَةُ الكَوْثَرِ	٢٨٨
سُورَةُ الكَافِرُونَ	٢٨٩
سُورَةُ النَّصْرِ	٢٩٠
سُورَةُ المَسَدِ	٢٩٠
سُورَةُ الإِخْلَاصِ	٢٩١
سُورَةُ الفَلَقِ	٢٩٢
سُورَةُ النَّاسِ	٢٩٢
الفهرس	٢٩٣



التصميم الداخلي للكتاب

للتواصل:



@abuhanyean

Tharwat Sultan

القاهرة - جمهورية مصر العربية

00201019530152

TharwatSultan@yahoo.com